رجال ونساء .. وحب

جون شتاينبك

روايات الهلال



روائع القصص العالمى

روايات الهلال

REWAYAT AL-HILAL

تصدر عن دار الهلال

مؤسسة الاهرام والهلال

رئيس التحرير . طاهر الطناحي

العدد ١٤٤ * ديسمبر ١٩٦٠ * جمادى الآخرة ١٣٨٠

No. 144 December 1960

بيانات ادارية

ثمن العدد فى اقليم مصر والسودان ٨٠ مليما ـ فى الاقطار العربية عن الكميات المرسلة بالطائرة : فى اقليم سوريا ١٠٠ قرش سورى ـ فى لبنان ١٠٠ قرش لبنانى ـ فى الاردن ١٠٠ فلس ـ فى العراق ١٠٠ فلس

الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ـ اقليم مصر والسودان ٨٥ قرشا صاغا ـ اقليم سوريا ولبنان (بالطائرة) ١٠٧٥ قرشا سوريا لبنانيا ـ السعودية والعراق والاردن وليبيا واليمن وغزة والمغرب ١١٠ قروش صاغ ـ الامريكتين ٥ دولارات ـ سائر انحاء العالم ١٥٠ قرشا صاغا

طريقة الدفع

فى اقليم مصر : بموجب اذونات أو حوالات بريدية أو شيكات ـ فى **السودان :** بموجب حوالات بريدية وشيكات **فى الخارج :** بموجب حوالة نقدية أو بشيك على أحد بنوك القاهرة ـ وقيمة الاشتراك ترسل مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال او الى أحد وكلائنا ولا يمكن قبول أذونات البريد أو أوراق البنكنوت

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك ـ القاهرة

المكاتبات : روايات الهلال ـ بوستة مصر العمومية ـ مصر

التليفون : ٢٠٦١٠ (عشرة خطوط)

الاعلانات : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي

رجال ونساء .. وحب!

بقلم الكاتب العالمي

جون شتاينبك

ترجمة

حسين القباني

مؤلف الرواية

يعتبر جون ارنست شتاينبك من أكبر الروائيين المعاصرين فى العالم ، ويرى كثير من النقاد أنه « سومرست موم الولايات المتحدة » وذلك لتشابههما فى طريقة العرض العقلى القائم على العمق ، وعلى روعة الصياغة ، وبراعة التحليل ، والقدرة الفائقة على جذب انتباه القارىء الى كل ما يكتبه

وقد ولد شتاينبك فى ٢٧ فبراير عام ١٩٠٢ بمدينة ساليناس ، ثم التحق بجامعة ستانفورد عام ١٩١٩

وفى عام ١٩٣٠ تزوج كارول هيننج ، وعاش معها الى أن فصل بينهما الطلاق فى عام ١٩٤٣ ثم تزوج للمرة الثانية من جين كونجر فى نفس العام ، وانجب منها ولدين وابنة « توم ، وجون والين سكوت »

وقد اشتغل فى خلال الحرب العالمية محررا ومراسلا حربيا فى ميادين القتال وقد وضع فى هذه الفترة كتابين من اعظم الكتب التى تناولت مشكلات الحرب والسلام وهما « سقوط القمر » فى عام ١٩٤٢ و « كاميرى راد » فى عام ١٩٤٥

وجدير بالذكر ان شتاينبك فاز بجائزة بوليتزر للأدب ، وهى فى أمريكا لا تقل شأنا عن جائزة نوبل العالمية

ويقيم جون شتاينبك فى الوقت الحاضر بنيويورك بالشارع ٤١ رقم « ١٨ أ »

□

ويمتاز شتاينبك بأنه روائى تاريخى وعصرى معا ، فهو ينتقى من سجلات التاريخ حكاية قصيرة ثم يضفى عليها من فنه وبراعته

وخياله وقوة تعبيره ما يحيلها الى قصة رائعه أخاذة تفتن الالباب .
وهو حين يكتب قصة تاريخية ينقل القارىء عبر القرون والاعوام ؛
ويرسم صورة الماضي حية بارزة حتى ليخيل لقارئه أنه يعيش
في جو هذا الماضي . ومثال ذلك رواية « ساحرة الرجال » التي
قدمناها في شهر يونية الماضي

وهو حين يكتب عن العصر الحالي يصوره في أمانة ودقة وبراعة
وجمال ، كما فعل في روايته هذه التي نقدمها للقراء والتي سميناها
« رجال ونساء .. وحب » واسمها الاصلي « موقف الاتوبيس »
« The Wayward Bus »

وهذه الرواية التي نقدمها للقارىء اليوم نالت شهرة عظيمة ، وهي
التي جعلت مؤلفها شتاينبك يجلس في مصاف كبار الروائيين
الامريكان في هذا العصر



شخصيات الرواية

جون شيكو John Chicoy : صاحب استراحة ريبلز كورنر وقائد سيارة عامة

اليس شيكو Alice Chicoy : زوجة جون شيكو

المستر بريكارد Mr. Pritchard : رجل اعمال من شيكاغو

المسز بريكارد Mrs. Pritchard : زوجة المستر بريكارد

فان برانت Van Brant : رجل عجـور من ذوى الاملاك

آرنست هورتون Ernest Horton : مندوب شركة لانتـاج العاب التسلية

كاميليا أوكس Camille Aokes : ممثـلة فى الفـرق الاستعراضية

نورما Norma : فتاة تعمل فى استراحة ريبلز كورنر

بمبلز Pimples : غلام مراهق يعمـل فى استراحة ريبلز كورنر

ميلدرد Mildred : فتاة عصرية متحررة هى ابنة المستر بريكارد

الفصل الأول

ركن الثوار

قبل مدينة سان سيدور بنحو اثنين وأربعين ميلا ، وعلى الطريق الزراعي العام الواقع في الشمال الجنوبي من ولاية كاليفورنيا ، نجد مفترقا للطرق اطلق عليه منذ اثنين وثمانين عاما اسم « ريبلز كورنر » أو ركن الثوار . وترجع تسميته بهذا الاسم الى عائلـــــة من ثوار الولايات الجنوبية في الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦٢ ، احتمت في هذه المنطقة ، ودافعت عنها ، واستقرت فيها ، واشتغلت بالحدادة والزراعـــة فترة من الزمن ، ثم إنقرض أفرادها عن آخرهم دون أن يتركوا وراءهم غير هذا الاسم الذي أطلق على مفترق الطرق في تلك المنطقة

ومن هذا المفترق للطرق يمتد طريق له منعطفات يمينية نحو الغرب مسافة تسعة وأربعين ميلا ، وعندئذ يتصل بطريق زراعي آخر كبير يمتد من سان فرانسيسكو الى لوس انجليس ، ومنها بطبيعة الحال الى هوليوود . وعلى هذا فانه يتحتم على كل شخص داخل هذا الوادي الفسيح ، يريد أن يمضي الى الشاطيء في تلك البقعة من الولاية أن يتخذ الطريق الذي يبدأ من « ريبلز كورنر » ويظـل يتلوى بين التلال ، ووسط بقعـة صحراوية صغيرة ، ثم داخل الحقول والجبال حتى يصل اخيرا الى الطريق الساحلي العام ، في قلب مدينة سان جوان دي لاكروز

في هذا المفترق من الطرق المسمى « ريبلز كورنر » نجـــد بطل قصتنا جون شيكو وزوجته ألس وقد اشتريا مســــاحة من الارض أقاما عليها محطة لخدمة السيارات ، وجراجا ، ومطعما ، واستراحة صغيرة ، وورشة لاصلاح ما تصاب به السيارات من عطب . كما

حصلا على امتياز نقل المسافرين من ريلز كورنر الى مدينة سان جوان دى لاكروز على الطريق الساحلى العام

وتقع القاعة المؤدية الى المطعم وراء مضخات البنزين ، لا تفصل بينهما غير مساحة من الارض المنزرعة بالزهور ، والمفروشة بالرمال البيضاء النظيفة . أما المقاعد نفسها ، فهي متوسطة الاتساع ، ذات مائدة للخدمة « بنك » ومقاعد مستديرة مثبتة فى الارضية امامها ، وثلاث مناضد لمن يريد أن يتناول طعاما بعيدا عن مائدة الخدمة . وهذه المناضد قلما تستخدم لان الجالس اليها مضطر لان يدفع للمسز شيكو « بقشيشا » اضافيا ، ولهذا يفضل العملاء الجلوس على المقاعد المثبتة أمام مائدة الخدمة مباشرة

ووراء مائدة الخدمة نرى مجموعة من الارفف ، وعلى الرف الاول نجد شطائر الحلوى ، وكعك جوز الهند ، وبعض الفطائر الجافة . وعلى الرف الثانى نجد علب الحساء المحفوظ ، والبرتقال ، والموز ، وعلى الرف الثالث نجد علب الدقيق ، ومسحوق الارز ، والزبيب ، وغير هذا أو ذاك من الحبوب المعبأة . ونجد فى أحد طرفى المائدة شواية وبجانبها حوض ، وبجانب الحوض زجاجات البيرة والجبن ، وبجانب هذه علب الآيس كريم ، وعلى المائدة نفسها جهاز آلى توضع فى ثقبه النقود فيدير الاسطوانة الغنائية أو الموسيقى المطلوبة ، وبجانبه زجاجات الملح والفلفل والخردل والمناشف الورقية ، والعلب الزجاجية لعرض الكعك والفطائر ذات الاغطية المصنوعة من اللدائن «البلاستك» . أما الجدران فهى مزينة بعدد من « النتائج » واعلانات المياه الغازية ومصانع الحلوى ، ومزينة أيضا بصور فتيات جميلات شبه عاريات ، بارزات النهود ، طويلات السيقان ، ضامرات الخصور ، مستديرات الارداف

وكانت اليس شيكو — المسز جون شيكو — التى تعمل بين صور هذه الفتيات الحسناوات ، سيدة فى نحو الاربعين من العمر ، عريضة الارداف ، ذاوية الصدر ، ملفوفة الجسم الى حد ما ، ولكنها لم تشعر أبدا بالغيرة من فتيات هذه الصور الاعلانية ، لانها لم تر فى حياتها من تشبههن فى واقع الحياة ، وتعتقد انه ليس هناك من رأى فى حياته مثلهن . وكانت تقضى سحابة النهار وشطرا كبيرا من الليل

فى اعداد السجق ، وقلى البيض ، وتسخين علب الحساء ، وضرب الآيس كريم . . . فلا عجب اذا كان التعب يدب فى أوصالها آخر النهار ، ويؤثر على أعصابها ، ويجعلها تهمل زينتها

وبجانب قاعة الطعام . نجد الجراج الذى كان فى الاصل مصنع الحدادة للعائلة المنقرضة . وفى هذا الجراج يقيم جون شيكو معظم وقته اذا لم يكن مشغولا بقيادة سيارته الحافلة بالركاب بين ريبلز كورنر ومدينة سان جوان دى لاكروز . وجون شيكو هذا رجل طويل القامة قوى البنية ، ينحدر من أم مكسيكية ووالد أيرلندى ، ويبلغ من العمر نحو خمسين عاما ، ولكن من يراه يحسبه فى الاربعين . وهو أسود العينين ، ناعم الشعر ، جميل الراس ، وسيم الوجه ، ملوح البشرة ، تحبه زوجته بجنون ، وتخشاه بعض الخشية ، لانه رجل ، ولان الرجال فى الدنيا - كما تبينت أليس أخيرا - قليلون

وفى هذا الجراج يعمل جون شيكو فى اصلاح الاطارات ، وتنظيف خزانات الوقود ، واعداد ما يلزم لمضخات البنزين ، وغير هذا وذاك من الشئون التى لا مندوحة عنها للخدمة والصيانة فى محطة بنزين . وهو يقوم بهذه الاعمال فى الاوقات التى لا يقود فيها سيارته الحافلة ، أى قبل العاشرة والنصف صباحا ، وبعد الرابعة مساء . اما فيما بين هاتين الساعتين ، فانه يكون مشغولا بقيادة سيارته التى تحمل المسافرين الذين هبطوا فى ريبلز كورنر ، الى مدينة سان جوان دى لاكروز ، ثم العودة بغيرهم من هذه المدينة الى ريبلز كورنر حيث يستقلون السيارة العامة الذاهبة الى الشمال فى تمام الساعة الرابعة والخمسين دقيقة ، أو الاخرى الماضية الى الجنوب فى الخامسة والربع

وعندما يكون المستر جون شيكو مشغولا بقيادة السيارة ، يقوم بالعمل فى الجراج غلمان أو شبان دون العشرين من العمر عادة يتفاوتون فى اظهار البراعة والمقدرة على العمل ، ولكنهم يتفقون فى حب الكسل والاهمال والجرى وراء البنات . ولهذا قلما كان يبقى احدهم مدة طويلة فى هذا العمل ، لان جون شيكو ، وهو نفسه رجل بارع نشيط ، كان حريصا دائما على ارضاء عملائه ، فلا يطيق أى خطأ يحدث بسبب الاهمال أو الكسل

وكان معظم الغلمان والشبان الذين عملوا معه ، يتخذون من هذا العمل مجرد « محطة » في طريقهم الطويل الى هوليوود حيث تناديهم الشهرة والثراء ، وحيث تتركز أحلامهم في الليل والنهار

وتقع وراء الجراج دورتان للمياه منفصلتان تماما ، احداهمـــا « للرجال » والثانية « للنساء » وللأولى ممر يؤدى الى يمين الجراج، وللأخرى ممر يؤدى الى يساره

ومن معالم هذه البقعة مجموعة من السنديان الشامخة المحيطـــة بالجراج والمطعم ، لا يعرف أحدمن أنبتها في تلك البقعة ، وانما المؤكد أنها تزيد في العمر عن مائتي عام • وهذه الاشجار البديعة تزود المحطة في الصيف بالظلال الوارفة التي يتظلل بها المسافرون للراحة ولتناول الغداء ، ولتبريد محركات سياراتهم الخاصة • وكانت المحطة نفسها جميلة تسر العين ، مطلية باللونين الاخضر والاحمر ،وتدور بها أصص الازهار العاطرة ، وتمتد أمامها الرمال البيضاء التي ترش كل يوم بالماء • أما في داخل المطعم والجراج ، فكان النظام مستتبا ، وكل شيء يسير في دقة وترتيب ، مع الحرص الشديد على النظافة وحسن الرواء

وكما كان جون شيكو يعاني الشيء الكثير من مساعديه العمال ، الذين لا يكاد الواحد يقيم معه غير اسابيع قليلة حتى يمضي ليحل آخر محله ، كانت المســز شـــيكو تعـــاني من نفس المشـــكلة مع مساعداتها من العاملات في المطعم . فالجميلة منهن لا تلبث ان تترك العمل بعد أيام قليلة مع أحد العملاء ، ونصف الجميلة لا تكف عن التأوهات وهي تنصت إلى الاغاني ، ولا تتعب من كتابة الرســائل المطولة إلى الممثل المشهور كلارك جيبل • كما هو الحال مع هذه الفتاة التي كانت تعمل معها عند وقوع أحداث هذه القصة ••

إنها الفتاة نورما التي يملأ كلارك جيبل خيالها ، ويجعلها هدفـا طيبا لقذائف لسان المسز أليس ، لاسيما عندما تكون هذه الاخيرة متعبة متوترة الاعصاب

ونظام العمـــل في المحطة لا يتغير في الصـــباح . فعنـــدما تشرق الشمس ، وربما قبل أن تشرق في الشتاء ـ تكون اليس قد أعدت ابريق القهوة الضخم لاستقبال أصحاب وسائقي السيارات الخاصة أو سيارات النقل البرى ، أو منـــدوبي اقســـام البيع والتوزيع في

الشركات الذين يبدأون السفر ليلا حتى تتسع ساعات النهار لنشاطهم الموفور . وكان هؤلاء وهؤلاء يجدون في قاعة المطعم ، وفي تلك الساعات المبكرة ، الراحة والدفء والافطار الشهي . ثم يبدأ السائحون وغيرهم من المسافرين في الوفود بعد شروق الشمس ، اما لتناول الطعام ، أو لشرب القهوة ، أو للسؤال عن اتجاه الطريق.

وكان السياح أو المسافرون الوافدون من ناحية الشمال لا يهمون نورما في قليل أو كثير ، وانما كان اهتمامها يتركز في الوافدين من الجنوب ، من مدينة سان جوان دي لاكروز ، لان الاحتمال كبير في انهم مروا في طريقهم بهوليوود ، كعبة آمالها ، ومثابة فارس احلامها . اذ من يدريها ، فانها قد تجد بينهم من رأى كلارك جيبل وجها لوجه . وكانت نورما تبدأ رسائلها المطولة الى جيبل بهذه العبارة « عزيزى المستر جيبل » ثم تختتمها قائلة « حبيبتك المجهولة » . وكانت ترتعد بالانفعال وهي تكتب الكلمتين الاخيرتين، وكأنما تتوقع أن يعرف « جيبل » من هي هذه الحبيبة المجهولة

وفي بعض الاحيان كان تمني النفس بأنها سوف ترفع عينيها الحالمتين — يوما — وهي تمسح مائدة الخدمة وتلمعها — فترى الباب يفتح ، ويدخل منه فارس احلامها « جيبل » ويقف متسمرا في مكانه حين يراها ، ويفتح فمه دهشة لجمالها ، وتقول عيناه بوضوح : « آه ، هذه هي فتاة أحلامي »

وعند هذا الحد كانت أحلام نورما تتوقف ، لانها من النوع الشديد الحياء والخجل . وعدا هذا لم تكن في تلك السن ، التاسعة عشرة من العمر ، قد عرفت بعد كيف تمارس الحياة الزوجية . وكانت مظاهر الحب الجنسي في حياتها لا تعدو صراعا عنيفا متصلا مع الذين يحاولون اغتصابها رغما عنها ، فيمزقون ملابسها ، ولكنها كانت في كل مرة تخرج ظافرة منتصرة ، وكانت تعرف في قرارة نفسها ان « جيبل » لا يمكن ان يفعل هذا معها ، لانه رجل مهذب . ولم تكن نورما بارعة الجمال ، كما لم يكن شكلها منفرا ، فهي فتاة لا تخلو من الجمال اذا انت جلست معها مرة بعد مرة وجعلتها تألفك وتطمئن اليك . فهنا تلتمع عيناها الواسعتان بالحنين ، وتفتر شفتاها الورديتان عن ابتسامة فيها طفولة واليناس،

وربما اضطرب صدرها البارز قليلا عندما تطيل نظراتك الى عينيها

وكانت تمتلك قطعتين من الحلي ورثتهما عن أمها ، سوار من الذهب المنقوش ، وقلادة من اللؤلؤ الزيف والمحار . ولكنها كانت تعتز ، الى حد الجنون ، بقطعتين أخريين من الحلي اشترتهما من مالها الخاص : دبلة زواج ، وخاتم زواج مرصع بقطعة كبيرة من الماس المقلد وكانت شديدة الحرص على اخفاء هاتين القطعتين اثناء النهار في قاع حقيبة ملابسها التي لاتتركها مفتوحة أبدا . حتى اذا جن الليل ، وضعت الخاتمين في اصبعها الخنصر ، ونامت وعلى شفتيها ابتسامة راضية

□

أما غرفات النوم في المطعم ، فكانت قليلة وبسيطة وبعيدة عن الانظار . ففي جانب الجدار الواقع وراء مائدة الخدمة ، يوجد باب يؤدي الى ممر صغير ينتهي بغرفة نوم جون شيكو وزوجته ، وهي تحتوي على سرير عريض لشخصين ، ومنضدة ، ومتكأ مريح ، وثلاثة مقاعد ، ومصباح ذي ظلة خضراء ، وعلى الارضية سجادة من نوع جيد

وتؤدي هذه الغرفة الى غرفة نوم نورما مباشرة ، وذلك ان المسز أليس كانت حريصة على رعاية الفتاة التي تعمل معها في هذه الناحية الاخلاقية ، وترى انها مسئولة عنها بطريقة مباشرة . ومن ثم كان على نورما ان تمر بغرفة أليس عند دخولها الى غرفتها أو عند الخروج منها . أما الحمام الصغير ، فكان يقع في الممر

الفصل الثانى

جون شيكو

كانت فلول الليل فى النزع الاخير عندما سار جون شيكو حاملا المصباح الى باب الجراج • وكان الشاب « بمبلز » يسير وراءه مترنحا وعيناه مثقلتان بالنوم ، ويداه فى جيبى سرواله ، وجسمه النحيل يرتعد من الهواء البارد المثقل بعبير الزهور ورائحة الحقول، والذي كان يهب من الشمال عبر التلال والحقول

وتناول شيكو من جيب ملابس العمل حلقة مفاتيح ، اختار منها مفتاحا كبيرا وفتح باب الجراج ، ثم اضاء المصباح الكهربائي الذى يتوسط السقف ، واطفأ المصباح الذى كان يحمله ، ثم تناول مجموعة من الآلات والادوات . وراح يختار منها ما يحتاج اليه ، بينما وقف بمبلز كارسون بجانبه ، معتمدا بمرفقه على منضدة للعمل ، يرقبه ، فى تكاسل وصمت ، ويحاول جاهدا أن يطرد بقايا النوم من عينيه

وكان بمبلز غلاما فى نحو السابعة عشرة من عمره ، طويل القامة ، نحيل الجسم ، ضيق الكتفين ، شاحب لون العينين ، يمتلىء وجهه المستطيل بحب الشباب المزمن الذى جعل أهله ومعارفه يطلقون عليه « بمبلز » ، والذى اكد له الاطباء انه سوف يزول بعد أن يتجاوز الثانية والعشرين من عمره ، ولكنه مع هذا لم يكف عن شراء الادوية والمراهم التى يقرأ عن فائدتها فى آزالتها

وكان فى ذلك الصباح يرتدى سترة جلدية من النوع الذى يرتديه راكبو الدراجات البخارية فى المسافات الطويلة ، وسروالا ضيقا ازرق اللون ، ونعلا خفيفا له اربطة تدور حول أعلى القدمين . ووضع جون شيكو ما اختاره من آلات وادوات فى كيس جلدى ثم قال لبمبلز :

ـ هات مصباح العمل ذا السلك الطويل واتبعني الى السيارة يا بمبلز . هلم استيقظ وافتح عينيك واطرد بقايا النوم عن راسك

وانتفض بمبلز كما يفعل الكلب الكسول ، ثم قال :

ـ يبدو أن النوم يريد ان يغلبني على أمرى

ـ دعك من الكسل ، وهلم احمل المصباح واللوح الخشبي ، فقد آن لنا ان نفرغ من اصلاح تروس السيارة

وتناول بمبلز المصباح الكهربائي الموضوع داخل شبكة من اسلاك الحديد تحفظه من الكسر ، وراح يكر سلكه الطويل المغلف بالمطاط

ثم وضع « الكبس » فى « الفيشة » القريبة من باب الجراج ،وحمل بيده الاخرى اللوح الخشبي المبطن بالمطاط الذى يوضع عادة تحت السيارة عند اصلاحها لينام عليه من يقوم بعملية الاصلاح . ولكنه ما كاد يبتعد قليلا عن الجراج فى الطريق الى السيارة حتى هتف قائلا حين شعر بقوة الريح الباردة تزداد :

ـ يا للسماء ، انها اذا امطرت فسوف تزيد الامور تعقيدا !

وكانت قمم الجبال فى الشرق قد بدأت تنكشف قليلا مع الفجر الزاحف ببطء ، وكان ضوء المصباح ينعكس على الارضية المفروشة بالرمال ، ويكشف عن أوراق أشجار السنديان المتساقطة . ووضع بمبلز اللوح تحت الجزء الخلفى من السيارة الحافلة وهو يكرر القول :

ـ انها اذا امطرت . . .

فقاطعه جون شيكو قائلا :

ـ ان المطر لايهمني فى الوقت الحاضر ، وانما المهم هو اصلاح هذا الترس الذى انكسر ثم تهدئة ثائرة الركاب الذين اضطروا الى قضاء الليل هنا

وكان الجزء الخلفى من السيارة مرفوعا عن الارض قليلا فوق حمالتين من الروافع الخشبية ، وكانت العجلتان الخلفيتان مفصولتين عن محاورهما ، وغطاء المحرك ـ الواقع فى مؤخرة السيارة ـ مرفوعا أيضا ، وعلى الجملة كان كل شيء معدا لعملية الاصلاح

وقال جون بمبلز وهو يرقد على اللوح تحت السيارة :

ـ قرب المصباح منى يا بمبلز ، نعم ، هكذا اذكر انى وضعت ترسا

جديدا ذات مرة في محور قديم ، فتحطم بعد ساعات قليلة من الاستعمال

فقال بمبلز :

ـ ان صوت تحطم الترس يجعل الانسان يضرس ، ثم يشعر ان شيئا ما تحته قد انفلت . ترى ، ما الذى جعل هذا الترس يتحطم يامستر شيكو ؟

فقال شيكو وهو يبدأ فى العمل :

ـ لا ادرى ان هناك اشياء كثيرة لا يعرفها الانسان عن خصائص المعدن . انظر مثلا الى مصانع فورد ، انها تنتج السيارات بالمئات فى اليوم الواحد ، ولكنك تجد فى كل مائة سيارة اثنتين أو ثلاثة رديئة جدا مع انها خرجت من نفس المصنع ، وصنعت بنفس الآلات ، ومن نفس المعادن ؟ والعجيب أن دائرتها لا تقتصر على جزء معين منها او بضعة اجزاء ، وانما تشملها كلها ، فاذا كل واحدة منها تنهار تماما بعد بضعة اسابيع أو اشهر من استعمالها . وفى الوقت نفسه تجد فى كل مائة ثلاث أو أربع سيارات تمتاز بمتانة مذهلة ، دون سبب معروف فتظل الواحدة منها سليمة تماما سنوات وسنوات دون أن يحتاج صاحبها الى اصلاح شيء فيها

فقال بمبلز :

ـ كانت لدى واحدة من هذا النوع ، بعتها اخيرا واعتقد انها ستظل سليمة سنوات عديدة . واذكر انى لم أصرف عليها مليما طيلة السنوات الثلاث التى ظلت فيها ملكا لى

فقال جون :

ـ ان المعدن عنصر عجيب . ويخيل لى انه يتعب احيانا .. حسنا .. قرب المصباح نحو الجانب الايسر ، اعلى قليلا . والآن ناولنى المفتاح الكبير

وقال بمبلز بعد برهة من الصمت :

ـ أرجو أن تتمكن من تسييرها اليوم ، لانى اريد أن اقضى ليلة اخرى نائما على مقعد غير مريح

فأرسل جون شيكو ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ أرأيت فى حياتك اشخاصا أشد جنونا من اصحابنا هؤلاء عندما اضطررنا للعودة الى المحطة بعد تحطم الترس . أن من يراهم عندئذ

ليظن اننى كسرت الترس عن عمد لكى يقضوا الليل عندنا ! ويبدو انهم ظنوا هذا ايضا ، ومن ثم راحوا يصبون غضبهم على المسكينة اليس طيلة المساء وكانما هى المسئولة عما حدث . والواضح ان الناس بوجه عام لا يحبون أن يعوقهم شىء أثناء السفر

وهز بمبلز كتفيه وقال :

ـ أيا كان الامر فقد ناموا فى أسرتنا ، فلماذا يضجون بالشكوى ؟ ان الذين من حقهم ان يتذمروا ، هم انت وأنا واليس ونورما ، لاننا امضينا ليلنا نائمين على المقاعد . واعتقد ان اسرة بريكارد كانت اشدهم تذمرا وضجيجا ، ولست أعنى الفتاة ميلدرد ، وانما أعنى والديها العجوزين . ان والدها العجوز يظن اننا نريد أن نسرقه ، ولهذا لا يكف عن تذكيرى بأنه رئيس شركة او هيئة أو ما لست ادرى ماذا ، وانه سيعرف كيف يجعلنا نندم على ما اقترفنا فى حقه وقد نام هو وزوجته فى سريرك يا سيدى ، فأينَ نامت اذن ابنتهما ميلدرد ؟

فقال جون :

ـ اظن على المتكأ ، او ربما مع ابويها . أما صاحبنا مندوب شركة العاب التسلية فقد نام فى غرفة نورما

فقال بمبلز :

ـ اننى أميل الى هذا الشاب ، فهو لم يتذمر أو يشكو ، وانما قال ان هناك ظروفا لا يسع الانسان فيها الا ان يرضى بما هو مقدر عليه . اتعرف الى أين تريد اسرة بريكارد ان تذهب ؟ الى المكسيك فى رحلة تستغرق اسبوعين ، وميلدرد سوف تقوم بالترجمة لهما لانها درست الاسبانية فى الجامعة

وفجأة سطع الضوء الكهربائى فى قاعة المطعم ، فالتفت جون اليه وقال :

ـ لقد استيقظت اليس ، هذا يعنى أن وقت شرب القهوة قد ازف ، هلم يا بمبلز ، تعال وساعدنى فى تركيب هذا المحور ، لقد أوشكنا على الفراغ

وفيما كان ضوء الفجر ينسلل بالنور والدفء على المنطقة ، قال بمبلز متسائلا :

ـ ترى كم عدد المسافرين الذين ستحملهم سيارة شركة جريهاوند

الينا في الصباح ؟

وفجأة استبدت به فكرة طارئة نبعت من شعوره الطيب نحو المستر شيكو . ومن ثم وجد نفسه يقول مترددا :

ــ مستر شيكو ؟

وتوقف جون عن العمل برهة وقد ادرك ما في لهجة بمبلز من رجاء . ترى أي شيء يريد الغلام الان ؟ اجازة أم زيادة في الاجر !

وظل بمبلز صامتا كأنما يعجز عن النطق بما يريد ، فقال له جون :

ــ هه ! ماذا تريد ؟

ــ هل . . هل يمكن ان نتفق يا مستر شيكو ــ نتفق على الا تناديني باسم بمبلز مرة اخرى ؟

فارتسمت امارات الاندهاش برهة على وجه جون ، ولكنه لم يلبث ان استدار بوجهه الى عمله ثم قال ببطء :

ــ وما هو اسمك الحقيقي اذن !

ــ اد . ادوارد كارسون ، وأمت بصلة القرابة للسناتور كيت جارسون ، وقد كان زملائي في المدرسة الابتدائية يسمونني باسم قريبي هذا ، اى كيت

وكان يتحدث بصوت هادىء ، ولكن صدره كان يرتفع وينخفض بسرعة ، وأنفاسه تتردد بصوت مسموع

وقال جون وهو يثبت المحور الاخير في الترس :

ــ حسنا ! والآن ، جهز الشحم والزيت

وأسرع بمبلز الى الجراج ، ثم لم يلبث أن عاد بعلب الشحم وبخرطوم الزيت . وبعد أن فرغ الاثنان من هذه العملية ، قال جون للغلام :

ــ كيت ، نظف يديك وانظر هل أعدت اليس القهوة . ارجوك

وسار بمبلز في هدوء نحو باب قاعة الطعام ، وقبل أن يصل اليه، وقف تحت سنديانة وهو يحس بدفء البهجة يسرى في دمائه

والتفت فجأة نحو جون الذى كان قد بدأ يخرج من تحت السيارة، ثم قال في صوت هامس :

ــ بارك الله فيك يا جون ، انك لرجل طيب القلب حقا

الفصل الثالث

اليس شيكو

عندما اطل قرص الشمس من وراء قمم الجبال في الشرق ، نهض جون شيكو واقفا بجانب السيارة ، ومسح القذر عن وجهه ويديه ، ثم تقدم نحو باب معقد القيادة وأدار مفتاح المحرك ، ثم ضغط براحة يده على صمام « المارش » ، فصدر ازيز خفيف فاذا بالمحرك يلتقط الشرراة الكهربائية فيدور . وضغط جون على صمام البنزين قليلا قليلا ، وارتفع في الجو هدير المحرك برهة ، ثم رفع يده وتركه يدور برتابة وتنغيم . ونظر الى العجلات الخلفية المرفوعة عن الارض وهي تدور في الهواء ، ثم تنهد في ارتياح وهو يسمع حركة المحرك الرتيبة المنغمة

وفي الوقت نفسه ، تقدمت اليس شيكو ـ والتعب يبدو على وجهها بسبب نومها على المقعد طيلة الليل ـ وفتحت باب قاعة الطعام ، ووقفت برهة تنظر الى السيارة المتألقة في ضوء الشمس ، وتنصت الى هدير المحرك ، وترقب العجلات الخلفية وهي تدور في الهواء ، ثم عادت الى مكانها وراء مائدة الخدمة ، وأغلقت صمام الموقد الذي كان ابريق القهوة فوقه ، ثم مسحت سطح المائدة بالمنشفة نصف المبللة ، وهنا لاحظت ان جانبا من كعكة جوز الهند الموضوعة في الوعاء الزجاجي قد اقتطع اثناء الليل

ودخل بمبلز ورائحة الشحم والوقود تفوح منه ، وجلس على احد المقاعد المستديرة المثبتة أمام مائدة الخدمة ، وقال باسما :

ـ لقد فرغنا من اصلاحها والحمد لله

فقالت اليس في تهكم :

ـ فرغتم ؟ انت ومن ؟

ـ أوه ، أعنى المستر شـــيكو طبعا • لقـــد قام بكل النواحى الفنية فى عملية الاصلاح . حسنا ، أرجو أن تعطينى الآن قدحا من القهوة وقطعة من كعكة جوز الهند

فقالت وهى تزيح خصلة من الشعر عن عينيها :

ـ لقد أخذت جزءا منها اثناء الليل ، وهذا يكفى

ـ اضيفى ثمن ما اخـذته فى قائمـة حسابى ، اننى أدفع ثمن ما آكله هنا ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، ولكن لماذا لاتكف قليلا عن أكل الحلوى طيلة النهـــار ؟ أراهن أن اكثارك من أكل الحلوى هو السبب فى كل هذه البثور التى تملأ وجهك . لماذا لا تريح معدتك منها قليلا ؟

فنظر بمبلز الى أصابعه التى تحمل اثار العمل ، ثم قال :

ـ ان الحلوى من الاطعمة التى تزود الانسان بالكثير من الطاقة الحرارية والنشاط والرجل الذى يعمل كثيرا يحتاج دائما الى مثل هذا النوع من الاطعمة ، ولهذا فانها تقدم للعمال فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، أى عندما تبدأ طاقة النشاط فى الهبوط . وأنا أعتقد يا مسز شيكو أنك فى حاجة الى طعام من هـــذا النوع اليوم

فردت عليه بجفاء قائلة :

ـ ان حاجتى الى طعام كهذا مثل حاجتك الى . . .

ولم تتم الجملة ، وتركته يفهم منها ما يريد ، ثم صبت بعض القهوة وبعض اللبن فى قدح كبير ، ودفعت به الى بمبلز عبر مائدة الخدمة . ونظر الغلام برهة فى شرود ذهنى الى صورة الفتـــاة العارية المرسومة على لوحـــة اعلان بالقرب من جهـــاز الموسيقى والاغانى . ثم وضع فى قدحه أربع ملاعق صغيرة من السكر وراح يقلبها ، وهو يقول باصرار

ـ اريد قطعة من كعكة جوز الهند

ـ آه ، حسنا ، أنت وشأنك . واخشى أن تصـــاب بمرض البول السكرى يوما

واختلس بملبز نظرة الى قوام اليس الجميل ، ثم اشاح بوجهه فى سرعة قبل أن تلمحه اليس ، وأخيرا قال وهو يلتهم قطعـــة من الكعكة المقدمة اليه :

ـ الم يستيقظ هؤلاء الناس بعد ؟

ـ لا لا، ولكنى سمعتهم يتحركون فى غرفاتهم ، ويبدو أن أحدهم قد استعمل الماء الساخن الموجود فى الخزان

ـ لابد انها ميلدرد

ـ ماذا ؟

ـ أعنى الفتاة . لعلها استحمت بهذا الماء

فحدقت النظر فى وجهه وقالت بحزم :

ـ ركز تفكيرك فى طعامك الموفور بالطاقة الحرارية ولا تشغل نفسك بامور أخرى !

ـ اوه ، اننى لم أقصد شيئا ما ، أن فى هذه الكعكة ذبابة

وحملقت المسز شيكو فى صحنه ، فوجدت لدهشتها ذبابة تتلوى ، فغمغمت قائلة :

ـ عجبا !

ـ انها لا تزال ترفس

وتناولت السيدة صحن الكعكة والقت بما فيه فى صندوق القمامة وراءها ، ثم نفضت يديها وتلفتت حولها كأنما تبحث عن المنفذ الذى جاءت منه الذبابة

وقال بمبلز :

ـ وماذا عن قطعة كعكتى ؟

ـ لسوف أعطيك قطعة أخرى بدلا منها ، ولست أدرى لماذا أنت الذى يسقط الذباب فى طعامك ؟ !

ـ لانى سعيد الحظ دائما

ـ ماذا ؟

ـ أقول لانى ...

فقالت وقد بدأ توترها العصبى يزداد :

ـ سمعت ما قلت ، ويحسن أن تحذر فى اقوالك والا وجدت نفسك خارجا من هنا بأسرع مما ينطلق الخائف من النار العالقة بملابسه . فأنا لا يهمنى أن كنت ميكانيكيا بارعا أم لا ، وانما أنت فى نظرى مجرد غلام ثرثار .. دميم الوجه

وكان بمبلز يحنى رأسه امام غضبها المتزايد وهو مندهش لهذه

الثورة النفسية المفاجئة ، واخيرا قال مضطربا :

ــ انني لم أقل شيئا ، الا يستطيع الانسان أن يمزح قليلا ؟

وادركت أليس أنها بلغت من الناحية النفسية هذه النقطة التى قد تنطلق بعدها فى ثورة عصبية رهيبة تشمل كل كائن حى حولها ، أو أن تتمالك نفسها وتخفف من حدة توترها ، وتعود الى الهدوء تدريجيا . واخذ عقلها يحلل الموقف بسرعة :

ان زوجها أيضا لم يقض ليلة مريحة ، وقد بذل جهدا عنيفا لاصلاح السيارة ، وان عليه ان يمضى بها فى الموعد المحدد بعد وصول سيارة شركة جريهاوند ، فاذا هى أثارت ضجة لا مبرر لها ، فانه قد يثور أيضا ويضربها . وقد ضربها ذات مرة ، ولم تكن الضربة عنيفة ، وانما كانت من القوة بحيث ظنت أنها ستقتلها . ثم هناك الخوف الذى لا يفارقها أبدا ، الخوف من أن يهجرها جون ذات يوم . لقد عاش مع نساء كثيرات وهجرهن ولكنها لا تعرف كم عددهن ، لانه لم يتحدث عنهن أبدا . ولكن رجلا له مثل جاذبيته لابد وأن يكون قد عرف فى حياته نساء كثيرات . لقد خطر لها هذا كله فى لحظة خاطفة ، قررت بعدها ان تهدىء من ثائرتها ، وان تتمالك أعصابها وسرعان ما لانت ملامح وجهها ، فتناولت السكين وقدمت لبملز قطعة كبيرة من الكعك ، وهى تقول فى شبه اعتذار :

ــ ان أعصابنا جميعا متوترة اليوم

فرفع بملز عينيه اليها بسرعة ، ولمح بعض تجاعيد السن على عنقها ، ولاحظ غلظة اجفانها ، ورأى يديها وقد فقدتا طراوتهما وليونة أصابعهما وأحس بالاسف من اجلها . لقد ادرك فجأة أن شبابها ولى ، والشباب فى رأيه هو الشىء الوحيد المهم فى الحياة ، فاذا ضاع ، ضاعت معه الحياة . لقد نال فى ذلك الصباح نصرا عظيما مع جون ، وها هو ذا الآن يرى ما يبدو على أليس من ضعف وتردد فلماذا لا ينتزع نصرا آخر ؟ وعندئذ قال :

ــ لقد أكد لى المستر شيكو أنه لن يناديني باسم بملز مرة أخرى

ــ لماذا ؟

ــ لانى طلبت منه الا يناديني بهذا الاسم . انني أدعى ادوارد ، وكانوا فى المدرسة يسمونني كيت ، أى باسم قريبى السناتور كيت كارسون

ـ وهل يناديك جون باسم كيت ؟

ـ نعم

ولم تفهم اليس فى الواقع ماذا يقصد بمبلز . وكانت فى الوقت نفسه قد سمعت حركة فى غرفة النوم وراءها ، سمعت وقع اقدام واصوات حديث خافتة . ولما اصبحت الآن شاعرة بوجود هؤلاء الغرباء ، احست بمزيد من الميل الى بمبلز ، لانه ليس بالنسبة اليها غريبا . ومن ثم قالت :

ـ حسنا ، سوف اناديك باسمك

وكانت الشمس المشرقة قد بدات فى خلال هذه الفترة تغيم وراء سحب متكاثفة بسرعة ، وفجأة قصف الرعد من بعيد ، فمضى بمبلز الى الباب وفتحه واطل برأسه الى الخارج ، ثم لم يلبث أن تراجع بسرعة حين وجد الامطار قد بدات تنهمر بغزارة متزايدة . وقبل ان يغلق الباب لمح جون وهو يحتمى من المطر المفاجىء داخل السيارة التى كانت عجلاتها الخلفية لا تزال تدور فى الهواء ، ثم رآه وهو يثب منها ويسرع الى قاعة الطعم ، فبادر هو ـ أى بمبلز ـ الى فتح مصراعى الباب لجون الذى مرق منهما مسرعا ، ولكن ملابس العمل كانت قد تبللت رغم المسافة القصيرة الواقعة بين السيارة والباب

وقال جون وهو ينفض بعض قطرات المطر عن ملابسه :

ـ يا الهى ، انها لامطار غزيرة مفاجئة

وحجب جدار المطر الرمادى منظر الجبال البعيدة ، وملأ المكان بضوء معدنى قاتم ، واثقل اوراق الزهور فانحنت تحت وطأته ، ولم تلبث الارض أن تشبعت به ، فأخذ الفائض منه يجرى فى جداول صغيرة متشعبة الى الاماكن المنخفضة ليتجمع فيها ويصنع بركا صغيرة ، وظل الرعد يقصف بشدة فوق سقف قاعة الطعام فى ديبلز كورنر

وكان جون قد جلس الى مقعد بالقرب من احدى النوافذ ، وراح ينظر الى وابل المطر المنهمر ، وهو يشرب القهوة الممزوجة باللبن ويمضغ قطعة من فطير جوز الهند . ولم تلبث نورما أن اقبلت

بعملها تغسل الاطباق القليلة فى الحوض الصغير النظيف الواقع

وراء مائدة الخدمة

وقال جون لها :

ـ اتسمحين لى بقدح قهوة آخر ؟

فتقدمت نحوه من الجانب القريب من مائدة الخدمه ، وفيما هى تقدم اليه قدح القهوة ، ارتعدت يدها وانسكب قليل منهـــا فى الصحن ، فتناول جون فوطة من الورق الخفيف وازال بها القطرات المسكوبة وهو يقول للفتاة المضطربة فى رفق :

ـ انك لم تنالى كفايتك من الراحة الليلة ؟ أليس كذلك ؟

وكان وجه الفتاة شاحبا يبدو عليه الارهاق ، وثوبها مكمشا ، وترتسم عليها هذه السمات التى تنم على أنها ستفقد شبابها قبـل الاوان ، وقد اجابت على جون قائلة :

ـ لم أستطع النوم كثيرا هذه الليلة ، حاولت أن أنام على الارض، فلم أستطع

ـ حسنا ، سنبذل الجهد حتى لا يتكرر ما حدث الليلة . كان ينبغى أن أستأجر سيارة لنمضى الى سان سيدرو

وقالت اليس وقد بدأت أعصابها تتوتر مرة أخرى :

ـ اننى لا أدرى لماذا أصررت على السماح لهم بالنوم فى أسرتنا ؟ هل كانوا هم الذين سيقومون بالعمل هنا اليوم ؟ أما كان يكفى أن يناموا هم على المقاعد ؟

فقال جون بهدوء :

ـ آه ، فاتتنى هذه الحقيقة

ـ لم يهمك كثيرا أن تعطى سرير زوجتك لينام عليه الغرباء ، ولعلك لن تردد فى أن تعطيه للغير فى أى وقت آخر ..

وشعرت اليس ان زمام أعصابها يوشك أن يفلت من يديها مرة أخرى . وأن نيران الغضب تندلع فى صدرها . ولم تـــكن هى تريد أن تفقد السيطرة على نفسها حتى لاتفسد كل شيء فى يومهـــا ذاك

وفى هذه اللحظات كان المطر ينهمر على سقف المطعم المنحدر ذى الجوانب المصــــنوعة من الآجر ، وكانت نقراته على السقف تزداد لحظة بعد أخرى ، هذا وجون جالس يتأمله من وراء النـــافذة وقد ارتسمت على شفتيه هذه الابتسامة الخفيفة الشاحبة التى تختصها

اليس . وكانت تعرف ، بالتجربة ، انه حين يبتسم هكذا ، فهذا يعني انه ينظر اليها على انها « عينة » من النساء .. على انها امرأة غاضبة بين ملايين النساء اللائي يغضبن كل يوم ، واللائي ينبغي ان يكن موضع الدراسة والتحليل والتسلية . وكانت تعرف ايضا أن الفارق بينها وبينه كبير في النظر الى الامور . فبينما هو يملأ عليها حياتها ويحجب عنها كل شيء عداه ، كانت هي ـ كما تحس ـ لا تحجب عنه شيئا . انها تشعر أنه لا يراها فقط ، وانما يرى خلالها ، ويرى ما حولها ، وانها لتذكر ما شعرت به من فزع حينما ضربها أول مرة ، انها لم تفزع من الضربة نفسها . بل على النقيض . لقد شعرت بعدها بالرضا والابتهاج والاثارة العاطفية ، وانما الذي أفزعها حقا أن جون ضربها وكأنما هو يسحق حشرة صغيرة لا قيمة لها . انه لم يهتم كثيرا بعد ذلك ، بل انه لم يكن غاضبا حدا حين ضربها ، وانما كان فقط متوتر الاعصاب ، وكأنمـا قد أراد أن يقول لها « اسكتي » . ولم تكن أليس تريد في ذلك الحين الا ان تجذب انتباهه اليها . كما آرادت الآن . ولكنها أدركت من نظرات عينيه أنه انفلت منها . وأخيرا قالت بصوت متردد :

ــ لقد جاهدت في تأثيث غرفة نوم جميلة لنا .. غرفة سجادة ، ومتكأ ، وستائر ، ومقاعد وسرير كبير ، ثم اذا بك تقدمهـا هـكذا ببساطة الى مجموعة من الغرباء لينامو افيها : هـذا بينما تترك زوجتك تقضي الليل كله على مقعد !

ورفع جون عينيه الى نورما وقال

ــ نورما ، هاتي قدح قهوة آخر ، وأكثري من اللبن فيه أرجوك

وأحست اليس بالغضب يفور في نفسها ، ولكن جون التفت اليها وقد تغيرت نظرته مرة أخرى ، ممـا جعلها تشعر انه في هذه المرة يراها حقا ، وفجأة ابتسم وقال برفق :

ــ ان ما حدث في الليلة الماضية لا يضيرك ، فانه سيضاعف متعة النوم في الفراش هذه الليلة

وكتمت انفاسها فجاة ، وغمرتها موجة حارة جعلت غضبها يتحول فجأة الى رغبـة جنسية ، فابتسمت في عينيه ، ولعقت شفتيها وقالت هامسة بصوت يسيل رقة ونعومة :

ـ يا خبيث !

ثم تنهدت بعمق وأردفت قائلة :

ـ أتريد بيضا ؟

ـ نعم ، بيضتان مسلوقتان

ـ اتحب أن يكون معهما كمية من السجق !

ـ لا ، مجرد قطعة من الخبز ، وجانب من كعكة التفاح

وقالت آليس وهي تقدم هذه الاشياء :

ـ لماذا لم يخرجوا بعد ؟ أنني أريد الذهاب الى الحمام

فقال جون :

ـ يبدو من تحركاتهم في الداخل أنهم على وشك الخروج

وكانت حركة النزلاء في غرف النوم مسموعة بوضوح ، فقد سمع الجميع في الخارج ، صوت باب يفتح في الداخل ، ثم صوت سيدة ، وهي تقول بحدة :

ـ ما هذا ؟ كان يجب أن تنقر على الباب

ثم صوت رجل يجيب :

ـ انني آسف ياسيدتي ، إن المنفـــذ الآخر للخروج من غرفتي هو النافذة

ثم صوت رجل آخر يقول بلهجة تنم عن السلطة والنفوذ :

ـ ولكن هذا لم يكن يمنعك من الطرق على البـاب قبـل أن تفتحه يا صاحبي ، آه ، هل أصيبت قدمك بشيء ؟

ـ نعم

ولم يلبث الباب الواقع وراء مائدة الخدمة أن انفتح وظهر منه رجل قصير راح يقبل على قاعة الطعام ، وكان مرتديا بذلة كاملة ، وقميصا بني اللون من النوع الذي يرتديه الاشخاص الكثيرو السفر والتنقل ، والذي يسمى « قميص الالف ميل » لانه يتحمل الاتربة والغبار ، ولهذا السبب نفسه كان يرتدي بذلة من اللون المعروف باسم « الملح والفلفل » . وكان وجهه حاد الملامح ، متألق العينين ، على شفته العليا شارب كالدودة السوداء تبدو ـ عندما يتحدث ـ كأنها تزحف ! وكان في جملته يبدو فطينا ، لطيفـــا ، على شيء من الوداعة التي لا تخلو من الثقة بالنفس . وقد قال هذا الرجـــل وهو

يتقدم في غرفة الطعام :

ـ طاب صباحكم جميعا ، انني لا ادرى اين نمتم ؟ واراهن انكم قضيتم الليل جالسين

فقالت آليس بمرارة :

ـ وهذا ما حدث فعلا

وأسرع جون يقول بتلطف :

ـ حسنا ، حسنا ، لسوف نعوض تعبنا الليلة بالنوم مبكرا فى هذا المســـاء

ـ هل اصلحت السيارة ؟ أترى أنه من الممكن السفر فى هـــذا المطر ؟

ـ بكل تأكيد

وعاد الرجل يسير في القاعة وهو يعـرج قليـــلا حتى جلس فى قرب مقعد اليه وأسرعت نورما تقدم له قدح ماء وأدوات الطعـــام والمنشفة ، ثم تقول :

ـ اتريد بيضا ؟

ـ نعم ، بيضا مقليا ، وسجقا ، ورقائق خبز بالزبـد • ولا تنسى ان تكثرى كمية الزبد عليها

ثم رفع قدمه قليلا وراح يتأملهــــا فى ألم وتوجع ، وعندئذ قال له جون :

ـ هل أصبت بالتواء فيها ؟

وفى تلك اللحظة ، فتح الباب مرة أخرى ، وخرج من مثابة النوم رجل متوسط الطول ، يضع نظارة على عينيه ، ويرتدى ملابســـه بعناية ملحوظة ، وتبدو عليه سمات الوقار والاعتداد بالنفس . وكان كل شيء فيه ينم على أنه من رجال الاعمال • وبدون أن يحيى أحدا ، قال :

ـ ان المسز بريكارد ، زوجتى تريد بيضا مقليا ، ورقائق خبز بالمربى ، اما ابنتى المس بريكارد فهى لا تريد غير كوب من عصـــيرا البرتقال وقدح من القهوة ، أما أنا فأريد طبق كريمة بالمكسرات ، وبيضا مقليا ، ورقائق خبز بالزبد ، وقهوة بوســـتون ، أى قهوة نصفها لبن . ويمكنكم احضار هذا كله الينا على صحفة كبيرة

وعندئذ قالت آليس له فى غضب وحدة :

ــ اننا لا تقدم الطعام الى احد بهذه الطريقة ، يحسن أن تأتوا وتتناولوا طعامكم هنا ، على احدى الموائد

فنظر المستر بريكارد اليها ببرود وقال :

ــ لقد احتجزنا هنا رغما عنا ، وهذا يعنى ضياع يوم كامل بلا أية فائدة . واذا كانت السيارة قد تعطلت ، فلست أنا المسئول عن ذلك ، وان أقل ما يجب أن تفعلوه لنا هو أن تأتوا بالطعام الينا فى غرفة النوم ، ان زوجتى تشعر بالتعب ، ولم أتعود أنا على الجلوس فى مقاعد من هذا النوع السوقى ، وكذلك الحال مع المسز بريكارد

فأحنت المسز آليس راسها كما تفعل البقرة الغاضبة وقالت :

ــ اسمع ، اننى أريد الذهاب الى الحمام لاغسل وجهى ، ولكنكم تعترضون سبيلى

فلمس المستر بريكارد نظارته بحركة عصبية ثم قال :

ــ آه ، فهمت

ثم تلفت حوله وقد سرى فى جسمه احساس بعدم الثقة والاطمئنان . وكان المستر بريكارد فعلا من رجال الاعمال ، ورئيس شركة متوسطة الحال ، ولم يحدث أبدا أن وجد نفسه وحيدا فى أى موقف ، فانه يشترك فى العمل مع مجموعة من رجال الاعمال أمثاله ، نفس التفكير ، ونفس النظرة الى الحياة ، وهو يتناول عادة طعام الغداء مع زملاء مثله فى ناد يضم أعضاء مثله ، وهو يقضى سهرات مع أشخاص من طبقته ، ومن مستواه الفكرى ، من الوسط الذى يعمل فيه . وعلى الجملة فهو أينما ذهب لا يكون وحيدا ، أو فردا ، وانما هو وحدة فى مجموعة يتحرك أفرادها معا ، ويفكرون معا ، ويعملون معا ، ويدينون بنفس المذهب السياسى ، وبنفس العقيدة الدينية . ولم يحدث بطبيعة الحال أن تعرضت آراؤه للنقد أو التجريح لانه يستمدها من المجموعة التى يعيش فيها ، انه يقرا الصحف التى يصدرها حزبه ، والكتب التى تختارها لجنة ثقافية تعرف ميوله ، وهو يكره الاجانب والبلاد الاجنبية لانه يجد من العسير عليه أن يعرف مكانه من هذه البلاد

وسكانها . وهو أيضا لا يفكر في الخروج على مجموعته ، انه حقا يجب ان يصبح في موضع الرئاسة منها يوما ، ولكن دون أن يخرج عليها . واذا ذهب الى مسرح استعراضي حيث كئوس الخمر المترعة والفتيات العاريات تماما على المسرح ، فانه يضحك عاليا ويصفق طويلا ، ولكن لا يجب أن ينسى أن المسرح في هذه الليلة يكون ممتلئا بخمسمائة رجل من نوع المستر بريكارد

وها هو ذا الآن ، بعد ان سمع كلمات المسز ألبس ، يتلفت حولهفي حيرة وقلق بعد أن وجد نفسه وحيدا ، ليس بجانبه آخر . وتركزت نظراته برهة على الرجل القصير ذى البذلة الرمادية ، وأخيرا هز كتفيه وهو يشعر بالكراهية لهؤلاء الناس ، ولاجازته أيضا . بالرغبة في العودة الى غرفة النوم واغلاق الباب . ولكن هذه السيدة ذات اللسان الحاد تريد ان تغسل وجهها في الحمام . ومعنى هذا أنه لا حيلة له في الامر ، وان عليه أن يخرج مع زوجته وابنته الى قاعة الطعام ولكن المستر بريكارد في أعماق نفسه وحقيقة أمره ليس هكذا حقا . لقد حدث ان أعطى صوته ذات يوم لمرشح لا يدين بمذهبه السياسى ، وهو النائب أيوجين ديبز . ولكن هذا حدث منذ أمد بعيد وحقيقة الامر ان كل واحد في مجموعته يراقب الآخر ، ومن ثم فان أى تغيير في تصرف أحدهم يعرف فورا ، ويوضع على بساط البحث والمناقشة ، فاذا تكرر هذا التصرف المغاير الخارج عن قواعد المجموعة وتقاليدها ، فان صاحب هذا التصرف سيجد نفسه منبوذا لا يقبل أحد ان يتعامل معه . ومقابل هذا فان الذى يسير في ركب المجموعة ، من حقه ان ينعم بحمايتها له . وهذا ما يفعله المستر بريكارد . لقد تخلى عن حريته ، ثم نسى كل شيء عنها . وهو حين يتذكر تصويته في جانب أيوجين ديبز يدرك أنه لم يفعل هذا الا بدافع من طيش الشباب ، لقد صحبه جماعة من أنصار أيوجين الى مسكن احدى الغواني المشهورات ، وهناك سكر معهم وقد أراد أن يثبت لهم أنه لايقل عنهم شبابا وحيوية واقبالا على الحياة ، وبعد ان أمضى الليل مع الغانية الحسناء ، أعطى صوته لايوجين

وانه يبتسم في استهتار كلما طافت به هذه الذكرى من ذكريات الشباب : ولكنه يبتسم اطلاقا كلما تذكر ابنته ميلدرد وتصرفاتها

كفتاة عصرية متحررة

انها تقضي اوقاتها مع اشخاص خطرين في الجامعة : مع طلبة وأساتذة يعتبرون من ذوي الاراء التقدمية الالحادية . وأخطر من هذا أنها تأبى ان تناقش أباها في الشئون السياســــية والمذاهب الاجتماعية ، وكأنما تعرف سلفا ان المناقشة معه لا تجدى ، وانه لن يتزحزح عن آرائه أيا كانت قوة الحجج التي ستسوقها اليه لتأييد آرائها

ولكن الشيء الوحيد الذي يخفف من شعوره بالقلق على ابنته هو ان الزواج وتبعاته سوف تهدىء من فورة آرائها وعنفها

وكان المستر بريكارد في طريقه مع الاسرة الى المكسيك عندما تعطلت السيارة . والواقع انه كان ذاهبا رغما عنه ، وانما اكراما لابنته فقط . ذلك انه كان يكره بلاد المكسيك

وقال اخيرا وهو يتناول نظارته ويمسح زجاجها بمنديله :

ــ حسنا ، سوف اخبر زوجتي وابنتي بالامر ، اننا لم نكن نعرف اننا ازعجناكم الى هذا الحد

وعاد المستر بريكارد الى غرفة النوم ، حيث أخذ يتحدث بصوت مسموع مع زوجته وابنته شارحا لهما حقيقة الموقف . وفي هذه اللحظة ، نهض الرجل القصير من مقعده وتقدم وهو يعرج بألم شديد الى مائدة الخدمة ، وتناول اناء السكر ، وعاد به الى مقعده حيث تهالك عليه وهو يتوجع

وقالت نورما في عطف شديد :

ــ كان في مقدوري أن احمل هذا الاناء اليك اذا شئت !

فقال لها وهو يحاول ان يبتسم :

ــ لم ارغب في ازعاجك

ــ لا ، لا ، أبدا

وأعاد جون قدح القهوة الفارغ الى مكانه

وقال بميلز :

ــ اريد قطعة اخرى من كعكة جوز الهند هذه

وقطعت أليس ، وهي شاردة الذهن ، شريحة كبيرة من الكعكة وقدمتها اليه وسجلت ثمنها في دفتر حسابه

وقال جون للرجل القصير وهو ينظر الى قدمه اليسرى في الحذاء الجلدي الفاخر :

ــ يبدو أن اصابة قدمك بالالتواء مؤلمة جدا

ــ لقد سحق اصابع قدمي رجل بدين جدا منذ يومين . اتحب ان ترى الاصابة ؟ ها هي ذي

وفي تلك اللحظة عاد المستر بريكارد وجلس الى المائدة الثالثة . بينما كان الرجل القصير يخلع حذاء قدمه اليسرى ، ثم نزع جوربه برفق ووضعه بجانبه ، فظهرت قدمه مربوطة بضمادة عليها آثار دماء

وقالت أليس بسرعة وجزع :

ــ أوه ، لا داعي لان ترينا الجرح . ان منظر الدم يخيفني جدا

ــ يجب ان أغير الضمادة على كل حال

وانكشفت قدمه اخيرا ، فاذا الاصابة رهيبة دامية ، واذا الاصبع الكبيرة ، وأصبعان بجانبها منسحقة تماما بحيث تمزق اللحم حولهما

وبعد أن دنا بمبلز من الرجل ، وتسللت نورما مقتربة منه ــ هتف جون قائلا في قلق شديد :

ــ أرى ان اصابتك خطيرة !

ــ نعم ، انها خطيرة فعلا كما ترى

ــ يجب ان تعرضها على طبيب في أول فرصة

فضحك الرجل القصير بابتهاج ، وقال :

ــ هذا كل ما كنت اريد ان اسمعه

ثم وضع طرف اصبع يده تحت شيء ما في قدمه ، واذا بقالب من البلاستيك ينفصل عن القدم المصابة ، او التي كانت تبدو مصابة ، واذا القدم في الواقع سليمة تماما ، واذا هو يمسك بيده قالبا على هيئة نصف قدم من البلاستيك يمثل اصابة خطيرة في الاصابع الثلاثة . أما الدماء القانية فكانت نوعا من الاصباغ التي تنساب بطريقة آلية في الغالب

وضحك الرجل القصير عاليا ثم قال :

ــ ما رايكم في هذه الخدعة ، أليست متقنة الصنع ؟

ثم اردف قائلا بعد ان اقترب المستر بريكارد منه في اندهاش :

ــ انها من انتاج شركة العاب التسلية ، وتسمى « معجزة القدم المصابة »

وتناول من جيبه علبة مفرطحة وضع فيها « القدم » وقدمها الى جون قائلا :

ـ ارجو ان تقبل هذه هدية خالصة مني يا مستر شيكو ، لانك كنت معنا لطيفا واسع الصدر ، انني اقدمها لك مع تحيات آرنست مورتون مندوب شركة ألعاب التسلية والعجائب . ولهذه القدم ثلاثة أحجام . الاول بأصبع واحدة مصابة ، والثاني بأصبعين ، والثالث ـ كهذا الحجم ـ بثلاثة أصابع ، وفي داخلها قطارة صغيرة ممتلئة بلون سائل أحمر يتقاطر على الضمادة ببطء . وطريقة استعمالها موجودة داخل العلبة ، وما عليك الا أن تبللها قليلا بالماء الدافيء عند استعمالها أول مرة ، وعندئذ تلتصق بالقدم الطبيعية وتبدو تماما كأنها هي

وظل المستر بريكارد متتبعا حديث المستر آرنست هورتون وهو يتصور نفسه في ذات الوقت بين اصحابه وقد أخذ يخلع الحذاء ويتظاهر بالالم من اصابة قدمه . بل لقد راح يتمادى في الخيال فيتصور نفسه وهو مع اعضاء مجلس الشركة ، بعد عودته من المكسيك ، ثم وهو يحدثهم عن « قطاع الطرق » الذين أصابوا قدمه أثناء فرارهم من بطشه !

وفجأة قال لمندوب الشركة :

ـ كم ثمن القالب من هذه ؟

فقال آرنست هورتون :

ـ دولارا ونصف ، ولكنني أعتقد ان السعر سيرتفع بسرعة بعد أيام قليلة ، لقد كان الثمن منذ اسبوع دولارا واحدا

فتمتم بريكارد وقد اتسعت عيناه أعجابا ودهشة :

ـ أحقا ! انه ارتفاع مشرف

ـ في استطاعتي الان ان اطلعك على دفتر الاسعار والطلبات التي تنهال علي من أنحاء مختلفة

فأومأ بريكاردو برأسه وقال :

ـ أريد ان اشتري واحدا اليوم قبل ان يرتفع السعر غدا

ـ سأبيعك ما تريد بعد ان أتناول طعام الافطار . هل اعددت رقائق الخبز بالزبد يا آنسة ؟

فقالت نورما وهي تعود الى مكانها وراء مائدة الخدمة :

ــ انها فى الطريق اليك

وعاد آرنست هورتون الى بريكارد ، وقال له :

ــ ان الشاب الذى اخترع هذه « القدم » ظفر بمكافاة ضخمة من الشركة

ــ طبعا ، طبعا ، وهو جدير بها . وانت ؟ لا شك انك تربح كثيرا من بيعها بالجملة

ــ نعم . وعدا هذا فان لدى اثنين أو ثلاثا من أدوات التسلية الحديثة فى حقيبة العينات . وهى ليست للبيع الآن ، ولكن يمكن أن اعرضها عليكم واثير بها الكثير من ضحككم

وهنا قال المستر بريكارد :

ــ هل يمكن ان تبيعنى اليوم نصف دستة من هذه « الاقدام » ؟

ــ اتريدها كلها من حجم « الاصابع الثلاثة »

ــ لا ، لا ، اثنان من كل حجم

وكان المطر لا يزال منهمرا بغزارة ، وكانت أليس جالسة بالقرب من النافذة ، تنظر اليه بذهن شارد ، وأمامها قدح قهوة ، وفى حجرها صحن صغير به قطعة من كعكة جوز الهند

وقال جون :

ــ سوف اعود الى السيارة لادير محركها بعض الوقت ولاطمئن على سلامة التروس مرة أخرى



صيحة الجسد

ما أن خرج آل بريكارد من غرفة النوم حتى قالت نورما بسرعة :

ـ اريد ان اصفف شعرى واغسل وجهى

ثم أسرعت نحو الباب المؤدى الى غرفات النوم ، ولكن اليس لحقت بها وقالت لها ببرود :

ـ انتظرى حتى أخرج.انا من الحمام

ولم تجب نورما ، وانما سارت فى طريقها عبر غرفة نوم المستر والمسز شيكو ، ودخلت غرفة نومها هى ، وأغلقت الباب وراءها بالرتاج . ثم نظرت الى سريرها المفرد الذى غادره أرنست هورتون دون أن يرتبه بعد ان نام عليه ، وكانت حقيبته الخاصة بالعينات موضوعة بالقرب منه

وكانت الغرفة ضيقة ، ليس بها غير نافذة واحدة تؤدى الى الممر الواقع وراء المطعم ، وقد أسرعت نورما فاغلقت المصراع الخشبى لهذه النافذة ، ثم مضت الى مرآة منضدة الزينة وراحت تتأمل وجهها برهة ، ثم تناولت من صدرها مفتاحا صغيرا كان منسبوكا فى داخل الثوب بدبوس ، وفتحت قفل حقيبة ملابسها بعد ان جذبتها من تحت السرير ، وما أن رفعت الغطاء حتى برزت صورة كلارك جيبل فى أطار فضي ، فرفعتها ، ونظرت الى التوقيع الذى فى ذيل الصورة والذى يقول « مع أجمل الامانى : كلارك جيبل » وكانت الصورة والاطار والتوقيع تباع فى متاجر معينة بثلاثة دولارات

وبعد أن اطمأنت الى حليها الخاصة ، أعادتها الى مكانهـــا فى الحقيبة ، ثم أغلقتها ، واعادت المفتاح الى مكانه من ثوبها ، ثم مضت الى المرآة مرة اخرى ، واخذت تبتسم لنفسها وتكشف عن اسنانها

المنظومة البيضاء ، ثم داعبت خصلات شعرها وتركتها تتهدل على جبينها ، وبعدئذ راحت على الضـوء الرمادى المنساب من زجاج النافذة الى الغرفة ، تتأمل عينيها ، وتجذب أطرافهما ، ثم تعود وتبتسم ثم وقفت على طرفى قدميها ، تلوح بيدها لجمـــوع بشرية وهمية تحييها ، ثم تمشط خصلات شعرها وترسم بقلم الحواجب حاجبيها ، ثم تنضد متمهلة ثوبها وتقف أمام المرآة شبه عارية تتأمل كل لمحة من ملامح جسمها الشاب الملفوف ، ثم تمضى فى حركات رياضية لتجميل الساقين لانها كانت قد قرات عن فوائدها فى مجلة سينمائية بقلم نجمة مشهورة بجمال الساقين ، ولو أنها عرفت الحقيقة ، لعلمت أن النجمة المشهورة لها ساقان جميلتان حقا ، ولكنها لم تمارس تلك الرياضة أبدا ، بل ولم تكتب ذلك المقال !

وفجأة سمعت طرقا خفيفا على الباب ، ثم رات المقبض يتحرك مع شيء من الضغط ،كأنما يريد شخص ما أن يدخل، فاسرعت وارتدت ثوبها وحاولت أن تزيل الكحل عن حاجبيها ، ولكنها استطاعت فقط أن تلطخ به جبينها ، واخـيرا فتحت الباب لتجـد أمامها ارنست هورتون ينظر اليها وشاربه الدودى يبدو — وهو يبتسم — كأنما يزحف على شفته العليا

قال معتذرا :

— كنت اظن الغرفة خالية . لقد جئت لآخذ حقيبة العينات

وأردف قائلا حين رأى نورما لا تفسح له الطريق ليدخل :

— لقد كنتم كرماء معنا ، وأنا لا أريد أن أزيد مضايقتكم

وتراخت أعصاب نورما قليلا ، وتراجعت الى الوراء لتفسح له الطريق ، ودخل هورتون الغرفة ومضى الى السرير وقال وهو يتناول الاغطية :

— كان ينبغى أن أرتب السرير قبل أن اغادر الغرفة ، اننى آسف

— حسنا ، دعه كما هو ، وسأقوم انا بترتيبه .

— اوه ، شكرا ، انك فتاة مهذبة ، بل انك لم تنتظرى حتى اعطيك البقشيش الذى وعدتك به . آه ، اننى كما ترين أحسن ترتيب الاسرة

فابتسمت نورما وقالت :

ـ نعم ، نعم ، هذا واضح

فقال وهو ينحنى على حقيبة العينات الضخمة :

ـ الآن وقد فرغنا من السرير ، فهل تسمحين لى بفتح هذه الحقيبة ؛ اننى اريد منها شيئا

ـ افعل ما يحلو لك ، انها حقيبتك على كل حال

ورفع الحقيبة ووضعها على السرير ، ثم فك أحزمتها الجلدية ، وفتح قفلها ، ورفع غطاءها ليكشف عن أشياء عجيبة مدهشة ، فقد رأت نورما ألوانا وفنونا من العــــاب التسلية والدعابة : مشابك سحرية ، ومناديل تتغير الوانها ، وسجائر تنفجر ، ومفرقعـــات مغناطيسية ، وصفافير ذات أصوات مضحكة ، وقبعات من الورق الملون ، وأزرار عجيبة الشكل . وكان هورتون يتناول فى تلك اللحظة ستة قوالب من « القدم المصابة » ويضعها فى أكياسها الشفافة ، واقتربت نورما منه بدافع من الفضول ، وعندئذ لم تلبث نظراتها أن وقعت على مجموعة من صور النجوم والكواكب

وفتحت الفتاة عينيها فى دهشة بالغة وهى ترى هذا النوع الجديد من الصور ، لقد رأتها صورا مصنوعة من الورق المقوى بطريقة تجعل الوجه يبدو طبيعيا مستديرا فيه عمق ، وكأنمـــا للصورة الابعاد الثلاثة المعروفة : الطول والعرض ، والعمق

وكانت صورة معبودها كلارك جيبل هى الاولى من بين هـــذه الصور العجيبة ، وقد بلغ من أتقان صنعها وطرافتها انها ظنت ، برهة ، أن كلارك جيبل « بدمه ولحمه » يطـــل عليها باسما من داخل الحقيبة

وتنهدت الفتـــاة فى عمق ، وبدأت انفاسها تلهث وهى تنظر ، كالمسحورة ، الى هذه الصورة التى لم تر لها مثيلا من قبل ، ثم اذا بها تتناولها وتحملق فيها بنظرات الانسان الذى لا يشعر بشىء مما يدور حوله

وراقبها ارنست هورتون برهة ، حتى اذا تبين اهتمامها بالصورة ، قال :

ـ اليســت هذه الصورة رائعة ؟ انها اختراع حديث ؛ الا ترين

كيف تشبه التمثال !

فأومأت نورما براسها كأنمــا يعجز لسانها عن النطق ، وعاد ارنسـت يقول :

ـ ان هذا النوع من الصور سوف يكتسح كل الانواع الاخرى فى خلال عام واحد ، انه نوع لا يتأثر بالرطوبة أو الماء او الاحماض ، ولا يغير اللون ، وانما يعيش مدى الحياة كما هو . والصورة كما ترين مصبوبة ومصنوعة مع الاطار حتى لا تنفصل عنه ابدا

ولم تتحول نظرات نورما عن الصورة ، ولما حاول ارنست ان ياخذها منها ، تشبثت بها فى استماتة ثم قالت بصــوت خافت مبحوح :

ـ كم ثمنها ؟

ـ انها ليست للبيع ، انها مجــرد عينة اعرضها على أصحاب المتاجر

فعادت تقول وهى تشــدد قبضتها على الصــورة وتعض على نواجذها فى حالة من التوتر العصبى الشديد :

ـ كم ثمنها ؟

فهز أرنست كتفيه وقال :

ـ حسنا ، انهــا تساوى بالسعر القطاعى دولارين ، ولـكننى استطيع أن اقدمها اليك بدلا من البقشيش ، فما رأيك ؟

فتألقت عيناها بالفرحة الطاغية ، ثم قالت وهى تضع الصورة على صفحة خدها

ـ شكرا ، شكرا جزيلا يا سيدى

ـ اننى ارجو أن تنال هذه الصورة الجديدة مثل هذا الاعجاب من أصحابها الممثلين ، فاننى فى الطريق الى لوس انجلوس لاقضى اسبوعين

فقالت نورما وهى تخفى الصورة تحت اكوام ملابسها الموضوعة فى الحديقة :

ـ ومنها ستذهب الى هوليوود . اليس كذلك ؟

ـ أوه ، طبعا ، طبعا ، فان لى فيها أصدقاء كثيرين ، كما انهــا المدينة التى تروج فيها مثل هذه المستحدثات . وأعتقد انى سالقى

فيها ما ارجو من نجاح ، لا سيما أن لى صديقا كان زميلا لى فى الحرب ، وهو يشتغل الآن فى أحد الاستديوهات

ــ فى أى أستديو يعمل صديقك هذا ؟

فقال أرنست وهو يعيد العينات الى الحقيبة ليغلقها :

ــ فى أحد استديوهات مترو جولدوين ماير

ولم يسمع ارنست شهقة نورما وهى تقول بلهفة :

ــ وهل زرت صديقك فى هذا الاستديو كثيرا ؟!

ــ نعم ، ان ويلى ، أعنى صديقى ، قد أعطانى تصريحا أستطيع ان ادخل به الى الاستديو كلما شئت . وان صاحبى ويلى هذا الشاب محظوظ مع النساء والفتيات

وبدا الامتعاض على وجه نورما وهى تسمع الجـــزء الاخير من الحديث ، ولكنها لم تلبث ان ابتسمت وقالت :

ــ هل يمكن أن تؤدى لى خدمة ؟

ــ طبعا ، طبعا ، ماذا تريدين ؟

ــ اذا اعطيتك خطابا للمستر جيبل ، وحدث ان التقيت به فى استديو شركة مترو ، فهل يمكن أن تسلمه اليه ؟

ــ ولكن من هو المستر جيبل ؟

فقالت فى حزم :

ــ المستر كلارك جيبل طبعا !

ــ أوه ، نعم ، اتعرفينه ؟

فأجابت نورما فى زهو :

ــ طبعا ، انى ، ابنة خالته

ــ آه ، فهمت . لسوف أسلمه الخطاب حتما اذا التقيت به ، ولكننى قد لا التقى به لسبب ما ، فهلا يحسن أن ترسليه اليه بالبريد ؟

فضاقت حدقتا عينى نورما وهى تقول :

ــ انه عادة لا يتسلم كل الرسائل البريدية التى ترسل اليه ، ان سكرتيرته الخاصة تتسلمها وتمزق الجزء الاكبر منها

ــ عجبا ! لماذا ؟

ــ بدافع الغيرة

ــ حتى رسائل أقاربه ؟

ــ نعم

ــ هل قال لك هذا بنفسه ؟

ولم يسع نورما الا ان تتمادى فى اكذوبتها فقالت :

ــ آه ، طبعا ، طبعا . لقد ذهبت الى هوليوود وعرضت على أدوار هامة ، ولكن المستر جيبل نصحنى قائلا ان الافضل أولا أن اخوض الكثير من تجارب الحياة قبل أن احترف التمثيل ، لان مواهب التمثيل لا تصقلها الا التجارب والخبرات الكثيرة . وانا الآن فى فترة التجارب ، وانى اجد الكثير من هذه التجارب فى العمل بالمطاعم . نعم ، ان ابن خالتى على حق ، وانه لرجل عظيم نبيــــل كبير القلب اننى أعتبر المستر جيبل الضوء الذى تعيش فيه هوليوود كلها

واخفض ارنست هورتون عينيه عن وجه نورما وقد ادرك ان الفتاة توشك أن تفقد عقلها حبا لذلك النجم السينمائى ، وأن ارنست ليفكر فى نوع هذا الحب العجيب الذى يملأ حياة فتاة كهذه بالنور والامل !

وقال اخيرا :

ــ لسوف احمل اليه خطابك وأقول له انه من ابنة خالتك

فالتمعت فى عينى نورما نظرة قلق ثم قالت :

ــ لا ، اننى أريد أن أجعلها مفاجأة له ، قل له فقط انه خطاب من صديقة . ولا تقل له شيئا آخر أبدا

ــ حسنا ، سوف أفعل ماتريدين ، ولكن ، متى ستذهبين للعمل هناك ؟

ــ لقد طلب منى المستر جيبل ان انتظر سنة اخرى لانى لازلت صغيرة السن . ولكننى بدأت أضيق بحياتى هذه ، واتوق الى الحياة هناك ، فى هوليوود ، فى بيت من هذه البيوت الكبيرة الشبيهة بالقصور ، ذات الستائر المخملية ، والحدائق ، واحواض السباحة ، والمقاعد الوثيرة ، والواقع أنى اشتقت جدا لصديقاتى العزيزات : بيتى دافيز ، وأنجريد برجمان ، وجوان فونتين وغيرهن . آه ، يالهن من صديقات عزيزات ، وكم من ليال أمضيناها معا ، وكم من أفلام قمنا فيها بالادوار الرئيسية معـــا ، وكم ضحكنا من هواة جمـــع

وهنا قاطعها ارنست هورتون قائلا فى دهشة مصطنعة :

ـ أوه ، هل افهم من هذا انك اشتغلت بالتمثيل فترة ما ؟

ـ نعم ، طبعا ، ولكننى كنت أحمل اسما آخر غير اسمي

ـ وما هو ذلك الاسم ؟

ـ لا استطيع ان اخبرك ، وانك الآن الشخص الوحيد الذى يعرف كل هذه الحقائق عني هنا ، فهل ستخبر احدا بما قلت لك ؟

ـ لا ، لا ، مطلقا !

ـ هل ستحفظ سرى ؟

ـ بكل تأكيد ، فقط سلمينى الخطاب وأنا أسلمه بدورى له

وهنا سمع الاثنان صوت اليس وهى تقول بحدة بعد أن وقفت بالباب :

ـ تسلم ماذا ؟ لمن ؟!

ثم طافت بنظراتها المفعمة بالشك والريبة على ملابس نورما ، ثم تركزت على وجهها المضطرم احمرارا ، وأردفت قائلة بلهجة لهـــا دلالتها :

ـ ماذا تفعلان هنا فى غرفة النوم ؟

وانعقد لسان نورما من فرط الاضطراب والارتباك ، وقال ارنست هورتون لاليس التى وقفت واضعة يديها على وسطها :

ـ كنت آخذ بعض الاشياء من حقيبة العينات ، وقد طلبت منى أن أحمل لها خطابا الى صديقة فى لوس انجلوس

ـ الها صديقة فى لوس انجلوس ؟

ـ نعم ، وانا اعرف صديقتها هذه

وهنا كان زمام الغضب قد أفلت تماما من اليس فصاحت قائلة :

ـ اسمع يا هذا ، اننى لا اريد منك ومن أمثالك ان تعبثوا بالعاملات هنا

فقال ارنست بلهجة احتجاج :

ـ اننى لم المسها ، نعم ، لم المسها !

ـ لم تلمسها ؟ اذن ماذا تفعل معها هنا فى غرفة النوم ؟ انظر الى وجهها ؟ انظر كيف يبدو الاضطراب عليها ؟

وارتعد صوت اليس بالانفعال ، وتهدلت خصلات شعرها على وجهها ، وبدت أمارات الانهيار العصبي تتضح على كل تصرفاتها وهي تصيح قائلة :

ــ انني لا أقبل هذا الوضع هنا ، لا أقبل أن تقوم أية علاقة مريبة بين زبائني وعاملاتي ، أن هذا المكان نظيف ، وسيبقى نظيفا دائما ، أتفهم ؟ ألا يكفي أننا تنازلنا لكم عن أسرتنا طيلة الليل ؟

فصاح ارنست قائلا في احتجاج :

ــ قلت لك انه لم يحدث بيننا شيء ، ألا تفهمين ؟

ولكن استنكار أرنست كان يرن في الاذن ، من فرط اضطرابه ، وهو أقرب الى الاعتراف . أما نورما فقد وقفت مفتوحة الفم ، تصدر عنها أصوات أنين وعويل خافتة

وتقدمت اليس نحو نورما في ثورة رهيبة وصاحت وهي تجمع قبضة يدها اليمنى بعنف :

ــ اخرجي .. اخرجي من هنا ، اخرجي ايتها الفاجرة من بيتي ، اخرجي الى العراء ، والى الامطار

وظلت نورما تتراجع في فزع ، ثم اذا اليس ترسل صيحة رهيبة ، واذا صوت جون شيكو يهتف بها وهو واقف بالباب :

ــ أليس . . كفى !

وتوقفت أليس فجأة ، وتخاذلت ذراعها ، وتهدل فكاها ، وتحول غضبها الى فزع ، وهي تحملق في وجهه ، ثم اذا بها تتراجع بعيدا عنه وتحاول أن تمرق من الباب الى غرفة نومها وهي تهمس مرتعدة :

ــ أرجوك ، لا تضربني ، لا تضربني

ولكن جون مد يده برفق وتناول ذراع اليس ، ثم قادها الى غرفة نومها وأغلق الباب الفاصل بين الغرفتين

وكتم كل من ارنست هورتون ونورما أنفاسهما ، وهما يتوقعان أن يسمعا صيحات أليس عندما تنهال عليها لكمات زوجها

ولكن جون كان في تلك اللحظة يساعد اليس على النوم في سريرهما

الفصـــل الخامـس

همسات العاطفة

جلست برنيس بريكارد وابنتها ميلدرد وزوجها المستر بريكارد الى المائدة الصـــغيرة الواقعة على يمين باب الدخـــول الى قاعـــة الطعام . وكانت برنيس ســـيدة فى منتصف العمر جميلة الوجه ، بنفسجية العينين ، تضع عليهما نظارة طبية دائما

وكانت أنيقة في ملابسها ، موفورة الجاذبية ، عذبة الســـمات ، تنم امارات وجهها عن الطيبة المتناهيـــة ، وعن الميـــل الطبيعى الى اسداء الخير للناس

وكانت حياتها الزوجية بالنسبة اليها لطيفة هانئة ، فهى تحب زوجها ، وتعتقد أنها تعرف مواطن ضعفه ، ونزواته ورغباته

وكان أصدقاء برنيس وصديقاتها يعتبرونها من ألطف السيدات ، بل ملاكا فى النقاء والطهر وحب الخير للجميع ، أمـــا هى فـــكانت تقول انها سعيدة الحظ فى هذا الجانب من حياتها الخاص بالاصدقاء والصديقات ، لان القدر أنعم عليها بأخلص وأوفى وأحب الاصدقاء والصديقات فى العالم كله

وكان زوجها يحبها حبا هادئا .. يحب وســـامتها ، واشراقة وجهها ، ونظافتها الدائمة ، وبراعتهـــا فى ادارة شـــئونه المنزلية ، وطيبة قلبها التى تجعلها لا تشك فى أمره عندما يزعم لها انه أمضى ليلته فى مناقشات طويلة مع أعضاء مجلس الادارة ، بينما يكون فى الواقع قد أمضى ليلة حمراء !

أما ميلدرد فكانت فتاة جميلة ، طويلة القـــامة ، أطول من أبيها ببوصتين ، وأطول من أمها بخمس بوصات ، وقد ورثت عن الام قصر النظر ولون العينين ، ومن ثم كانت تســـتعمل نظارة طبـــية

ايضا كلما ارادت أن ترى شيئا ما بوضوح . وكان لها قوام رياضى أنيق ، وساقان ملفوفتان قويتان ، وصدر بارز ، ولكنهـا لم ترث عن إمها البرود الجنسى ، وانما كانت على العكس ، حارة العواطف، مشبوبة الاحساس . وقد مارست فى حياتها الحب الجبسى مرتين عابرتين ، وأصبحت تهفو الى حب دائم من هذا النوع

وكانت ميلدرد فى هذا الصباح ترتدى « بلوزة » حريرية ، و « جونلة » مزخرفة بخطوط رباعية الشكل ، وحذاء خفيفا بلا كعب . وكانت هى ووالدها جالسين الى المائدة الصغيرة بغرفة الطعام بالمطعم ، ومعطف مسز بريكارد الفراء الانيق معلق بعنـاية على مشجب بالقرب منها . وكان المستر بريكارد هو الذى اشرف بنفسه على وضعه فى هذا المكان القريب ، لانه كان يشعر بالفخر والزهو كلمـا رآه أمامه سـواء كان معلقـا على مشجب أو على زوجته نفسها . وكان زهوه يتضاعف حين يرى نظرات الاعجاب ، أو الحسد ، تتألق فى عيون النساء ، وهن يرين هذا المعطف الانيق المصنوع من فراء الثعالب السوداء ، وهو نوع من الفـراء نادر من جهة ، ومرتفع الثمن جداً من جهة أخرى

وكان الثلاثة قد سـمعوا ، فى جلستهم هـذه ، صيحة آليس العصبية الرهيبة التى أطلقتها فى غرفة نوم نورما . وقد صدمهم ما نمت عليه تلك الصيحة من حيوانية وحقد وغضب ، وجعلتهم يقتربون من بعضهم البعض فى حيرة وارتباك . وكانت ميلدرد قد أشعلت سيجارة وهى تتجنب نظرات أمها اللائمة ، والواقع انهـا لم تكن تجرؤ على التدخين أمام أمها الا فى الشهور الستة الاخـيرة ، أى بعد أن بلغت من العمر الواحـدة والعشرين ، أما أمام ابيها ، فقد كانت تدخن وهى فى السـابعة عشرة !

وكان المطر عنـدئذ قد توقف عن الانهمـار ، ولم يعـد يرى فى الخارج الا القطرات المتسـاقطة من فوق السقف المنحدر لبنـاء الاستراحة ، أو من اغصان الشـجر . أما الارض فكانت موحلة مشبعة بالماء ، واعواد القمح الممتلئة بعصـارة الربيـع قد خارت وتمددت على الارض فى أمواج ممتدة الى مدى النظر . وكان ماء المطر قد راح يتجمع وينطلق فى جداول صـغيرة سريعة ويملأ كل

منطقة منخفضة في الحقول ، ويرتفع في البرك الواقعة على جانبي الطريق العام ، بل ويرتفع منها ويزحف على وجه الطريق نفسه

ورأت صفحة السماء تصفو من الغيوم التي تمزقت وتباعدت كتلها تاركة رقعا واسعة من الصفحة الزرقاء المضيئة ، بعضها صاف تماما ، وبعضها لا يزال محجوبا بغلائل من السحاب الرقيق . أما الهواء فقد سكن على الارض تماما وشاعت فيه رائحة العشب المبلل والجذور العارية

وفي تلك اللحظة كان بمبلز واقفا وراء مائدة الخدمة يحاول أن يحل محل المسز شيكو ونورما في خدمة الزبائن . ولم يحدث أبدا في حياته أن خطر بباله أنه سيقف من تلقاء نفسه هذا الموقف الكريم . لقد كان يكره كعادته دائما مخدوميه ويتمنى اليوم الذي يجمع فيه من المال مايكفي للسفر الى هوليود والاقامة بضعة أسابيع ريثما يجد فيها عملا . ولكن ماحدث في ذلك الصباح كان لا يزال يرن في أذنيه وهو يقول له : « كيت » نظف يديك وانظر هل أعدت اليس القهوة لنا » انها أعذب جملة سمعها في حياته كلها وهو من ثم يريد أن يعرب عن اعترافه بجميل جون ، وقد قدم منذ لحظات عصير البرتقال والقهوة لاسرة بريكارد ، وها هو ذا يشرف على تجمير كسرات الخبز وقلي البيض في وقت واحد

وكان جون قد قال له قبل أن ينصرف الى غرفات النوم :

ـ لتأكل معنا بيضا مقليا ، فان طريقة صنعه سهلة ، وأنا احبه جافا بعض الشيء

وأجاب بمبلز عليه قائلا :

ـ بكل تأكيد ياريس

ثم وضع الاناء على النار ، ثم كسر البيض في الزبد وتركه حتى بدأت رائحة احتراقه تتسلل الى القاعة

والواقع انه في تلك اللحظات كان مشغولا باختلاس النظرات الى ساقي ميلدرد حتى الى مافوق ركبتيها بقليل ، وكان الثوب القصير في الجهة البعيدة عن نظراته قد اشتبك في جانب المقعد وترك جانبا كبيرا من فخذها عاريا دون أن تشعر ، ولهذا قرر بمبلز أن يقوم بحركة التفات الى ذلك الجانب العاري ليشبع عينيه

دون أن يبـــدو فى نظر الجميع وقحا . ورأى أن خير ما يمـكن ان يفعله هو ان يضع على كتفه فوطة ، وان يلتفت الى ذلك المكان ، ثم يجعل الفوطة تسقط على الارض ، فينحنى لالتقاطها ، وهكذا يستطيع ان يستمتع بنظرة مختلسة ضخمة !

ولكن رائحة احتراق البيض والخبز كانت قد ملأت جو قاعة الطعام ، وجعلت ميلدرد تنظر الى بمبلز لترى ماذا دهاه ، وكانت النظرة الاولى كافية لان تعرف ان الفتى لا يكاد يستطيع أن ينتزع عينيه عن ســاقيها ، فقد ادركت الامر ، وخلصت جانب الثوب ، وغطت بطرفه ركبتيها . وهكذا فشلت حركة الالتفــات التى أراد بمبلز أن يقوم بها

واقبل جون بهدوء من غرفات النــوم ، وبعد أن تشمم الجــو برهة ، قال لبمبلز :

ـ أوه ، يا لله ، ماذا تفعل يا كيت ؟

فقال بمبلز بقلق :

ـ أحاول ان أساعدكم

فابتسم جون وقال :

ـ أوه ، شكرا ، ولكنى ارى أنك تستطيع مساعدتنا فى أى شىء الا قلى البيض

ثم مضى الى اناء البيض المحترق ، ورفعه عن النار ، ومضى به الى الحوض وفتح عليه صنبور الماء . وأخيرا قال :

ـ اذهب يا كيت وحاول ان تدير محرك السيارة ، ولكن حذار أن تجعلها تشرق بالبنزين اذا لم يدر المحرك من الوهلة الاولى . وعندما يدور ، دعه فى حالة دوران هادىء بضع دقـائق ، ثم أسرع حركة الدوران قليلا قليلا حتى يسخن الموتور

ـ هل أنظر فى مستودع التشحيم والزيت بها لارى هل هو ممتلىء

ـ نعم ، نعم ، انك تعرف عادة ما ينبغى عمله عند القيام بالرحلة فى هذه الساعة

ونسى بمبلز مسألة ساقى ميلدرد ، وهو يشعر بالابتهاج لهـــذا الثناء الذى يسبغه عليه جون . أما هذا فقد أردف قائلا على سبيل الدعابة :

ـ لا اعتقد ان احدا سيسرق هذه السيارة ، ولكن يحسن أن تحرص على مراقبتها على كل حال

وضحك بمبلز عاليا لدعابة رئيسه ، وبعد أن مضى الى الخارج مختالا ، قال جون للموجودين فى قاعة الطعام :

ـ ان زوجتى تشعر ببعض التعب ، وانى مستعد أن اقدم اليكم اية خدمة أيها السادة ، فماذا تريدون ، مزيدا من القهوة ؟

فقال المستر بريكارد :

ـ نعم ، وكان ذلك الفتى يحاول يقلى لنا بعض البيض فاحترق منه . ان زوجتى تحب البيض المقلى غير الجاف

فقال المستر بريكارد مستنكراً :

ـ والمهم أن يكون البيض طازجا

ـ انه طازج تماما يا سيدتى ، لقد اخرجته الان من الثلاجة

فقال المستر بريكارد مستنكرا :

ـ انني لا أحب البيض المختزن فى الثلاجات

فقال جون :

ـ هذا ما لدينا فقط ، انني آسف ، لا أستطيع أن اخدعك

وهنا قالت المسز بريكارد :

ـ اذن يكفينى فى هذه الحالة قطعة من فطيرة الشليك

وقال المستر بريكارد :

ـ وأنا ايضا

ونظر جون باعجاب صريح الى ساقى ميلدرد ، ورفعت هذه عينيها اليه ، وراحت نظراتهما تلتقى ببطء ، ولم تلبث ميلدرد أن اضطرم وجهها خجلا وهى ترى امارات الاعجاب الشديد تطل من نظراته القوية النفاذة ، وفجاة احست برعدة تسرى فى جسمها كأنما لمست سلكا كهربائيا ، ثم اشاحت بوجهها فى ارتباك وقالت :

ـ أوه ، انني أريد مزيدا من القهوة ، و .. وقطعة من فطير الشليك ايضا

وهنا ارتفع فى الخارج زفيف محرك السيارة ، فأنصت جون الى رتابة حركته وانتظام نغمته ثم قال راضيا :

ـ عظيم جدا

وخرج ارنست هورتون فى هدوء يكاد يقرب من الخلسة ، من غرفات النوم ، وأغلق الباب وراءه برفق ، وتقدم الى غرفة الطعام حيث وضع على مائدة المستر بريكارد أكياس القوالب الستة وهو يقول :

ـ هذه هي ستة قوالب

فأخرج المستر بريكارد حافظة نقوده وتناول منها ورقة من فئة العشرين دولارا وقال :

ـ ألديك باقى هذه ؟

ـ لا

فقال المستر بريكارد لجون :

ـ ألديك فكة هذه الورقة يا مستر شيكو ؟

فحرك جون زرا فى آلة تسجيل النقد ثم نظر فى الدرج وقال :

ـ يمكننى أن أستبدلها بورقتين كل منهما من فئة العشرة دولارات

وهنا قال أرنست هورتون :

ـ هذا يكفى ، فان لدى دولارا أعطيه للمستر بريكارد وآخذ احدى الورقتين ، لان ثمن هذه القوالب الستة تسعة دولارات

وتناولت المسز بريكارد احد الاكياس وقالت :

ـ ما هذا ؟

فانتزعه زوجها من يدها وقال بسرعة :

ـ لا تسألى عنها الان

ـ لماذا ؟!

ـ سوف اخبرك فيما بعد

فالتمعت عيناها بالترقب ، وقالت :

ـ أهى نوع من المفاجآت ؟

ـ نعم ، وعلى الفتيات الصغيرات الا يحشرن أنوفهن فيما لا يعنيهن

وكان المستر بريكارد يدلل زوجته عادة بقوله لها : يا « فتاتى الصغيرة »

وتراقص صوتها بالغبطة وقالت :

ـ ومتى سيسمح للفتيات الصغيرات برؤية هذه المفاجأة ؟
فدس الاكياس فى جيب معطفه الكبير ، وهو يقول :
ـ فى الوقت المناسب
وكان تصور منظرها عندما يعود ذات يوم وهو يعرج ، ثم وهو يخلع الحذاء ويطلعها على « قدمه المصابة » ثم كيف يكون وقع المفاجأة أخيرا
ثم التفت الى ارنست هورتون وقال :
ـ اسمع ، لقد خطرت لى فكرة لعبة جديدة مسلية سوف اخبرك بها فيما بعد
فقال ارنست بحماس :
ـ مرحى . ان هذا ما يجعل الحياة محتملة . فلولا هذه اللحظات من المرح التى يختطفها الانسان بين الحين والآخر لمات غما
ـ نعم ، نعم ، هذا رأى ناضج ، رأى ناضج تماما يا سيدى
فقال ارنست وهو يضع ساقا على أخرى :
ـ ان انبثاق الافكار الجديدة فى الرأس لامر عجيب . فقد يكون الانسان مسافرا ومعه حقيبة ملابس عادية كما حدث لى ذات يوم ، واذا بفكرة جديدة تومض فى ذهنى وانا انظر الى الحقيبة الموضوعة فى مكانها على الرف الاعلى من المقصورة . ان رجلا مثلى يقضى معظم وقته فى السفر من مكان الى آخر قد يحتاج فى بعض الاحيان الى بذلة سهرة لشهود بعض الحفلات الهامة التى لا غنى عن حضورها . ولكن هذه البذلة تحتاج الى مساحة كبيرة فى الحقيبة ، رغم ان الانسان قد لا يستعملها غير مرة أو مرتين فى الرحلة الطويلة . وهذا ما أوحى الى بالفكرة الجديدة ، وهى تحويل أية بذلة كحلية أو سوداء عادية الى بذلة سهرة انيقة ، وذلك بوضع تلبيستين حريريتين سوداوين على ثنيتى السترة ، وشريطين حريرين أسودين على جانبى البنطلون . وبطبيعة الحال ستكون طريقة هذه الادوات بارعة بحيث لايمكن لاحد ان يفطن الى الحقيقة . بل لقد وضعت تصميم كيس خاص يمكن وضع هذه الادوات الحريرية فيه بحيث تكون معدة للاستعمال فى أية لحظة

فصاح المستر بريكارد قائلا

ــ هــذه فكرة رائعة ، فأنا الان احتفظ ببذلة سـهرة تحتل بمفردها نصف حقيبة ملابس . أما اذا أخــرجت فكرتك الى حيز التنفيذ ، فانها ستوفر لى مكانا اضــافيا فى الحقيبة اسـتطيع استغلاله فيما هو اجدى . اننى مسـتعد للاشـتراك فى مشروع كهذا ، واعتقد أن نجاحه مضمون اذا أحسنت الدعـاية له ، بل فى مقدورك أن تتفق مع أحـد كبـار الممثلين لارتداء بذلة من هـذا النوع والظهور بها فى الحفلات ..

فرفع ارنست يده وقاطع الرجل قائلا :

ــ هـذا كله قــد دار بذهنى ، ولكننى أدركت أننى مخطىء ، فبعد أن وضعت تصميم كل صغيرة وكبيرة للمشروع ، وبعـد أن عرضت بذلة من هذا النوع على صديق لى واعجب بها ، اذا به يفاجئنى قائلا : ان جميع شركات الملابس ، وجميع خيــاطى بدل السهرة سوف يرصدون آلاف الدولارات لمحاربة مشروعى هذا . ان بذلة السهرة تباع فى كل مكان بسـعر يتراوح بين مائة ومائة وخمسين دولارا ، فكيف آتى أنا واخترع أدوات حريرية تحول اية بذلة قاتمة اللون الى بذلة سـهرة ، وكل ما يمكن دفعه فى هـذه الادوات لا يزيد عن عشرة دولارات . ان صانعى بذل السهرة لا يمكن أن يتركوك وشانك

ــ نعم ، ان هذا صحيح . ومن حق هؤلاء أن يدافعوا عن كيانهـم ومن مصالح حملة الاسهم فى شركاتهم

وقال أرنست :

ــ ومع ذلك فانى لم أكف عن التفكير فى هـذا المشروع . انه أيضا يوفر الحمولة فى الطائرة ، و ..

ــ اننى مستعد للاشـتراك معك فى تنفيذ مشروع كهذا . هـل حصلت على حق الامتياز لاستغلاله ؟

ــ نعم ، نعم ، اننى اتخذ الاجراءات اللازمة للحصول على هذا الامتياز ، ولكن هذا كما تعلم يستلزم بعض الوقت والمال

ثم أردف قائلا ليغير الموضوع :

ــ متى يمكن أن نبدأ فى السفر يا مستر شيكو ؟

فقال جون :

ـ ان سيارة جريهاوند تصل فى نحو العاشرة حاملة بعض المسافرين والبضائع ، وعلينا هنا أن نبدأ السفر بعد وصولها بنصف ساعة . أى أن الوقت المرجح لسفرنا هو العاشرة والنصف · هل تريدون أيها السادة مزيداً من القهوة ؟

ـ نعم ، مزيدا من القهوة مع الشكر

وأحضر جون القهوة ، ونظر عبر النافذة الى السيارة الحافلة التى كان يسميها « سويتهارت » أى « الحبيبة » ، بينما نظر بريكارد الى ساعة يده وقال :

ـ لا يزال أمامنا نحو ساعة

وفى تلك اللحظة أقبل من الخارج رجل عجوز طويل محنى القامة ، وكان المسافر الذى نام فى سرير بمبلز · لقد فتح باب قاعة الطعام ، ودخل ، وجلس على أحد المقاعد المثبتة ، وكان رأسه محنيا بصفة دائمة لاصابة عنقه بتصلب فى العظام ، وكان يبدو عليه أنه تجاوز الستين من العمر ، كثيف الحاجبين ، مدبب الاسنان ، طويل النابين ، أصفر العينين ، ولهذا كان يبدو عنيفا شرسا

قال بلا مقدمات :

ـ اننى غير راض عما حدث امس عندما تعطلت السيارة ، وأنا لا زلت غير راض حتى الآن

فقال جون :

ـ لقد اصلحت العطب وأصبحت السيارة الآن فى أحسن حال

فقال الرجل :

ـ أعتقد انه من الافضل لى أن الغى رحلتى معك واعود فى سيارة الجريهاوند الى سان سيدرو

فقال جون :

ـ حسنا ، يمكنك أن تفعل هذا اذا شئت

فعاد العجوز يقول :

ـ ان لدى احساسا ما ·· احساسا يحاول أن يحذرنى من هذه الرحلة ، لقد خامرنى هذا الاحساس من قبل مرتين ولم أهتم به ،

فكانت النتيجة انى عانيت الكثير من المتاعب

فقال جون بصوت ينم عن الضيق :

ــ إن السيارة الآن فى حالة جيدة

ــ اننى لا اتحدث عن السيارة ، اننى أعيش فى هذه المنطقة ، بل اننى ولدت فيها . والارض الان مشبعة بالماء ، ولســـوف يرتفع نهر سان سيدرو . وانت تعرف كيف يرتفع هذا النهر . انه ينبع من تحت قمة بيكو بلانكو مباشرة ، ثم يقوم بحركة التفاف واسعة فى خور لون باين كانيون ، وهذا يعنى أن كل قطرة زائدة من مياه هذه الامطار سوف تتخذ طريقها الى النهر

فارتسم الجزع على وجه المسز بريكارد ، وقالت :

ــ هل تعتقد اننا سنتعرض للخطر فى الطريق ؟

فقال لها زوجها مطمئنا :

ــ لا يا عزيزتى

فعاد العجوز يقول :

ــ ان لدى احساسا بخطر متوقع . كان الطريق القديم يمتـــد بجانب النهر دون أن يقطعه . ومنذ ثلاثين عاما تولى المستر تراسك ادارة مصلحة الطرق فى هذه المنطقة ، ولم يعجبه الطريق القديم ، فأنشأ معبرين على النهر . فماذا وفر من طول الطريق بهما ؟ انه لم يوفر غير اثنى عشر ميلا فقط . ومع ذلك فقد بلغت نفقات المعبرين سبعة وعشرين ألف دولار ، لقد كان هذا المستر تراسك لصا

ثم استدار بعنقه المتصلبة وتأمل آل بريكارد برهة قبـــل أن يستطرد قائلا :

ــ نعم ، انه لص ، لقد مات منذ ثلاثة أعوام وهو موفور الثراء، ومع ذلك لم يكن ينفق شيئا على ولديه الطالبين بجامعة كاليفورنيا . لقد تركهما يعيشان ويتعلمان على حساب دافعى الضرائب

ثم توقف برهة ، وكشر عن نابيه وأردف قائلا :

ــ فى رأيى أن هذين المعبرين لن يتحملا فيضان النهر هذا العام ، ومن ثم سألغى رحلتى وأعود الى سان سيدرو

فقال جون :

ــ لقد كان النهر حتى أول أمس شبه جاف

ـ اذن فانت لا تعرف نهر سان سيدرو ، انه يفيض في خلال ساعتين ، لقد رأيته بنفسي يفيض ويبلغ اتساعه ميلا كاملا وقد تناثرت على سطحه أجسام الابقار الميتة وبقايا الاكواخ المتهدمة

ـ هل تعتقد أن السيارة قد تثقل على المعبر فيسقط بها في النهر ؟

ـ أنا لا أعتقد شيئا ، كل ما أعرفه أن المستر تراسك مات تاركا وراءه مزرعة تساوى ستة وثلاثين ألف جنيه ، وأن ولديه يبعثران الان الاموال فى الجامعة

وهنا ترك جون مكانه وراء مائدة الخدمة ، وتناول سماعة التليفون وقال لعاملة الاتصالات التليفونية :

ـ أرجو الاتصال باستراحة المستر بريد على طريق سان جون ، اننى لا أعرف الرقم ، حسنا ، سأنتظر قليلا . آه كيف حالك يامستر بريد ، اننى شيكو ، جون شيكو صاحب استراحة ريبلز كورنو ، ما رايك فى حالة النهر ؟ آه ، حسنا ، والمعبر ؟ حسنا جدا ، سوف أكون عندك فى أقل من ساعتين

واعاد السماعة الى موضعها ثم قال للحاضرين :

ـ ان النهر يرتفع بسرعة فعلا ، ولكن المعبر فى حالة طيبة

فقال العجوز :

ـ ان مياه هذا النهر ترتفع بمعدل ثلاثين سنتيمترا فى كل ساعة عندما يفرغ فيه خور باين كاينون مياه المطر المتجمعة فى جنباته واعتقد انك حين تصل الى ذلك المعبر فلن تجد له اثرا

فاستدار جون اليه فى صبر ناقد ، وقال :

ـ أفعل ما تريد ، أما أنا فسوف الغى رحلتى واعود الى سان سيدرو . اننى لا أريد أن أجلب المتاعب على رأسى بنفسى ، لقد خامرنى ذات مرة هذا الاحساس ولم أهتم به ، فانكسرت ساقى . لا يا سيدى ، ان الاحساس بتوقع الخطر يستبد بنفسى منذ تعطلت السيارة أمس

فقال جون :

ـ حسنا ، يمكنك أن تعتبر نفسك من غير ركاب السيارة

ـ هذا ما أريده يا هذا ! اننى أحد سكان هذه المنطقة منذ أكثر من نصف قرن ، وأنت لا تعرف شيئا مما أعرف عن تراسك . لقد

كان مرتبه السنوى خمسمائة دولار ، فكيف ترك وراءه مزرعة تساوى ستة وثلاثين ألف دولار ، هذا عدا عربون شراء مائة وستين فدانا من الارض الزراعية ..

فقال جون :

ـ لسوف أبذل جهدى لكي أوفر لك مكانا فى سيارة الجريهاوند عند عودتها إلى سان سيدرو

ـ حسنا ، انني لا أقصد أن أتحدث بسوء عن تراسك ، وانما أردت أن اذكر فقط ما حدث ..

وهنا قاطع أرنست هورتون العجوز وقال لجون :

ـ لنفرض أننا وصلنا آلى المعبر فوجدناه منهارا ، ماذا سيحدث ؟

فقال جون :

ـ فى هذه الحالة لن نستطيع عبور النهر بالسيارة

ـ هل ستعود بنا عندئذ الى هنا ؟

ـ طبعا : فاننا اما ان نفعل هذا أو نجعل السيارة تقفز عبر النهر

وعندئذ ابتسم العجوز فى انتصار قائلا :

ـ أترون ؟ انكم ستعودون إلى هذا المكان لتجدوا أن سيارة الجريهاوند قد رحلت فى طريقها آلى الجنوب .. عندئذ كم من الوقت سوف تبقون هنا ؟ شهوراً ، أعني حتى يقيموا معبراً جديدا ! انتم تعرفون من هو مدير الطرق هنا ، انه شاب حديث التخرج من الجامعة ، ملىء الرأس بالنظريات ، ويستطيع أن يرسم تصميما للمعبر ، ولكنه لا يستطيع أن ينشئه . وسوف نرى

وفجأة ضحك جون قائلا :

ـ حسنا جدا ، انك تتحدث عن المعبر الجديد ، بينما القديم لم يتحطم بعد

فاستدار العجوز اليه بعنقه المتصلب ، وقال بحدة :

ـ هل تريد أن تسخر منى ؟

فالتمعت عينا جون السوداوان ببريق غامض ، وقال :

ـ هذا شأنى ، ولكننى سأضعك فى سيارة الجريهاوند واطمئن عليك ، فلا تقلق ، انني لا أريد أن تكون معنا فى هذه الرحلة

فهز جون كتفيه ، وقال :

ـ انك لا تستطيع أن تطردني ، فما انت الا سائق سيارة عـامة

ـ حسـنا ، انني أحيانا اتسـاءل لماذا احتفظ بهذا الخط من المواصلات ، إنه مثار متاعب لا حصر لها • ربما ألغي امتيازي بعـد انتهاء مدته

وهنا قالت برنيس فجاة :

ـ يقولون ان المكسيك الان في فصل الجفاف ، وأن الامطار لا تكثر فيها الا في الصيف فهل هذا صحيح ؟

فقالت ميلدرد :

ـ اعتقد أن المستر شيكو يستطيع ان يجيبك على هذا السؤال يا أماه ، لقد ولد هناك

ـ أوه ، أحقا يا مستر شيكو ، هل فصل الجفاف هو السائد الان في المكسيك ؟

ـ نعم ، في بعض الاماكن ، مثل الاماكن التي ستقصدونها ، ولكن هناك مناطق لا تنقطع عنها الامطار على مدار العام

فتنحنح المستر بريكارد ، وقال :

ـ اننا ذاهبون الي مدينة المكسيك ، العاصمة ، ثم الى بوبلا ، ثم الى جورنافاكا ثم الى تاسكو ، وربما واصلنا الرحـلة الى اكابلكو لنشاهد البركان هناك ان أمكن

ـ لسوف تتمكنون من الاستمتاع برحلتكم قطعا

ـ أتعرف هذه الاماكن ؟

ـ نعم •• بلا ريب ! ..

ـ كيف حال الفنادق فيها ؟

فابتسم جون وقال :

ـ فاخرة ، طعام الافطار ياتي اليك وانت في الفراش ، وهكذا

وابتسم له المستر بريكارد وقال في شبه إعتذار :

ـ انني لم أقصد أن اثير بعض المتاعب في هذا الصباح

وعقد جون ذراعيه على مائدة الخدمة ، وانحنى الى الامام بجذعه الاعلى وقال في صوت هادىء :

ـ حسنا ، حسنا . انني في بعض الاحيان اشعر بالملل من هذه الحياة الرتيبة ، ومن الاستمرار في قيادة السيارة يوما بعد يوم في

مواعيد منتظمة من هنا الى مدينة سان جوان دى لاكروز ، ومنها الى هنا ، وانه ليخطر ببالى أحيانا أن أمضى بها الى التلال الرحيبة الممتدة الى غاية البصر . وقد سمعت عن ربان سفينة صغيرة تنقل المسافرين من نيويورك الى بعض الجزر القريبة ، ثم تعود بهم من هذه الجزر الى نيويورك ، وفي النهاية انطلق ذلك الربان ذات يوم بسفينته الى عرض البحر ولم يعد ، لم يسمع أحد عنه شيئا ، ويقال انه غرق بالسفينة . ويقال أنه يعيش الان فى احدى جزر هاواى ، او فى مكان ما من هذا القبيل . انني فى الواقع أدرك البواعث التى دفعت به الى هذا العمل

وكانت ميلدرد تنظر الى جون مفتونة الاحساس . لقد شعرت أن هذا الرجل الناضج القوى ذا العينين السوداوين يثير فى نفسها عواطف معينة تجذبها اليها وتجعلها ترغب فى جذب انتباهه اليها ، انتباهه الخاص ، إليها هى وحدها . وكانت قد ألقت بكتفيها الى الوراء قليلا لكى تجعل نهديها أكثر بروزا واغراء

وقالت وهى ترفع النظارة عن عينيها حتى يراهما على الطبيعة ، وهو يجيب على سؤالها :

ــ ولماذا هاجرت من المكسيك ؟

ــ انني لا أدرى

وقالت ميلدرد لنفسها حين شعرت بالرغبة الجنسية تثور فى أعماقها :

« يجب أن أضع لهذا حدا . مالى أنا ولهذا الرجل الجذاب الفاتن »

وعاد جون يقول :

ــ ربما تركت بلادى لان الناس هناك يعملون كثيرا ولا يحصلون الا على القليل من المال

فقالت المسز بريكارد فى لهجة الانسان الذى يثنى على انسان آخر :

ــ انك تجيد الحديث بالانجليزية !

ــ لماذا لا ؟ ان أبى ايرلندى ؟ ولهذا فانى أجيد اللغتين الانجليزية والاسبانية معا

وكانت عينا جون تداعب عينى ميلدرد وتتبادلان معا أحاديث

جنسية صامتة . فكانت نظراته مثلا تطوف بنهديها ، وتتحسسهما ، ثم تهبط الى ردفيها ، ثم تتركزان على خصرها النحيل ، وتشعران بالاحساسات الدافئة التي كانت تفور تدريجيا في اعماق نفس الفتاة، وكانت هي بدورها تكاد تشعر بأصابعه تتحسس ردفيها وتثير في نفسها الرغبة الجنسية الحارة . وبدأ جسمها يرتعد ويمتلىء باللهفة الى جسم هذا الرجل ، وعبثا حاولت أن تخفف منها او تهدئها ، بينما كان هو يشعر بالانتصار .. انتصار الرجل الملون على هذه الفتاة البيضاء المتغطرسة ، انه يعلم في تلك اللحظة ان في مقدوره العبث بها ، والتلاعب بعواطفها ، وتحطيم كبريائها . وارغامها على الخضوع الكامل لرغباته

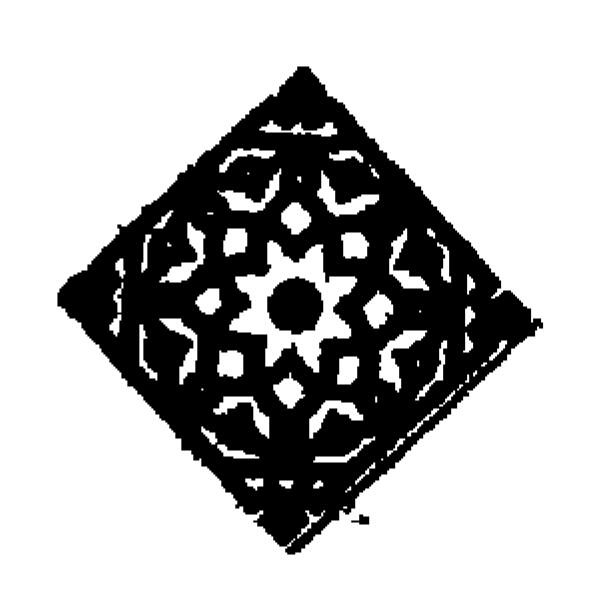
وفجأة نهض المستر بريكارد ، وقال :

ــ انني سأخرج لاتمشى قليلا ، هل ستأتين معي يا برنيس ؟

فقالت زوجته وهي تنهض :

ــ نعم ، بكل تأكيد

ونظرت ميلدرد في غيظ الى والدها وهي تشعر كأنما قطع عليها أجمل لحظة في حياتها !



الفصل السادس

ساحرة الرجال

عندما أفاقت أليس من اضطرابها العصبي ، نهضت وغسلت وجهها وبذلت جهدها في تجميله وفي ازالة كل اثر من القلق والاضطراب عليه ، ثم مضت إلى غرفة نوم نورما ، وطرقت على البـــاب برفق ، ودخلت باسمة ، لترى نورما وهى تسرع باخفاء رسالة فى درج الخزانة

وكانت أليس تعلم تماما انه لا توجد علاقة ما بين نورما وزوجهـا جون ؟ وكذلك كانت تعلم ان نورما ، رغم حداثة سنها ، من الفتيات اللائى لا يفرطن فى عرضهن ببساطة وانها تعيش فى عالم من أحلامها الخاصة ، وانها تكتب خطابات لشخص ما وتخفيها ، قبل ارسالها فى مكان خفى بغرفة نومها . وكثيرا ما حاولت آليس بدافع من الفضول الانثوى ان تظفر بخطاب من هذا النوع لتقرأ محتوياته على ضوء الشمس دون أن تفتحه . ولكن نورما كانت مدربة على اخفاء اسرارها ، وقد بلغ من حرصها إنها كانت تضع فى كل درج من أدراج خزانتها ورقة او قطعة قماش فى وضع معين ، فاذا تغير الوضع عرفت أن يدا ما حاولت ان تعبث بحاجياتها لتعرف اسرارها . أما مفتاح حقيبتها الخاصة فكان لا يفارق صدرها ليلا او نهارا

وكذلك أدرك بمبلز اخيرا انه لا جدوى من محاولاته الايقـــاع بنورما ، فكثيرا ما حاول اغراءها على ان تفتح له نافذتها المطلة على الممر الخلفى فى ساعة معينة من الليل ، ولكنه لم ينجح ، وكثيرا ما كان يقضى الليل خارج النافذة يخمشها بأصابعه ليوقظ نورما أو يثير فى نفسها دبيب الرغبة الجنسية حين تعلم ان وراء النافذة شابا يشتهيها ، بينما كانت هى تضع الوسادة على رأسها وتستغرق فى النوم

ولما دخلت آليس غرفة نورما ، نظرت الفتاة اليها فى جزع وقالت بسرعة :

ــ تاكدي يا مسز شيكو انني لم ارتكب شيئا ما ، مع ذلك الرجل !

فابتسمت آليس برفق وقالت وهى تتقدم نحو نورما :

ــ أنا أعرف يا عزيزتى انه لم يحدث بينكما شيء

واغضت آليس بعينيها كأنما تشعر بالخجل من نفسها . وكانت قد قررت أن ترضى نورما بكل وسيلة ممكنة . أما الفتاة فقد قالت عاتبة :

ــ اذن ما كان يجب أن تقولى هذا ، أفرضى ان احدا سمعك وإعتقد ان ما تقولينه عني صحيح ، فكيف يكون الحال ؟ انني لست فتاة من هذا النوع الرخيص كما تعلمين

وفجأة امتلأت عينا نورما بالدموع ، وهى تردف قائلة :

ــ انني مجرد فتاة تريد ان تعيش بشرفها دون ان تثير أية متاعب لاحد

فقالت آليس بلهجة كلها أسف :

ــ انني أعتذر اليك يا نورما ، حقا ما كان ينبغى ان أقول هذا لك ولكنني كنت أعاني من توتر شديد فى أعصابى ، لاسيما فى مثل هذا الوقت من كل شهر . وانت تعلمين كيف تكون الواحدة منا عندئذ فى حالة اضطراب عصبى شديد !

فنظرت نورما اليها فى دهشة واهتمام ، ذلك انها كانت المرة الاولى التى تبدو فيها أليس رفيقة لطيفة على شيء من الحنان . لقد ادركت منذ الاسبوع الاول من بدء عملها مع أليس أنها امرأة تكره غيرها من النساء والفتيات كراهية غريزية وكأنما تجد فى كل واحدة منهن غريمة لها تريد أن تنقض على جون وتنتزعه منها ، ولهذا السبب حرصت نورما على أن تكون علاقتها بجون علاقة عمل فقط ، حتى الحديث العادى قررت الا يجرى بينها وبينه

وعادت أليس تقول وقد شعرت بالرضا والارتياح وهى ترى الدموع تملأ عينى نورما :

ــ أنت تعرفين يا عزيزتى نورما كيف تكون حالة الواحدة منا فى مثل هذه الظروف ! انها أحيانا تشعر كأنما ستفقد عقلها

فقالت نورما بصوت رقيق ينم عن لهفة الانسان الذى يتمنى أن يجد له صديقا واحدا فى الحياة :

ــ انا أعرف . . أعرف تماما ، وانى ألتمس لك العذر

فابتسمت أليس فى حنان ، وقالت :

ــ شكرا يا نورما ، والان هلم اتبعينى ، لان جون يقوم بمفرده على خدمة العملاء

ــ لسوف ألحق بك بعد لحظة

ومضت أليس الى قاعة الطعام وهى تبتسم لنفسها

لقد عرفت أخيرا أين وضعت نورما الرسالة الاخيرة

ونترك الان أصحابنا هؤلاء فى استراحة ريبلز كورنر ، ونعود الى مدينة سان سيدرو حيث نجد سيارة شركة جريهاوند الكبيرة الفاخرة واقفة أمام مخزن شحن البضائع واستراحة المسافرين ، وعمال البنزين يملأون خزاناتها ، وعمال الشحن يرفعون البضائع الى اعلاها عن طريق سلم حديدى صغير فى مؤخرتها ، وفى داخلها كان احد العمال الزنوج ينظف الارضية وما بين المقاعد وما خلف المساند ويرجو فى الوقت نفسه ان يعثر على حافظة نقود ليأخذ بعض ما فيها ويعيدها الى مكانها حتى يعثر عليها العامل فى المحطة التالية . وكان المعتاد أن يجد بعض قطع من النقود والمرايا والمناديل وأقماع السجائر وما الى هذا . وكان المعتاد ايضا أن يحتفظ لنفسه بقطع النقود ، ويعيد الاشياء الاخرى الى مكتب الامانات حتى يطالب بها أصحابها

وفجأة تحقق رجاؤه ، فاذا هو يجد حافظة نقود محشورة بين مسندى مقعدين ، فلما فتحها وجد فيها ورقتين ماليتين ، كل ورقة من فئة الخمسين دولارا ، وبعض أوراق اخرى تخص صاحب الحافظة . وتلفت جورج ، العامل الزنجى ، حوله وقد راح يغص بريقه الذى جف فجأة ، ولاحظ وجود احد العمال الذين يغسلون نوافذ السيارة من الخارج بالقرب منه ، فقرر ان ينتظر قليلا حتى تتاح له الفرصة ليخفى الورقتين الماليتين داخل بنطلونه الازرق ، ثم يعيد الحافظة الى مكانها لكى يعثر عليها العامل فى المحطة التالية .

وفى هذه الحالة لن يكون مسئولا عنها أو عما فيها

ولكن قبل ان تتاح له الفرصة المنشودة ، سمع وراءه وقع خطوات يعرفها جيدا ، انها خطوات لوى سائق السيارة ، ثم اذا به يسمع صوته العميق يقول له :

ــ ها ، جورج ، ألم تعثر على حافظةنقود يقول صاحبها انهما سقطت منه هنا ؟

فغمغم جورج بكلمات مضغمة ، بينما عاد لوى يقول :

ــ حسنا ، سوف أعود بعد قليل ريثما تعثر عليها

فاستدار جورج وهو راكع على الارض ، وقال :

ــ لقد عثرت عليها ، وكنت انوى أن اقدمها الى مكتب الامانات

فقال لوى وهو يأخذ الحافظة من جورج ويفتحها ليتأكد مما فيها :

ــ يقول صاحبها أن فيها ورقتين ماليتين ، كل ورقة من فئة الخمسين دولارا وبعض الاوراق الخاصة . آه ، تماما ، آسف يا جورج أرجو لك حظا أسعد فى المرة التالية

فقال جورج وهو يحاول ان يبتسم :

ــ ماذا لو ان صاحب هذه الحافظة دفع لى مكافأة بسيطة !

وكان عامل تنظيف السيارة من الخارج يطل برأسه فى تلك اللحظة ويتابع المناقشة باسما . وقد قال :

ــ نعم نعم ياجورج ، لابد من المكافأة

وغادر لوى السيارة الى استراحة الركاب حيث وضع الحافظة على مكتب موظف الامانات وقال :

ــ لقد عثر عليها جورج ، انه فتى طيب القلب

وكان لوى يعرف ان الرجل الواقف بجانبه هو صاحب الحافظة ومن ثم اردف قائلا دون ان يلتفت اليه :

ــ لو كنت أنا صاحب هذه الحافظة لدفعت لجورج مكافأة بسيطة تشجيعا له على امانته . فأنا اذكر ذات مرة ان عاملا عثر على ألف دولار وأعاد المبلغ الى صاحبه الذى آبى ان يكافئه بشىء فكانت النتيجة أن تحول هذا العامل الى لص خطير • حسنا ، كم عدد المسافرين معى الى الجنوب ؟

فقال الموظف :

ـ ان سيارتك كاملة العدد ، وبين المسافرين راكب واحد سينزل في ريلي كورنر ، ولا تنس الفطائر هذه المرة كما فعلت مع الخمسين فطيرة في المرة السابقة . ان المتاعب التي عانيتها بسبب هذه الفطائر لا حصر لها

ثم أردف قائلا لصاحب الحافظة :

ـ هذه هي حافظتك يا سيدي ، تحقق مما فيها قبل ان تنصرف

وقال صاحب الحافظة بعد أن اطمأن الى كل ما فيها :

ـ هذه خمسة دولارات مكافأة

وقرر لوى ان يعطي جورج دولارا واحدا ويحتفظ لنفسه بالباقي ذلك انه كان يرى الحياة مجرد فرص ، وكان واثقا تماما أنه لولا وصوله في الوقت المناسب لاختفت المائة دولار من الحافظة قطعا . وكان لوى رجلا في الخامسة والثلاثين من عمره ، كبير الجسم ، ممتلئا الى حد ما ، حسن الهيئة ، حريصا على اناقة ملابسه ، أقرب ما يكون منظرا الى ممثلي السينما المعروفين

ورأى لوى العامل جورج يطل برأسه من باب المخزن ، فتقدم اليه وأعطاه الدولار وهو يقول له :

ـ اليك هذا الدولار يا ابن . . . انه لم يدفع غيره ، عليه اللعنة

فنظر جورج في وجه لوى برهة ، وأدرك انه كاذب ، ولكن ماذا كان في وسعه ان يفعل ! ان في مقدور لوى ان يؤذيه اذا شاء ، ومن ثم هز كتفيه ، وقال :

ـ شكرا

وانتهت عملية شحن وتنظيف السيارة ، فتحركت الى الامام قليلا لكي تحل سيارة أخرى محلها ، وفيما كان لوى واقفا ينتظر الموعد المحدد لصعود الركاب اذا به يرى فتاة مقبلة نحو الاستراحة حاملة في يدها حقيبة ملابسها ، رغم انه لم يتبين ملامحها جيدا لان الضوء كان ينساب من خلفها ، الا انه أدرك انها فتاة من النوع الذي يتمنى هو ان تجلس على المقعد الوحيد وراءه مباشرة . انها فتاة جميلة كما شعر ، لا كما رأى بعينيه ، وهي ليست جميلة فحسب ، وانما تفوح أيضا بالجاذبية الجنسية

ورآها تمضي الى نافذة حجز التذاكر ، فلم يمض وراءها وانما

ذهب الى دورة المياه ، وبلل اصابعه في مياه الحوض ، ومسح بها على شعره بضع مرات ، ثم تناول من جيبه مشطا صغيرا وراح يمشط به شعره الى الوراء • وبعد أن اطمأن تماما الى أنه لا توجد ذؤابات متنافرة منه ، اخذ يمشط شاربه الذي لم يكن في حاجة الى تمشيط ، ثم ارتدى سترته الرسمية الرمادية ، وشد الحزام على وسطه ثم أعاد المشط الى جيبه ، وتأمل نفسه في المرآه ، ثم تحسس جوانب شعره ليتأكد من حسن تصفيفه ، وأصلح رباط عنقه ، ثم وضع في فمه بضع حبات من السن ــ سن . وبعدئذ نفض نفسه كما ينفض الديك ريشه عندما يهم بالتحويم حول دجاجة معينة

وكان لوى لا يكاد يكف عن التفكير في الفتيات الجميلات لحظة واحدة طيلة ساعات يقظته • وكان يحب أن يوقع بهن بين أحضانه ثم يتخلى عنهن

وتقدم خارجا من دورة المياه حيث رأى اثنين من العمال يحملان صندوقا ضخما من الورق المقوى مكتوبا على جانبه هذه العبارة « فطائر مختلفة ، عددها خمسون فطيرة ، صناعة منزلية ، خاصة باستراحة ريلز كورنر التي يملكها المستر جون شيكو » . وكان العاملان يمضيان بالصندوق الى السلم الخلفي للسيارة ليضعاه في أعلاها

ولمح لوى الفتاة جالسة على متكأ في غرفة الاستراحة ، وحقيبة سفرها بجانبها على الارض ، وفيما هو يعبر الغرفة ، أرسل نظرة سريعة الى ساقيها ، ، ثم علق نظراتها في نظرة طويلة مركزة منه ، ثم وضع هذه الابتسامة الرقيقة على شفتيه ، وتقدم نحوها ، ولكن الفتاة اعادت النظر اليه ثم اشاحت بوجهها دون ان تبتسم

وأحس لوى بالاستياء وخيبة الامل ، انه لم يستطع ان يشيع في نفسها الاضطراب والارتباك بنظرته الطويلة المركزة . وانما وجد انها لم تهتم بأمره في قليل أو كثير • هذا مع انها جميلة حقا ، جميلة الساقين والردفين ، بلا بروز عند البطن ، ولا تخاذل عند الصدر ، وانما نهدان كبيران بارزان ، وشعر طبيعي اللون كالذهب ، وعينان مكحلتان ، وبشرة ناعمة وملامح متناسقة ، وشفتان مدممتان ممتلئتان

وكانت ترتدى سترة أنيقة وجونلة ضيقة . وهكذا جمعت فى نظر لوى بين الأناقة والجمال

وتأمل لوى وجهها وهو يعبر الغرفة وقد خامره إحساس بأنه سبق ان رأى هذه الفتاة وان كان لا يذكر متي وأين . ولكن لعلها تشبه فتاة سبق أن رآها أو ربما رآها في دور صغير بأحد الافلام السينمائية . ولاحظ لوى الفتاة جالسة بهدوء تام وبلا أية ظواهر للتوتر العصبى ، وهو عادة يخشى هذا النوع من الفنيات الهادئات المتمالكات لاعصابهن

وفيما هو يوشك على الانصراف قرر لوى ان يعاقبها على استخفافها به ، بالنظر الطويل الى ساقيها ، وكان يعرف ان هذه النظرة تجعل الفتاة تضطرب وتحاول اخفاء الجانب الاكبر من ساقيها ولكن هذه الفتاة ظلت فى مكانها لا تهتز او تتحرك . وعندئذ قال لنفسه مواسيا . لعلها من بنات الليل . ولعل أجرها لا يزيد عن ثلاثة جنيهات . .

ثم ضحك لنفسه وأردف قائلا :

« ولكن بنات الليل لا يرتدين ملابسهن بمثل هذه الاناقة والذوق الرفيع »

ومضى لوى الى نافذة حجز التذاكر ، وابتسم للموظف الجالس بها وكان يدعى ادجار ، وكان هذا شديد الاعجاب ب «لوى» ويتمنى أن يكون مثله ذات يوم

وسأله لوى قائلا :

ـ الى أين ستمضى تلك الحمامة ؟

ـ الحمامة !

ـ نعم ، الجميلة الشقراء

فغمز ادجار بعينيه ، وقال باسما :

ـ آه ، نعم . الى الجنوب

ـ فى سيارتى ؟

ـ نعم

وراح لوى ينقر بانتظام على أرضية النافذة وقد استغرق فى التفكير . ولكن ادجار لم يلبث أن قال له فجأة :

ـ هل تريد أن تلتقط هذه الحمامة ؟
ـ لا بأس من المحاولة ، انها من بنات الليل كما يبدو

فلمعت عينا ادجار وقال بحماس :

ـ وماذا عن بنات الليل ، ماذنبهن و ..

ولكن الشاب تمالك نفسه ثم عاد يقول معتذرا :

ـ انني آسف يالوي ، وبهذه المناسبة أريد أن أقول قبل أن أنسى أرجوك أن تشرف على حمل صندوق الفطائر وتوصيله سالما الى أصحابه في ريبلز كورنر . لقد حدث في المرة السابقة أن اختلطت الفطائر بعضها ببعض ، واضطررنا الى دفع ثمنها لاصحابها

فقال لوى في اعتزاز وثقة بالنفس :

ـ لم يحدث مثل هذا في نوبتي أبدا

وقبل أن يتمادى لوى في شعوره بالاستياء ، اذا به يرفع عينيه الى الساعة الكبيرة المعلقة على الحائط ، وفيما هو يتأملها لمح في زجاجها صورة الفتاة وهي تتأمله من الخلف ، ومن ثم زال كل شعور له بالاستياء وابتسم لادجار ، وقال له :

ـ لسوف أعني بصندوق الفطائر حتى تصل كلها سليمة الى أصحابها

ثم أردف قائلا وهو يغمز بعينه :

ـ يبدو أني سأقضي وقتا لطيفا مع هذه الفاتنة

واستدار ببطء وراح يتأمل مرة أخرى وجه الفتاة الجميل ، ويحاول أن يلتمس فيه كل الامارات التي تنم عن الجاذبية والميل الجنسي الشديد . وقد وجد هذه الامارات في استدارة أنفها واتساع المسافة بين عينيها ، وفي لون شعرها ، وكانت في جملتها فتاة تلفت نحوها انظار جميع الرجال أينما ذهبت

وقرر لوى أن يطبق الدرس الثاني في فن المناورات الغرامية ، فوضع على شفتيه ابتسامة رقيقة تنم عن الاحترام ، ثم علق نظراتها بنظرة طويلة منه ، ولاحظ للمرة الاولى أن البرود زال من نظراتها ، فتقدم منها ، وقال :

ـ سمعت أنك راحلة الى الجنوب في سيارتي يا سيدتي ، واعتبر هذا شرفا كبيرا

ورفت على شفتى الفتاة ابتسامة خفيفة جعلت لوى يردف قائلا :

ــ لسوف أعنى بحقيبتك اذ اننا على وشك التحرك · لم يبق غير ثلاث دقائق

فقالت الفتاة بصوت يفوح أيضا بالجاذبية الجنسية :

ــ شـكرا

ــ دعيني أحمل عنك حقيبتك لاحفظ لك بها المقعد المناسب المريح

ــ انها حقيبة ثقيلة

فابتسم لوى وقال :

ــ وأنا لست قزما كما ترين !

ثم التقط الحقيبة وحملها ببساطة ، وصعد بها الى داخل السيارة حيث وضعها بجوار المقعد الامامي المفرد الذى يقع وراءه مبـاشرة ناحية اليمين ، انه يستطيع عندئذ آن يرى الفتاة طـوال الطريق بواسطة المرآة الموضوعة أمامه ، كما يمكنه أن يتبادل معها الحديث بين الحين والآخر

وفى خلال هذه اللحظات الاخيرة ، كان الركاب يقومون بحـركة نشاط كبيرة فى متجر بيع الحلوى والصحف قبـل الانتقـال الى السيارة ، ووقف لوى بجانب بابها يتطلع الى الركاب وهم يشترون الشطائر والصحف والحلوى ، وقد شاهد أحد الصينيين يشـترى عددين من مجلتى تايم ونيوزويك ، ورأى اثنين من الهنود بعمامتيهما الكبيرتين واقفين فى حيرة دون أن يستطيعا التفاهم مع أحد ، أمـا الفتاة الحسناء ، فقد لاحظ أن كل رجل وأمرأة كان يختلس ، مثله ، النظر اليها بين الحين والآخر وكأنمـا هى مخـلوقة فريدة فى نوعهـا

وأخيرا صعد لوى الى مقعد القيادة ، وفتح للركاب ليصـعدوا بدورهم ، وكانت أول الصاعدين سيدة عجوز اتجهت فورا الى المقعد المفرد الذى وراءه وأرادت أن تجلس عليه ، فقال لها :

ــ معذرة يا سيدتى ، ان هذا المقعد محجوز

ونظرت السيدة آليه شذرا ، ثم قالت بحدة :

ــ ماذا تعنى بكلمة محجوز ؟ اننى لم أعرف يوما أن المقـاعد فى السيارات العامة تكون محجوزة

وكان بعض الركاب قد صعدوا وجلسوا فى المقاعد الخلفية من السيارة ، وقد أجاب لوى على السيدة العجوز قائلا مرة أخرى :

ـ ان هذا المقعد محجوز يا سيدتى ، ألا ترين الحقيبة الموضوعة بجانبه

وكان لوى بطبيعته يكره السيدات العجائز ويخشاهن ولا يطيق رائحتهن • وكان يعرف أن المرأة التى فقدت شبابها تماما تصبح عنيفة قاسية اذا رأت شابا يحاول أن يرضى فتاة حسناء على حسابها

ولمح لوى الفتاة بطرف عينه وهى تهم بالصعود الى السيارة بينما كانت السيدة العجوز لا تزال واقفة فى مكانها ، وهنا أفلت منه زمام أعصابه فقال بحدة وغضب :

ـ اسمعى يا سيدتى ، اننى صاحب الكلمة فى هذه السيارة ، وهناك مقاعد كثيرة خالية بها ، فأرجوك أن تمضى وتختارى أى مقعد منها

فحملقت العجوز فى وجهه بنظرات نارية ، ثم استدارت نحو المقعد الواقع وراء المقعد المحجوز مباشرة وهى تقول بحدة :

ـ اننا نعرف أنك حجزت هذا المقعد لتلك الفتاة ، وانى أفكر جديا فى التبليغ عنك لدى رؤسائك فى الشركة

فانفجر لوى قائلا بغضب :

ـ حسنا يا سيدتى • افعلى ما تريدين ، فان لدى الشركة ركابا كثيرين ، ولكن ليس لديها سائقين ممتازين

ولاحظ أن الفتاة كانت تنصت الى هذا الجدل ، وشعر بالغبطة والرضا ، أما العجوز فقد استطردت قائلة لتزيد من غضبه :

ـ أيا كان الامر ، فسوف أبلغ عنك

فقال لوى بصوت مرتفع :

ـ قلت لك افعلى ما تريدين ، بل يمكنك أيضا أن تنتظرى السيارة الاخرى التى ستتحرك بعد ست ساعات ، ولكنك لن تجلسى على هذا المقعد ، لانه محجوز لراكبة تحمل شهادة طبية

ونجحت هذه الحيلة فى خداع العجوز التى لم تلبث أن قالت فى شىء من الخجل :

ـ ولماذا لم تذكر هذه الحقيقة ! انني لست عنيدة أو قاسية ، ومع ذلك فسوف ابلغ عنك لانك تحدث الركاب بلهجة خشنة

فقال لوى ، وهو يهز كتفيه :

ـ حسنا ، انني معتاد على هذا

ولما جلست العجوز في أقرب مقعد الى الفتاة ، قال لوى لنفسه :

« لسوف تركز سمعها على كل كلمة أقولها لكي تبلغ عنى ٠ حسنا لتفعل ما تريد ، فان حاجة الشركة الى السائقين أشد من حاجتها الى مزيد من الركاب »

وكانت الفتاة قد وقفت بجانبه عندئذ تقدم اليه تذكرتها ، فقال لها متسائلا :

ـ ألن تذهبى الى أبعد من ريبلز كورنر ؟

فقالت الفتاة وهى تبتسم لما بدأ فى لهجة صوته من إستياء :

ـ سوف أركب السيارة الاخرى هناك لاصل الى مدينة سان جون دى لاكروز

فأشار الى المقعد القريب منه وقال :

ـ هذا هو مقعدك

ثم راح يرقبها في مرآته وهي تجلس ، ثم وهى تضع ساقا على ساق ثم وهي تجذب طرف ثوبها لتغطى ركبتيها، ثم وهى تضع كيس نقودها بجانبهـــا

وكانت الفتاة تعرف أن لوى يراقب كل حركة تقوم بها ، اذ كان هذا هو شأنها دائما كلما ركبت سيارة عامة ٠ وكانت تعرف أيضــا أنها تختلف عن غيرها من الفتيات ، ولكنها لا تعرف لماذا ؟ وبطبيعة الحال كان يسرها ، من جهة ، أن يحجز لها السائقون أحسن مقعــد فى السيارة دائما ، وان يشترى لها المعجبون طعام الغداء اثناء السفر وأن يبادر كل رجل وشاب الى التقرب منها ومحاولة اسداء أية خدمة اليها ٠ ولكن هذا كله لم يكن يخلو من متاعب فى النهاية ٠ فقد كان عليها دائما أن تناقش ، وأن تجادل ، وان تشق طريقها للخــلاص حينا بالاهانة ، وحينا بالعراك ٠ وكانت تعرف أن الرجال جميعــا يريدون منها نفس الشىء ، وأن من غير المعقول أن ترضيهـــم جميعــا

وكثيرا ما كانت تعانى الالام من هذه الحالة وهي في سن الصبا ، أما الآن ، فقد راضت نفسها على الاحتمال ، ودربت نفسها على مناورات الرجال حولها حتى أصبحت قادرة على معرفة كل حركة يقوم بها الرجل ، وكل كلمة يقولها .

وكان أشد ما يثير سخطها ويضايقها أولئك الرجال الذين يظهرون لها ، في أول الامر ، الرغبة في رعايتها وتقديم المساعدة لها والعمل على حمايتها دون أن يطالبوها بشيء . ولكنها كانت في الوقت نفسه تقرأ حقيقة رغباتهم كما تقرأ كتابا مفتوحا ، وكثيرا ما كانت تتمنى لو أنهم تركوا النفاق جانبا وتصرفوا معها كما يتصرف بعض الرجال الذين يراودونها عن نفسها بلا لف أو دوران تاركين لها الحرية في أن تقبل أو ترفض .

وأشد ما كان يسخطها ويؤلمها أيضا ذلك الصراع الخفي أو الصريح الذي يدور بين الرجال كلما ظهرت بينهم . انهم يتصارعون بعنف وحدة وقسوة كالكلاب ، كل يريد أن يستأثر بها دون الجميع . وكم تمنت في حياتها لو أن النساء يحملن لها بعض الحب ، ولكن هذا لم يحدث أبدا . لقد كانت الكراهية تطل من عيون النساء بمجرد أن تقع نظراتهن عليها . وهي ذكية تعرف السر في هذا ، ولكن ماذا في وسعها أن تفعل . أن كل ما تريده من الحياة هو بيت لطيف ، في مدينة لطيفة ، وطفلان ، وملابس جميلة ، وأصدقاء وصديقات يقبلن دعوتها للعشاء بين الحين والاخر ، وزوج طبعا ، ولكنها لم تحاول أبدا أن ترسم صورة معينة لذلك الزوج ، يكفى أن يكون رجلا متوسط الدخل ، طيب القلب ، لا يجعل للغيرة أو الشك محلا يسمم حياتهما هذا هو كل ما تريده من الحياة ، وهذا ما تعرف تماما أنها لن تستطيع أن تحصل عليه يوما .

ان الحزن يملأ نفسها ، انها لتتساءل كثيرا عن حالة غيرها من النساء . ترى هل هن يختلفن عنها في الاستجابة الجنسية مع الرجال ؟ لقد أدركت بقوة الملاحظة أن الرجال لا يشتهون معظم النساء كما يشتهونها هي . وانما لا تدرى لماذا ؟ فان استجابتها الجنسية ليست دائمة ، وليست عارمة . ولكنها لا تعرف ما هو الحال مع غيرها من النساء ، انهن لا يتحدثن معها في هذه الشئون ، لانهن لا

يأمن لها ولا يشعرن نحوها بالمودة والحب . لقد حــدث أن تعرفت بطبيب شاب ، فلما سألته عن الفارق بينها وبين غيرها من النســاء قال : « انني لا أدرى تماما ، ولكنك تملئين الجو حول الرجل بالقــوة والحياة ، والحمد لله أن الدنيا لا تخلو من مثيلاتك ، والا لفقد الرجال عقولهم ؟ »

وتعلمت الكتابة على الآلة الكاتبة ، ولكنها لم تستطع الاستمرار في أى عمل أكثر من اسبوع أو أسبوعين ، اذ كان الرؤساء والمرءوسون يتصارعون للفوز بها ، وهكذا ينتهى بها الامر الى الفرار

وأخيرا استطاعت أن تجد أعمالا موسمية في الفرق الاستعراضية التى تقدم فى نهايةالبرامج الترفيهية مجموعةمن الفتيـــات اللاتى يخلعن ملابسهن قطعة قطعة ويقفن على المسرح عاريات تماما بين دوى التصفيق والهتاف والصفير من جمهور أكثر من نصفه عجائز . وقد رأت أن خلعها الملابس على المسرح مقابل أجر طيب كل ليلة ، أفضل لها من خلعها هذه الملابس نفسها ، راضية أو كارهة ، فى غرفة رجل قد يكون عربيدا أو مجرما

وقد أثبتت لها التجارب أن الشبان هم آخر من يصلحون للحياة معها . لقد حاولت أن تعيش بصفة مستمرة في رعاية الواحد منهــم بعد الآخر ، فاذا هم جميعا ينقلبون الى وحوش صغيرة قاسية لاترحم ولهذا رأت أن الرجل الكهل الثرى هو خير من يهيىء لها حياة مستقرة وقد عاهدت نفسها ، اذا عثرت عليه ، أن تكون وفية له ، وأن تعوضه أحسن تعويض نظير ما سينفقه عليها من مال ووقت

وأفاقت الفتاة من أفكارها على صوت لوى ، وهو يقول لهـــا بتردد :

ـ أرى أنك ذاهبة الى لوس انجلوس ، فهل تقيمين بهذه المدينة ؟

ـ بعض الوقت

ـ انني أحاول أن أستنتج بعض الحقائق عن الركاب ، فان رجلا مثلى يرى فى حياته الكثير من الشخصيات المختلفة

ودار محرك السيارة ، ورأى لوى فى المرآة أن المرأة العجوز تحملق فيه بغيظ ، فهز كتفيه وقال لنفسه : « لتفعل ما تشـاء » ، ثم ألقى نظرة أخيرة على بقية الركاب . فرأى الراكب الصينى واضـــعا

الصحيفتين على ركبتيه ومنهمكا فى قراءتهما فى وقت واحد

وانسابت السيارة متحركة من أمام الاستراحة ، وانحرفت يسارا الى الممر المؤدى الى الشارع الرئيسى بمدينة سان سيدرو . وتوقف لوى بالسيارة برهة قبل أن يعبر الشارع الى الجانب الايمن منه ، ثم انطلق بها الى ضواحى المدينة ومنها الى الطريق الزراعى العام

وعاد لوى ينظر الى صورة الفتاة فى المرآة ، ويحاول أن يسجل فى ذهنه كل لمحة من لمحات جمالها الآسر ، وفجأة رآها تبتسم له ، فغص بريقه ، وأحس كأن شيئا ما يضغط على صدره ويعتصر قلبه ، وان عقله يوشك أن يطير من رأسه . ولكنه تمالك نفسه وقال : « عجبا لى ؟ اننى أحس كأنى تلميذ مراهق يرى فتاة جميلة ، لاول مرة ؟ كيف أوشك أن أفقد عقلى أمام فتاة من بنات الهوى كهذه » . وفى تلك اللحظة لمح على كل جانب من جانبى جبينها ، تحت خصلات الشعر الذهبى ، آثار الكى بالنار ، انها الآثار التى يدمغ بها مكتب الاداب كل فتاة تحترف الدعارة . وأحس لوى بالارتياح عندما رأى آثار هذا الكى . وأدرك أنها لن تظل هكذا متكبرة مزهوة بجمالها لو عرفت أنه رأى هذه الآثار التى تحاول جاهدة أن تخفيها تحت خصلات شعرها

وتذكر لوى أن المسافة الى ريبلز كورنر لا تزيد عن أربعين ميلا ، وأن السيارة لن تستغرق فى قطعها أكثر من ثلثى ساعة . ومعنى هذا أن عليه – اذا أراد أن يتصرف بالفتاة – ألا يضيع لحظة واحدة

وتمتم ببضع كلمات فى صوت مضطرب ، وانحنت الفتاة نحوه ، وقالت :

– اننى لم أسمعك

فتنحنح وقال :

– كنت أقول ان المزارع تبدو جميلة ناضرة بعد المطر

– نعم ، هذا صحيح

ورأى أن يعود الى حديثه الاول ، فقال وهو يلاحظ انها لا تزال منحنية نحوه :

– اننى أحاول كما ذكرت أن أستنتج بعض الحقائق عن الشخصيات

التي تركب معى ، واستطيع أن أقول عنك أنك تعملين اما في المسرح أو في السينما

فقالت الفتاة :

ـ لا ، لقد اخطأت الاستنتاج

ـ اذن في الفرق الاستعراضية ؟

ـ لا

ـ حسنا ! هل تعملين في أحد المكاتب ؟

فضحكت الفتاة ، وازداد وجهها جاذبية وهي تضحك ، وكانت في الوقت نفسه تدرك الغرض من هذا الحديث ، انه يريد أن يستدرجها ليعرف منها رقم تليفونها أو عنوان مسكنها . فهكذا الامر دائما . ولكن لا بأس ، انه لن يستطيع أن يعرف شيئا ، لانها كانت ذاهبة الى لوس انجلوس لتبحث عن عمل ، وهذا يعنى أنها ستعيش فترة ما بلا مسكن وبلا رقم تليفون

وانحنت نحوه وقالت :

ـ اسمع ، لسوف أوفر عليك الوقت والجهد ، انني كنت أعمل ممرضة في عيادة طبيب أسنان .

ولم تدر لماذا قالت له هذا ، لعلها كانت تعرف بخبرتها أن الناس عادة لا يحبون أن يكثروا الحديث عن العمل في عيادات طب الاسنان

وفكر لوى برهة ، ثم قال وهو يخفف من سرعة السيارة بعض الشيء ليكسب مزيدا من الوقت :

ـ انني أذهب أحيانا الى لوس أنجلوس ، فهل ثمة مكان معين استطيع أن التقى بك فيه لنذهب الى السينما أو الى مطعم للعشاء

فابتسمت في رفق وقالت :

ـ انني الآن بلا مسكن ، وربما مرت بضعة أيام قبل أن استقر في مسكن خاص

ـ ولكنك تعملين في مكان ما ، ألا يمكن أن أزورك في محل عملك ؟

وكانت المرأة العجوز تتلوى وتتململ في مقعدها من فرط السخط

لان لوى منعهـــا من الجلوس فى المقعد الامــامى • أمـــا الفتـــاة فقالت :

ـ لا ، اننى بلا عمل فى الوقت الحاضر ، ولكننى سوف أجد عملا بسرعة عند وصولى الى لوس أنجلوس ، فأنت تعرف أن هناك أزمة فى الممرضات المدربات

ـ هل أفهم من هذا أنك تريدين التخلص منى ؟

ـ لا ، أبدا

ـ حسنا ، لعلك لن تبخلى على يوما برسالة قصيرة تخبريننى فيها بمحل اقامتك أو رقم تليفونك

ـ سأحاول أن أفعل

ـ اننى فى الواقع أريد أن أتعرف بفتـــاة جميلة مثلك فى لوس أنجلوس لاصحبها الى دور السينما والمسرح

وهنا انفجرت المرأة العجوز قائلة لجميع الركاب بصوت مرتفـع كله الغضب :

ـ ان القانون الرسمى يمنع السائق من التحـــدث مع الركاب ، ويحسن بك يا هذا أن تركز اهتمامك فى قيادة السيارة ولا تعرض حياتنا للخطر • أما اذا تماديت فى هذا ، فانى سأطلب منك التوقف لكى اهبط

وأطبق لوى شفتيه فورا . اذ كان يعرف ان للعجوز الحق هــذه المرة فى توجيه اللوم اليه ، بل ان فى مقدورها اذا شاءت أن تحــرج مركزه مع ادارة الشركة . ونظر فى المرآة ، فرأى الفتاة تبادله النظرات فى صمت ، وأخيرا حرك شفتيه قائلا بصوت هامس : « اللعنــة على تلك الحيزبون العجفاء »

وفهمت الفتاة كلماته الصامتة ، فابتسمت ، ووضعت اصبعها على فمها وهى تحس فى وقت واحد بالراحة والاسف ، الراحة لان تدخل العجوز فى الحديث جاء فى الوقت المناسب ، أى قبل أن يتمادى لوى فى حديثه معها ويثير الاضطراب حولها ، والاسف لانه كان فى رأيها شابا لطيفا لاترفض أية فتاة من طبقتها أن تنشىء معه علاقة موقوتة أو دائمة

وأدرك لوى بدوره من موقف الفتاة انها لا تريد اثارة المشكلات . وكانت السيارة تقترب بسرعة من ريبلز كورنر ، والوقت من ثم

يطير ، فماذا تراه يفعل ليظفر منها بوعد قاطع على اللقاء قبـل أن نهبط من السيارة وتختفي من حياته ؟

ووصلت السيارة الى ريبلز كورنر قبل أن يصل هو الى حل لهذه المشكلة

وقال جون شيكو وهو يستقبله :

ــ ها يا لوى ، هل جئت لى معك بصندوق الفطائر ؟

ــ نعم ، وكلها سليمة

ــ وماذا أيضا ؟

ــ وراكبة واحدة

ونهض لوى من مقعده ، وحمـل حقيبـة الفتـاة ، وهبط من السيارة ، ثم مد يده وساعد الفتاة على الهبوط ، ثم سار معها نحو قاعة الطعام حيث قالت له عند مدخلها :

ــ وداعا وشكرا

ــ وداعا !

وراح يتأملها وهى تغيب فى داخل القاعة

وعاد الى مكانه من مقعد القيادة ، بينما كان جون وبمبلز قد هبطا بصندوق الفطائر ، فقال لهما لوى :

ــ الى اللقاء

وتحركت المرأة العجـوز الى المقعـد الامامى القريب منـه ، وجلست عليه

وأغلق لوى باب السيارة فى عنف ، ثم أدار محركها ، وانطلق بها وهو ينظر الى المرآة أمامه . فلما رأى وجه العجوز المشرق بالانتصار عليه ، قال لنفسه :

ــ لقد ضيعت منى فرصة العمر أيتها اللعينة الحيزبون

ولما تلاقت نظراته بنظراتها عن طريق المرآة ، عاد يحرك شفتيه قائلا :

ــ اللعنة عليك يا أخت الابالسة

وشحب وجه المرأة وزمت شفتيها

وابتسم لوى وقد أدرك أنها فهمت كلماته

وظلت السيارة فى انطلاقها على الطريق الزراعى

الفصل السابع

الكل مضطرب

حمل جون وبمبلز صندوق الفطائر الى باب قاعة الطعام حيث وضعاه برهة على الارض ، وراحا يرقبان الفتاة الشقراء وهى تدخل الى القاعة . وصفر بمبلز بشفتيه صفيرا خافتا وقد تصبب العرق من راحتيه ، بينما ركز جون نظراته برهة على ظهر الفتاة وساقيها ، ثم ابتسم قائلا لبمبلز :

ـ انا أعرف ما سوف ماتقوله لى الآن ياكيت . وأراهن عليه !

فنظر بمبلز اليه مدهوشا ، وقال فى ارتباك :

ـ على أى شىء ؟

ـ على انه قد خطر لك الآن انك لم تظفر بأجازة منذ اسبوعين ، وانه قد آن لك أن تنال اليوم اجازة ، وأن تسافر معنا الى مدينة سان جوان دى لاكروز ولعلك تتمنى فى قرارة نفسك ان تتعطل السيارة فى الطريق لتبقى بجانب هذه الشقراء أطول فترة ممكنة !

واضطرم وجه بمبلز ، وبدا الارتباك عليه برهة ، ولكنه اطمأن حين رأى ابتسامة جون ، ثم قال :

ـ صدقت ؟ انك رجل موفور الذكاء ، طيب القلب !

ـ ولكن من الذى سيتولى أمر محطة البنزين واصلاح العجلات المثقوبة ؟

ـ ومن الذى كان يقوم بهذا العمل قبل ان اعمل معكم ؟

ـ لا أحد ، وقد تعودنا فى هذه الاحوال ان نضع لافتة صغيرة على باب الجراج مكتوبا عليها « مغلق لاسباب قاهرة »

ثم ضرب على كتف بمبلز ، وقال :

ـ اما اليس ففى مقدورها أن تزود السيارات بما يلزمها من وقود

وقال بمبلز لنفسه :

« يا له من رجل طيب حقا »

وعاد جون يقول :

ــ والآن ، عليك أن تنقل هذه الفطائر في حذر الى قاعة الطعام

وحمل بمبلز فطيرتين برفق ومضى بهما الى قاعة الطعام ليسلمهما للمسز شيكو ، وكانت الفاتنة الشقراء جالسة الى مائدة الخدمة تشرب قدحا من القهوة ، ورغم أن الفتى لم ير وجهها ، الا أنه أحس بالجو « المكهرب » الذى أشاعته فى القاعة

لقد كان المستر بريكارد والعجوز فان برانت ، والشاب ارنست هورتون فى حالة قريبة من الذهول ، وهم يسرحون أعينهم على محاسن الشقراء الفاتنة ، ثم يغضون بأبصارهم لكى يعيدوا النظر وهكذا ، وكأنما أصابهم مس من الجنون

ولم تكن أليس عند مائدة الخدمة ، وانما كانت نورما هى التى تقوم بالعمل فى تلك اللحظة ، وكانت تسأل الشقراء قائلة :

ــ أتحبين أن أقدم اليك قطعة من الفطير الطازج ؟

وتوقف بمبلز برهة ليسمع صوت الفاتنة الشقراء التى قالت :

ــ نعم ، اذا سمحت

واحس بمبلز بألم فى أمعائه وهو يسمع صوت الفتاة الممتلىء بالجاذبية الجنسية وعاد الى الخارج ليأتى بمزيد من الفطائر ، وهناك قال له جون :

ــ لا تتلكأ عند تلك الشقراء ، لسوف تشبع عينيك منها طيلة المسافة الى مدينة سان جوان الا اذا كنت تنوى أن تقود السيارة

وأومأ بمبلز برأسه ، وحمل الخمسين فطيرة الى قاعة الطعام ، ثم ساعد جون فى حمل صندوق آخر من الفطائر كان فى طريقه الى سان جوان ، عندما أراد وضعه فى المخزن الداخلى للسيارة الحافلة « سوتيهارت » . وكانت هذه قد أصبحت معدة للسفر ، ومن ثم وقف جون على مسافة خطوات منها وراح يتأملها باعجاب . حقا انها ليست فى قوة وجمال سيارات شركة الجريهاوند ، الا نها لابأس فى ذاتها

وقال بمبلز :

ـ هلم نستعد للرحيل . اغلق باب الجراج ، وضع لافتة الغلق عليه ، واسرع بتغيير ملابسك اذا أردت أن تكون معنا

وانطلق بمبلز ليقوم بهذه الاعمال ، بينما نفض جون ملابسه ، ومضى الى قاعة الطعام حيث رأى المستر بريكارد جالسا وقد وضع ساقه اليمنى على اليسرى وراح يحرك أصبع قدمه الكبيرة فى حركات عصبية تشنجية . وكان المستر بريكارد قد لمح وجه الفاتنة الشقراء وهى تدخل القاعة ، وأحس بدبيب النشوة والانفعال يسرى فى أعماق نفسه ، الا أنه عقد جبينه برهة مفكرا ، لقد خيل اليه أنه رأى هذه الفتاة من قبل ، ربما فى مكتب صديق له ، أو ربما فى مكان آخر ، ولكن المؤكد أنه رآها من قبل . أما أين ومتى فهو لا يعرف !

وكانت زوجته تنظر خلسة الى حركات قدم زوجها ، أما ارنست هورتون فكان يحملق بلا حياء الى ساقى الفاتنة الشقراء . وشعرت نورما بالميل الى الفتاة الحسناء ، لانها لم تكن تغار منها فى شىء او تخاف منها على شىء . ثم انها تجد هذه الفتاة لطيفة فى تصرفاتها وفى حديثها ، ويبدو أن الشعور كان متبادلا بين الاثنتين ، لان الشقراء الفاتنة أحست بالميل المفاجىء الى هذه الفتاة الوادعة التى ينم وجهها عن الطفولة والبساطة

وكانت اليس قد قالت لنورما قبل وصول سيارة شركة الجريهاوند بلحظات :

ـ أرجو أن تقومى على الخدمة هنا ريثما اعود ، ولن اغيب كثيرا

ثم اقبلت السيارة ، وشغلت نورما بتقديم القهوة والحلوى للشقراء الفاتنة ، ولكنها الآن قد تذكرت . تذكرت اليس وادركت المعنى المنطوى وراء غيبتها فى غرفات النوم . لا شكّ انها الآن تبحث عن الخطاب ، خطابها الذى كتبته لكلارك جيبل . ولعلها عثرت عليه وراحت تقرأ محتوياته بتعريض المظروف لضوء الشمس واستبد الغضب بنورما ، ونظرت الى اكداس الاوراق المالية فى درج الخزينة وغصت بريقها . ان جانبا من هذه الاوراق يمكن أن يتيح لها رغد الحياة حتى تحصل على عمل آخر . ولكن لا ، انها ليست من هذا النوع ، ولن تكون يوما منه . واحست بالرغبة القوية فى ترك عملها

مع اليس ، بل اقسمت أن تترك عملها هذا أذا ثبت لها أن اليس انصرفت لتقرأ خطابها الى المستر جيبل.

واقبل جون فى تلك اللحظة الى قاعة الطعام ، ووقف برهة ينظر الى ظهر الفاتنة الشقراء ، وهنا قالت له نورما :

ـ اتسمح بالوقوف فى مكانى برهة يا مستر شيكو

فسألها قائلا :

ـ أين اليس ؟

ـ لا أدرى !

ولكنها كانت واثقة أن اليس فى تلك اللحظة مشغولة بقراءة خطابها على ضوء الشمس ، وفجأة احست برغبة عنيفة فى الانطلاق الى اليس ، وفى انشاب أظافرها في وجهها ، وفي اخراج عينيهـــا من مقلتيهما ، والايقاع بها على الارض ثم ضربها ضربا مبرحا

وقال جون وهو ينظر الى الانفعالات المرتسمة على وجه نورما :

ـ ما بالك يا نورما ؟ هل انت مريضة !

وانطلقت نورما إلى غرفة نومها في تسلل وحذر ، وهنـــاك رأت اليس فعلا واقفة بجانب النافذة وقد رفعت الخطاب الى ضوء الشمس، وراحت تبذل جهدها لتقرأ محتوياته

واحست اليس أن الفتاة واقفة وراءها ، فاستدارت فى خجل ، ثم وقفت مندهشة فاغرة الفم مضطربة الوجه وهى تنظر الى نورمـا التى بدت فى تلك اللحظة كأنما تحولت الى فتاة اخرى

وتقدمت نورما بخطوات ثابتة نحو اليس وقـد زمت شـفتيها وعضت على نواجزها ودكزت عينيها فى وجـــه المراة التى احست بخوف غامض يسرى فى كيانها ، فمدت يدها بالخطاب الى نورما ، فأخذته هذه بهدوء وطوته ووضعته فى صدرها ، ثم تناولت مفتاح حقيبة السفر وفتحتها وراحت تجمع فيها كل حاجياتهـــا دون ان تلفظ بكلمة

وتسمرت اليس فى مكانها وهى ترقب نورما ، فلما تأكدت ان الفتاة تنوي الرحيل فعلا قالت لها :

ـ هل سترحلين اليوم فورا ؟

ولم تجب نورما ، وانما قررت ان تحتفظ بموقفها النبيل ، والا

تسمح لاحد بأن يرغمها على اتخاذ خطوات مخالفة لما قررته

وعادت اليس تقول فى لهجة اعتذار :

ـ اننى لم أقصد أبدا أن أسىء اليك

ولم تقل نورما شيئا ، بل ولم ترفع عينيها الى اليس التى أردفت قائلة فى صوت ينم عن القلق :

ـ يحسن الا تخبرى أحدا بما حدث والا اتهمتك بالسرقة

ومرة ثالثة لم تجب نورما ، وانما مضت الى معطفها الاسود المزين بفراء ارنب ، فحملته على ذراعها ، وتناولت حقيبتها التي كانت تضم كل ما لديها فى الدنيا ، ثم خرجت من الغرفة ومضت بهـــدوء الى آلة النقد وتناولت منها بقية حسابها ، وكان المبلغ لا يزيد عن أحـــد عشر دولارا وبضعة بنسات . فلما وضعت المال فى جيب معطفهـــا الاسود ، نظر جون الى وجهها الصارم وقال مندهشا :

ـ ما معنى هذا ؟ ماذا حدث ؟

فقالت نورما :

ـ اننى راحلة معك الى مدينة سان جوان

ـ ان عليك أن تبقى لمساعدة اليس ، فليس من المعقـــول ان تظل هنا بمفردها

ـ هذا ليس من شأنى ، لقد تركت الخدمة

ولاحظت نورما أن الفاتنة الشقراء تراقبها ، وهى تنصرف من القاعة الى السيارة . اما جون فقد هز كتفيه وتمتم قائلا :

ـ ما معنى هذا ؟

وسمعه ارنست هورتون الذى كان متجهم الوجه ، اذ كان فى الواقع يكره اليس ، ولكنه لم يعبر عن كراهيته هـــذه بالالفاظ ، وانما قال ببرود :

ـ متى سنبدأ الرحيل ؟

ـ فى العاشرة والنصف تماما . اى بعد عشرين دقيقة ، وسوف أمضى الآن لاغير ملابسى ، فاذا اراد احدكم ان يشرب قدح قهوة ، فما عليه الا ان يأتى ويأخذه بنفسه ، وها هو ذا الابريق الكبير الممتلىء بالقهوة

ومضى الى غرفة النوم حيث خلع ملابسه الخارجية ، وانثنى الى

الحمام ليغتسل ، وعندئذ رأى زوجته خارجة منه ، فقال لها :

ـ ماذا حدث ؟ يبدو أن أعصابك انهارت تماما !

ـ انني أعاني من وجع أسنان رهيب ، ولا يزال الوجع مستمرا

ـ ولكن ماذا حدث من نورما ؟

ـ دعها وشأنها . لقد كنت أعلم اني سأفضح أمرها يوما

ـ ماذا فعلت ؟

ـ انها خفيفة اليد

ـ وماذا أخذت ؟

ـ أتذكر زجاجة عطر البللودجيا التي أهديتها الي في عيد رأس السنة الماضية . لقد اختفت منذ اسبوع ، ثم عثرت عليها اليوم في حقيبة ملابسها ، ولما جاءت وعرفت الحقيقة قررت ترك الخدمة

واغمض جون عينيه برهة . لقد كان يعرف أن أليس كاذبة : ولكنه لم يهتم كثيرا ، لانه آلى على نفسه الا يتدخل فيما بينها وبين العاملات اللاتي تستخدمهن لمساعدتها

ومضى الى الحوض ، وهو يقول :

ـ ان أعصابك تالفة اليوم يا اليس ، اقترح عليك أن تغلقي أبواب المطعم بعد رحيلنا ، وأن تشربي حتى تفقدي وعيك من فرط السكر

فابتهجت أليس وقالت :

ـ وهل سيمضي بمبلز معكم ؟

ـ نعم

وازداد احساسها بالبهجة ، لقد كانت تهفو الى مثل هذا اليوم الذي تقضيه بمفردها تماما ، بلا زبائن ، وبلا عمال أو عاملات ، وبلا خوف من زوجها ، وبلا أية هموم أو متاعب

وكان ارنست هورتون قد اقترب في تلك اللحظات من الفاتنة الشقراء ، ثم قال لها بعد أن حياها :

ـ أتقبلين أن أقدم اليك قدحا من القهوة وبعض الشطائر ؟

فابتسمت وقالت :

ـ أوه ، شكرا . يكفي قدح من القهوة !

وقال مقدما نفسه :

ـ انني ارنست هورتون ، مندوب احدى شركات العاب التسلية

فردت عليه قائلة ببساطة :
ــ وانا .. كاميليا أوكس ، ممرضة سابقة بعيادة طب الاسنان
ولم يكن هذا اسمها فى الواقع ، ولكنه ورد على لسانها عفوا ، فقررت أن تظل « كاميليا أوكس » طيلة الرحلة الى لوس انجلوس على الاقل
وقال ارنست وهو يقدم اليها اناء السكر :
ــ يبدو لى انى سمعت هذا الاسم منذ عهد قريب
وكان المستر بريكارد لا يزال مشغولا بتحريك طرف قدمه حركات اختلاجية عصبية ، وكانت زوجته برنيس لا تزال تختلس النظر الى هذه الحركات وقد ادركت أن زوجها مشغول الفكر بشيء مهم
وفجاة نهض واقفا ومضى الى مائدة الخدمة وقال لارنست :
ــ لعلك تقصد أنك سمعت عن « جريمة أوكس » حسنا ، اننى واثق أن هذه الشابة الحسناء لا علاقة لها بمثل هذا النوع من الجرائم
ثم ضحك واردف قائلا لاليس :
ــ مزيدا من القهوة ، ارجوك
واختلست ابنته ميلدرد النظر اليه وقد ادهشها هذا التغيير المفاجىء الذى طرأ على أبيها ، لقد كان منذ لحظات يتحدث بجفاف ، ويبدو شديد الضيق والقلق ، ولكنه الان لطيف الحديث ، جميل الصوت ، باسم الوجه ، متالق النظرات !
وعادت ميلدرد تحملق فى هذه الشقراء وقد أدركت أن أباها ارتد الى الشباب بسبب وجود هذه الفتاة فى القاعة
وقال المستر بريكارد للفاتنة الشقراء :
ــ اننى واثق أنى رأيتك من قبل !
ونظرت كاميليا الى شارة النادى المثبتة فى ياقة سترته ، ثم أدركت أنه رآها فى احدى الحفلات الترفيهية التى يقيمها النادى لاعضائه العجائز بين الحين والآخر .وكانت ادارة النادى تحرص على استحضار الفرق الاستعراضية التى تعرض ممثلاتها عرايا تماما على المسرح . وقد كانت كاميليا واحدة من هؤلاء الذين أحيوا ليلة حمراء من ليالى النادى ولكنها بطبيعة الحال لم تر المستر بريكارد ، لانه كان مجرد وجه

بين مئات الوجوه المتراصة أمام المسرح أو مجرد عينين بين مئات العيون المحملقة في جسدها العاري تحت الاضواء الخافتة

وأجابت عليه قائلة :

ـ ربما رأيتني في مكان ما ، ولكنني لا أذكر أني تشرفت برؤيتك قبل اليوم

فألح المستر بريكازد في السؤال قائلا :

ـ ألم تكوني يوما ما في الوسط الغربي ؟

ـ كنت أعمل في مدينة شيكاغو !

ـ أين ؟

ـ في عيادة لطب الاسنان

فتألقت عينا المستر بريكارد وقال :

ـ أراهن أنها عيادة صديقي الدكتور هوراس ليفولز . لقد كنت أتردد عليها كثيرا

ـ لا ، انني لم أعمل يوما مع الدكتور هوراس

وأصر المستر بريكارد على مواصلة الحديث مع الفاتنة قائلا :

ـ لسوف أتذكر أين رأيتك ان عاجلا أو آجلا

ولمح بريكارد أمارات الاشمئزاز من موقفه في عيني ابنته ، وكانت زوجته قد لمحت نفس هذه الامارات في ذات الوقت ، فقالت له :

ـ أليوت ، هل تسمح وتأتيني بقدح قهوة ؟

وبدا كأن المستر بريكارد ينتفض عائدا الى أرض الحقائق ، فقال بصوته العادي الجاف :

ـ آه ، نعم ، طبعا

وهنا فتح باب المطعم بقوة ، وانصفق بقوة ودخل بمبلز كارسون وقد تغير سمته تماما ، فبعد ان كان مرتديا ملابس العمـــل الملوثة بالشحم والزيوت ، وبعد أن كان وجهه لايكاد يبين تحت لطع هذه الشحوم نفسها ، اذا به يدخل نظيفا ، أنيقا لايعيبه الا بثور « حب الشباب » المنتشرة في كل وجهه

ونظرت أليس اليه في دهشة ثم قالت للحاضرين :

ـ آه ، انظروا الى هذا الكرنفال المتحول !

وازداد شعور بمبلز بكراهيتها ، ولكنه قرر ان يتجاهل تعريضها

به ، وجلس على المقعد الذى تركه المستر بريكارد ليتقدم بالقهوة الى زوجته ، ثم قال :

ـ أريد قطعة من فطير الزبيب الجديد

ثم التفت فى اضطراب نحو الفاتنة الشقراء ، وأردف قائلا :

ـ ينبغى يا آنسة أن تتناولى قطعة من هذا الفطير ، انه رائع

ونظرت كاميليا اليه ، وأحست بالعطف عليه ، لانها أدركت ما كان يجيش فى صدره عندئذ من عواطف المراهقة . ومن ثم قالت برفق :

ـ لا ، شكرا ، لقد تناولت الافطار فى سان سيدرو

ـ لسوف أدفع لك ثمنها !

ـ أوه ، شكرا . لا أستطيع

وقالت أليس ساخرة :

ـ ولكنه هو يستطيع ، يستطيع ، وهو واقف على رأسه ، أن يأكل شريطا من الكعك والفطائر يمتد من هنا الى شيكاغو

ولما أعدت الفطيرة لتقتطع منها ، قال لها بمبلز ببساطة :

ـ اجعليها قطعتين من فضلك

فقالت أليس بقسوة :

ـ أعتقد أنك لن تقبض مليما واحدا فى الاسبوع التالى ، لانك أكلت بكل اجرك فطائر وحلوى

وجفل بمبلز متوجعا . . آه ، لشد ما يكره هذه المرأة ! ولكن هذه المرأة آليس ، كانت مشغولة عنه بالنظر الى الفاتنة الشقراء ، وتأمل جمالها الصارخ . وكانت فى تلك اللحظة قد أدركت حقيقة الجو السائد فى غرفة الطعام : أدركت أن عواطف الرجال جميعا كانت متجهة كلها نحو واحد كأنما هى مشدودة اليه بقوة مغناطيسية . وازدادت أعصابها توترا وهى تفكر فى تأثير هذه الفاتنة على جون . لسوف تعرف مدى هذا التأثير عندما يدخل القاعة . وكانت قبل لحظات تتمنى أن ترحل السيارة بالركاب حتى تنفرد بنفسها وتشرب الى أن تفقد وعيها ، أما الآن فانهاقد بدأت تتردد وتضطرب وترجو أن يحدث أى شىء يمنع سفر هذه الفتنة المتحركة مع زوجها فى سيارة واحدة

وقال أرنست هورتون :

ـ ان لدي حقيبة مليئة بعينات من ألعاب التسلية ، ويمكنني أن أعرض عليك بعض هذه الالعاب الحديثة جدا والتي لاتخطر على البال

ونظرت كاميليا الى الشارة الموضوعة في ياقة سترته وأدركت منها أنه من الذين قاموا بأعمال بطولية في الحرب الاخيرة

وقالت الفتاة بصوت هادىء لارنست :

ـ كم مضى عليك من الوقت منذ تركت الخدمة العسكرية ؟

ـ خمسة أشهر

فعادت تتأمل الشارة ثم قالت :

ـ انها شارة وسام التقدير من الدرجة الاولى . أليس كذلك ؟

ـ هكذا يقولون ، ولكنه لا يصلح لشراء أقة من الفاكهة

وضحك الاثنان . وقالت كاميليا :

ـ هل ثبته الرئيس الكبير بنفسه على صدرك ؟

ـ أجل

وانحنى المستر بريكارد ليلتقط بعض الحديث ، حتى يستطيع الاشتراك فيه ، هذا بينما كان بمبلز يقول لكاميليا في الحاح :

ـ أؤكد لك ان فطيرة الزبيب هذه لا مثيل لها ، تناولي قطعة منها

ـ لا ، لا أستطيع

وقالت أليس لبمبلز :

ـ اذا وجدت ذبابة أخرى في قطعتك هذه ، فسوف أعطيك بقية الفطيرة كلها فورا

وأدركت كاميليا ، باحساسها الذى قلما يخطىء فى مثل هذه الحالات ، ان هذه المرأة تكرهها . ومن ثم نظرت الى المرأتين الاخريين في الغرفة ، ولم تلبث أن أدركت أن المسز بريكارد سيدة لاتكره أية فتاة أو امرأة أجمل منها ، أما الفتاة ميلدرد ، التي تحاول ان تبقى بلا نظارة على عينيها ، فقد رأت انها خطيرة ، وتمنت الا تصطدم بها لاى سبب . وعادت تنظر الى المستر بريكارد وقد رأت انه أنموذج الكهل الثرى الذى تتمنى أن تعيش معه فى حياة متبادلة المنفعة : هو بماله يضمن لها الاستقرار فى الحياة وهى بجمالها تملا عليه حياته

وفى تلك اللحظة أقبل جون من غرفات النوم وقد ارتدى ملابسه

النظيفة ، ومشط شعره الاسود الغزير الى الوراء ، وبدا وجهه لامعا مشرقا بعد أن أجاد حلاقته ، وقال الرجل بصوته الرنان :

ـ هل انتم مستعدون جميعا للسفر أيها السادة ؟

وراقبته آليس بامعان وهو يتقدم الى قاعة الطعام ، فلاحظت أنه لايلتفت الى الفاتنة الشقراء ، ومن ثم أدركت أن الامر سيكون خطيرا ، اذ كانت تعلم أن تجنبه النظر اليها لايعني أنه لايهتم بأمرها ، وانما العكس هو الصحيح

وأقبل العجوز المستر فان برانت ذو العنق المتصلبة ، وقال :

ـ يبدو أن المطر سينهمر مرة أخرى

فقال له جون باقتضاب :

ـ إنك ستركب سيارة الجريهاوند التالية

ـ لقد غيرت رأيي وسوف أمضي معكم ، لانى أريد أن أرى المعبر · وبهذه المناسبة ، لماذا لم تستعلم عن حالة المعبر مرة أخرى ؟

ـ لقد استعلمت مرة ، وهذا يكفى

ـ لا ، هذا لا يكفي اطلاقا · انك هنا أجنبى ، أى لا تعرف كيف ترتفع المياه بسرعة فى نهر سان سيدرو . لقد رأيت المياه بنفسي ترتفع بمعدل قدم فى الساعة عندما تنهمر عليه السيول من الجبال

فقال جون فى ضيق شديد :

ـ اسمع ، انني أنا الذى أقود السيارة ، وأنا الذى أقدر الموقف على حقيقته ، وان لك مطلق الحرية فى أن تمضي هنا أو تتخلف عنا

فتلفت فان برانت حوله ثم قال :

ـ انني لا أدرى ، ولكنني قد أقدم شكوى الى مدير المواصلات هنا ، وما انت الا سائق سيارة عامة ، فلاتنس هذه الحقيقة

فقال جون :

ـ هلم أيها السادة الى السيارة

ومرة أخرى لاحظت اليس أن زوجها لا يلتفت بنظراته الى كاميليا ، مما يدل ، فى رأيها ، على انه ملتفت اليها بكل عواطفه

أما كاميليا ، فقد تناولت حقيبة سفرها ، وأسرعت خارجة الى السيارة دون أن تنتظر احدا من الرجال ، وكانت تشعر بالضجر منهم ، كما ادركت أن الفتاة ميلدرد لا تحمل لها اى عطف أو مودة ،

ولكن الفتاة الاخرى ، نورما ، رات انه من الممكن اكتساب مـــودتها بكل بساطة

وقالت كاميليا لنورما وهى تضع حقيبتها بالقرب من مقعدها :

ـ الديك مانع فى أن أجلس بجانبك ؟

فالتفتت نورما نحوها ببرود وقالت :

ـ يمكنك أن تجلسي حيث تشائين ، فانني لا أمتلك هذهالسيارة

ـ ولكنني أرجو أن أجلس بجانبك ، وسوف أخبرك لماذا فيمابعد

فهزت نورما كتفيها ، وأفسحت لكاميليا مكانا بجانبها ، ثم قالت لها بعد برهة صمت :

ـ الى أين ستمضين ؟

ـ الى لوس انجلوس

ـ أوه ، عجبا ، انني ذاهبة اليها ايضا . هل تقيمين هناك ؟

ـ أحيانا وأحيانا

وكان الرجال قد صعدوا الى السـيارة وراحوا يتنافســون ـ خلسة ـ للجلوس فى المقاعد القريبة من كاميليا ، وكان جون قد تلكأ قليلا فى قاعة الطعام حيث أخذ يتبادل الحديث مع اليس قائلا:

ـ اطمئني وهدئي أعصابك ، وحاولى أن تعودى الى حالتــك الطبيعية قبل أن أعود إليك . والا فسوف يأتي اليوم الذى لا أعود فيه اليك

وصعد جون الى مقعد القيادة حيث وجد ، لسخطه الشديد ،ان العجوز فان برانت قد احتل أقرب المقاعد اليه هو ، بينما جلس المستر بريكارد فى مقعد أمامى ، وكان الرجل الثرى يريد فى الواقع ان يجلس وراء كاميليا على اليمين حيث يستطيع أن يراها ويتبادل معها الحديث طوال الرحلة ، ولكن المسز بريكارد اختارت لجلوسها ذلك المقعد الامامى ، فلم يسع زوجها ، الا الجلوس بجانبها .

أما الراكب المحظوظ الذى جلس فى أقرب مقعد الى كاميليـــا فكان الفتى يميلز ، وكان ارنست هورتون هو الجالس بجانبه

وجلست ميلدرد بمفردها على المقعد التالى لمقعد والديها

وجلس جون وهو متوتر الاعصاب يتساءل فى نفسه : لماذا أبقى مع اليس ؟ لماذا استطاعت هى أن تقتنصنى كل هذه السنوات ؟ لقد

تزوجت قبلها أكثر من ست زيجات ، ولم تكن الواحدة تعيش معى أكثر من عامين أو ثلاثة ، أما أليس فقد أوشكت أن تتم العام العاشر من حياتها معى ! فلماذا ؟

وراح جون يستعرض الاسباب ، فرأى أنه قد بلغ تلك السن التى يحب الرجل فيها الاستقرار فى حياته ، وأنه أيقن أن أليس مخلصة فى حبها له ، ولا تعيش الا لارضائه ، وهذه وحدها ميزة قلما يجدها فى امرأة أخرى

والتفت الى أليس الواقفة بالباب ، وابتسم لها ملوحا بيده ،ثم ادار المحرك ، واستعد للرحيل

وفيما كانت السيارة تنطلق على الطريق المسفلت الناعم ، رفع جون عينيه الى السماء ، ولم يلبث أن أدرك أن فان برانت كان صادقا فى حديثه من أن السماء ستمطر مرة أخرى

وانحنى العجوز عليه وقال باسما فى خبث :

ــ أتعرف من أين تهب تلك الرياح العالية التى تجمع السحب بعضها الى بعض ؟ انها تهب من الجنوب الغربى ، وهذا يعنى أن أمطارنا تأتى من الجنوب الغربى .

فقال جون ببرود :« ليكن .. »

ــ الا تعتقد أننا سنتعرض للخطر اذا انهمرت الامطار ؟

ــ إن الخطر موجود فى كل مكان ، وقد يموت خبير المفرقعات فى فراشه ، بينما تتحطم عظام العجوز الحذر تحت جرار زراعى

ــ كيف يمكن هذا ؟

ــ كل شيء محتمل !

ــ اننى لا أمتلك فى مزرعتى جرارات زراعية على كل حال ،وانما استخدم فى حرث الارض اربعة أزواج من أقوى الجياد

وكاد جون يقول له :

« اننى أعرف رجلا مات برفسة من جواده »

ولكنه آثر الصمت

الفصل الثامن

في الطريق

جلس جون فى مقعد القيادة يرقب الطريق الممتد أمامه حينا ، ثم ينثنى ويرقب الركاب حينا آخر بواسطة المرآة المستطيلة الموضوعة أمامه . وكان الطريق مهجورا ، والبرارى تمتد على جانبيه الى سفوح التلال البعيدة ، ولم يكن يمر به غير عدد قليل من السيارات ، وقد شعر جون بالقلق حين رأى أن جميع السيارات التى مرت بجواره آتية من ورائه ، ولم ير واحدة تأتى من ناحية مدينة سان جوان دى لاكروز ، فهل معنى هذا أن المعبر قد انهار ؟

حسنا ، لو أن هذا ما حدث ، لما بقى أمامه الا أن يعود بالركاب جميعا الى مدينة سان سيدرو حيث يتركهم وشأنهم فى استراحة شركة الجريهاوند ، وفى صفحة المرآة ، رأى إرنست هورتون قد فتح حقيبة العينات ، وراح يفرج بمبلز على بعض الدمى العجيبة التى تدور وتلف وتطير ثم تختفى ! ولاحظ فى الوقت نفسه أن نورما والفتاة الشقراء المدعوة كاميليا مستغرقتان فى الحديث ، وقد مالت كل منهما برأسها نحو الاخرى

وزاد من سرعة السيارة قليلا

لقد خطر له انه لن يستطيع أن يفعل شيئا مع هذه الشقراء الفاتنة ، اذ لم يكن ثمة وسيلة أمامه للوصول اليها . وقد بلغ جون هذه السن التى جعلته يعرف كيف يفرق بين الممكن والمستحيل . ولكنه فى الوقت نفسه كان يعرف أن فى مقدوره أن يجعل هذا المستحيل ممكنا اذا واتت الفرص المناسبة

وكانت نورما باردة متحفظة فى موقفها من كاميليا فى أول الامر ، ولكن كاميليا كانت فى حاجة اليها لتتخذ منها درعا يحميها من

السخف اثناء الرحلة ، كما انها ادركت أن ظروفهما متماثلة ، وان مصيرهما في الحياة واحد

وقالت نورما بصوت خافت حتى لا يسمعها ارنست هورتون :

ـ انني لم اذهب ابدا الى لوس انجلوس او هوليوود . ولست ادري اين أقيم او ماذا افعل حين أصل الى احداهما

ـ اليست لديك فكرة معينة تنوين أن تنفذيها ؟

ـ ان كل ما أفكر فيه الان هو البحث عن عمل ، فى مطعم ، أو فى شيء من هذا القبيل ، ولكننى لن أفقد الامل فى الظهور على شاشة السينما يوما

ورفت ابتسامة خفيفة على شفتى كاميليا وهى تقول :

ـ عليك أولا أن تنجحي فى الحصول على عمل بمطعم ، اما التمثيل السينمائى فانه يحتاج الى وقت طويل وجهد بالغ

ـ وهل انت ممثلة ؟ انك تبدين كما لو كنت ممثلة فعلا

ـ لا ، انني أعمل ممرضة بعيادات طب الاسنان

ـ وهل تقيمين فى فندق أم فى غرفة مفروشة أم فى مسكن خاص ؟

فقالت كاميليا وهى تهز كتفيها :

ـ ليس لدى مكان للاقامة فى الوقت الحالى . وقد كان لى مسكن مشترك مع صديقة قبل أن اذهب الى شيكاغو للعمل

فبدت اللهفة فى عينى نورما ، وهى تقول بسرعة :

ـ انني أدخر بعض المال ، وربما استطيع أن اشترك معك فى استئجار مسكن خاص بنا . واذا ظفرت بعمل فى مطعم ، فاننا لن نتكلف اكثر من ايجار المسكن ، لانى سأعود من العمل ومعى الكثير من الطعام المتبقى

والتمعت نظرة جائعة فى عينى نورما ، وهى تردف قائلة :

ـ ولا تنسى البقشيش أيضا

واحست كاميليا بالميل والمودة الى هذه الفتاة الوادعة ، ثم نظرت الى وجهها الخالى من فنون الزينة ، وقالت :

ـ سوف نرى كيف تسير الامور

وازدادت نورما ميلا نحو كاميليا وقالت :

ـ انا أعرف أن لون شعرك الذهبى طبيعى ، ولكننى اتمنى أن

تعلميني كيف يمكن تصفيف شعري هذا الشبيه بذيل الفرس ؟!
فضحكت كاميليا وقالت :
ــ لاشك انك ستدهشين اذا علمت ماذا كان لون شعري فى أول الامر . ولكن ، انتظري برهة
ثم راحت تتأمل وجه الفتاة الوادعة ، وتضع فى ذهنها الخطوط الاولية التى يمكنها أن تجمل الفتاة بفنون الزينة وتجعل منها شخصية أخرى
وفجأة قالت لها وكأنما خطر ببالها شيء ما :
ــ أتعرفين يا نورما أنني أهفو الى الحياة فى الريف بين الحين والآخر ؟ إنني أعتقد أن البساطة فى الحياة هي اجمل مافى الحياة

▱

وتترك الفتاتين تتناقشان فى هذا الموضوع ، ونمضي الى ميلدرد الجالسة بمفردها ، فنراها تختلس النظر حينا الى وجه جون ، وحينا الى وجهها فى المرآة ، ثم تكر بالذاكرة الى تلك العاطفة المشبوبة التى ثارت فجأة فى أعماق نفسها وجعلتها تتلوى اشتهاء لجون ولهفة عليه
واستبد بها الغضب فجأة ، وخامرها احساس بالعار رغم ايمانها بأن أحدا ما لم يفطن الى تلك العاطفة ، الا اذا كان جون شيكو هو الذى استنتجها بفكره الثاقب
ولكن عبارة ماراحت تتردد فى صدرها ، بل راحت هي ترددها لنفسها ، « انها ليست شقراء ، وليست ممرضة ، وليس اسمها كاميليا أوكس كما تزعم » ثم اذا بها تضحك لنفسها وتعود فتقول مفكرة :
« انى أحاول أن إحطمها ، وهذه بلا شك حماقة ، فهل انا غيرى ؟ لماذا لا اعترف بأنني غيرى ! واذا اعترفت فهل سيفيدني الاعتراف بشيء ، لا ، انني لم استفد شيئا . ولكن هذه اللعينة جعلت من ابى اداة للسخرية ، وانا لن أغفر لها هذا . ولكن ما شأني أنا وعواطف ابى الخاصة ؟ هل سأجعل من نفسي رقيبة عليه ؟ انني أريد فقط فى مثل هذه الاحوال ألا يقول الناس عني انني ابنته . ولكن هذه ليست الحقيقة كلها ، وانما الحقيقة هى

أني اريد الذهاب الى المكسيك بمفردى »

ونعود الى المستر بريكارد فنجده جالســـا فى شيء من الضـــجر والشعور بالتعب . والمعروف عنه أنه يكون سريع الغضب عنـــدما يستبد به الشعور بالضجر أو التعب . وكان فى تلك اللحظة يحاول أن يتغلب على شعوره هذا بقوله لزوجته :

ـ يبدو أن هذه منطقة زراعية خصبة . والمعروف أن كاليفورنيا تنتج معظم الخضروات التى تستهلكها الولايات المتحدة الامريكية

اما المسز بريكارد فقد كانت تتصور نفسها فى تلك اللحظة وهى جالســة فى غرفة الاستقبال بمنزلها تتحدث الى الضيوف قائلة :

« ... وظلت السيارة تنساب بنا أميالا بعد أميال بين المروج الخضراء التى تتخللها الزهور الناضرة ، وكأنها بستان جميـــل ، وكانت معنا فتاة شقراء جعلت الرجال يرتكبون مختلف الحماقات أمامها ، حتى عزيزى اليوت . وســـوف أحاسبه على موقفه هذا بعد أسبوع . أما الفتاة نفسها ، فكانت مسكينة يبـــدو عليها أنها من بنـــات الليل ، وانهـــا تقيم بمفردها فى الحيـــاة ، ولهذا كان شعورى نحوها اقرب الى العطف منه الى اى شيء آخـــر . وقد زعمت انها ممرضـــة ، ولكننى أعتقـــد أنها ممثلة ، ممثـــلة أدوار صغيرة كما هو معروف ، فان فى هوليوود آلافا مثلهـــا ، أظن أن عددهن قد بلغ الان ثمانية وثلاثين الفا ، وأسماؤهن كلهـــا مسجلة فى دفاتر المتعهدين ، وكل منهن تعيش على أمل أن تســـمع اجراس مجدها ترن فى السماء يوما »

وتميل راس برنيس على صدرها قليلا وقد شـــعرت بشيء من الجوع والتعب ، ثم اذا بها تقول لنفسها فجأة :

« ترى ماذا يخبيء لنا القدر من مفاجآت ؟ »

وعندما كانت المسز بريكارد تستغرق فى أحـــلام اليقظة ، كان زوجها يعرف هذه الحقيقة فورا ، ويدرك أنها لا تسمع كلمة واحدة مما يقول ، ومع ذلك كان ينتهز هذه الفرصة ليتحدث بصـــوت مسموع معبرا عمـــا يدور بذهنه من أفكار وآراء مختلفة ، وكان يعتبر هذا تدريبا رائعا للحديث فى المجالات والاوســـاط المختلفة دون أن يتلعثم أو يضطرب . الا انه فى ذات الوقت كان يشعر انه

واقع تحت تأثير قوى ضـــخم يأتى اليه من المقعـــد الخلفى الذى تجلس عليه هذه الشقراء الفاتنة . ولشد ما كان يتمنى لو أنه كان جالسا مكان هذا الفتى بمبلز ، ومن ثم يستطيع أن يختلس النظر اليها وهو يتحدث مع ارنست هورتون

وفجأة افاق من افكاره حين سمع زوجته تسأله قائلة :

ـ كم عمرها فى رأيك ؟

وجفل قليلا حين سمع هذا السؤال الذى كان يدور فى ذهنه فى الوقت نفسه الا انه تمالك أعصابه وقال :

ـ عمر من ؟

ـ هذه الفتاة ، أعنى الفتاة الجميلة الشقراء

فقال فى شىء من الخشونةجعلت زوجته تلتفتاليه فى دهشة :

ـ ومن أين لى أن أعرف ؟

ولكنه أدرك أنه ليس هناك مايبرر خشونته ، فأسرع وأردف قائلا بصوت هادىء :

ـ ان الفتيات الصغيرات مثلك أدرى بالفتيات الصـغيرات مثلها ! ولهذا يمكنك أن تقدرى عمرها تقديرا أدق من تقديرى

ـ أوه ، اننى لا أستطيع ، لانها تضع على وجهها طبقـــة كثيفة من مساحيق التجميل ، وكل ما أستطيع ان أقوله هو انها فيما بين الخامسة والعشرين والثلاثين

فقال المستر بريكارد وهو ينظـــر من النـــافذة الى التلال التى كانت السيـارة تقترب منها :

ـ اننى لا أعرف ، ولا يهمنى كثيرا أن أعرف ، وانما الذى يهمنى حقا فى هذه الرحلة هو ذلك الشـاب أرنست هورتون ، انه شـاب موهوب ملىء بالافكار الجديدة وبارع فى ابتـــكار مختلف الاساليب العصرية لترويج منتجات الشركات . والواقع أنه أثار اهتمامى حقا ، وأفكر الان فى أن أجد له عملا بالشركة التى أرأس مجلس ادارتها

فقالت المسز بريكارد موافقة :

ـ انه شـاب لطيف فعلا ، كما يلوح من سلامة لغته . انه كـريم المحتد و ...

فقال بريكارد في تململ وضيق :

ـ أوه ، ماذا هناك يابرنيس ؟ ما شأن سلامة اللغة وكرم المحتد في أعمالنا ؟ ان الرجل يكرم لقدرته على الانتاج . وهذه هي الديمقراطية الحقة . الديمقراطية تقول للرجل « أهم شيء في حياتك هو قدرتك على الانتاج »

وكان بريكارد في تلك اللحظة يحاول أن يتذكر شكل شفتي الفاتنة الشقراء ، وكان يقول لنفسه : « لو أن شفتيها ممتلئتان تماما ، فهذا دليل على أنها امرأة ناضجة تعرف كيف تسعد رجلا مثله »

ثم قال لزوجته بصوت مسموع :

ـ أريد أن اتبادل الحديث قليلا مع المستر هورتون قبل أن نفترق قبل نهاية الخط

ـ ولماذا لا تتحدث معه الآن ؟

ـ انه جالس بجانب ذلك الشاب الصغير

ـ ان هذا الشاب لا يضير ، ولاشك أن الشاب سوف يتنازل لك عن مقعده اذا طلبت هذا منه بلطف

وكانت برنيس واثقة بأن للكلمة الطيبة ، والعبارة الرقيقة المتلئة بالمجاملة ، فعل السحر في النفوس . وقد اثبتت لها التجارب أن هذه هي الحقيقة

أما الشاب بمبلز ، موضع المناقشة ، فكان جالسا يختلس النظر الى كاميليا ، ثم يعيش في احلام يقظته النابعة من همسات المراهقة ، ويتصور نفسه راقدا على متكأ من الحرير الناعم ، وكاميليا شبه عارية بين ذراعيه ، يقبلها ، ويتخلل شعرها بأصابعه ، ويهمس في أذنها بخفقات قلبه

وكانت كاميليا في تلك اللحظة تقول لنورما :

ـ وكم أتمنى لو أنه كانت للقصر حديقة واسعة مترامية الاطراف ، تتناثر فيها الاشجار الظليلة ، وتكثر في جنباتها أشجار الفاكهة ، ويقع في جانب منها حمام سباحة تحيط به المقاعد تحت المظلات و ...

وقالت نورما وهي تحس بغصة في حلقها :

ـ أخشى يا كاميليا ألا يتحقق لنا مثل هذا الحلم الا فى العـــالم الآخر

وكان بمبلز يقول لارنست هورتون وقد افاق من احلام يقظته :

ــ يقولون ان فى مقدورى عندما أجند ، أن أتعلم مهنة ما ، وانا أتلقى الآن برنامجا بالمراسلة في هندسة الرادآر • واعتقـــد أننى أستطيع استكماله أثناء الخدمة العسكرية !

ــ اننى لا ادرى ، فالمعروف أن ادارة الجيش تهتم بمثل هــذه الشئون خلال الحرب ، أما فى أوقات السلم •• !

ــ هل خضت غمار معارك حامية يا مستر هورتون ؟

ــ خضتها رغمـــا عنى ،وكنت فى كل معركة أتمنى لو أن الهدنة اعلنت قبل ان أخوضها

ــ فى أية منطقة كنت ؟

ــ كانت مناطق الحرب كلها متساوية فى البشاعة

ــ لعلى أستطيع بعد انتهاء مدة خدمتى ، أن أعمل مندوبا مثلك لاحدى شركات الانتاج

فهز ارنست هورتون كتفيه ، وقال :

ــ انك عندئذ قد تموت جوعا قبـــل أن يثبت مركـــزك وتبلغ جزءا من النجاح الذى تتمناه . لقد استغرقت أنا خمس سنوات لتوطيد مركزى ، وأقامة العلاقات القوية بينى وبين المســـتهلكين ، ثم قامت الحرب وانقطعت هذه العلاقات ، وضاعت كل مجهوداتى التى بذلتهـــا فى تلك السنوات الخمس ، وهأنذا أبدأ من جديد . وليتنى تعلمت مهنة أستطيع أن أعيش من دخلها فى حياة مستقرة مع زوجة وأبناء فى بيت لطيف

وكان ارنست يقول هـــذا كثيرا ، لاسـيما عنـدما يسرف فى الشراب ، ولـكن الحقيقة هى أنه كان يهوى الترحال والتنقل ولا يطيق البقاء مدة طويلة فى مكان واحد . وقد حــدث أن تزوج ، ولكنه خرج من المسكن فى اليوم التالى بعد الزواج ، ولم يعد ، حتى رأى صورة زوجته منشورة فى الصحف عندما قبض عليها بتهمـــة الزواج من خمســة رجال فى وقت واحد !

ثم سأل بمبلز قائلا :

ــ لماذا لا تعود الى المدرسة ؟ فانك لازلت فى سن التلمذة

فقال بمبلز :

ــ اننى لا أريد أن أحشو رأسى بالعلوم النظرية ، وانى أعتقد ان طلبة الجامعات النظرية مجرد مجموعة من ذوى الرءوس الجوفاء . اننى أريد أن أتعلم فى مدرسة الحياة

والتصقت كاميليا بجانب نورما وراحت تتحدث اليها همسا ، ثم اذا بالاثنتين تنفجران بالضحك بين الحين والاخر . وكانت السيارة فى تلك الآونة قد انعطفت فى منحنى الطريق ومضت نحو المنطقة الجبلية المؤدية الى المعبر . وكان جون يعرف بحكم عمله أن السيارة سوف تقطع خمسة عشر ميلا من المنحنيات الجبلية الوعرة قبل أن تصل الى الطريق المؤدى الى المعبر . ومن ثم راح يركز انتباهه فى القيادة ، ولكنه مع هذا لم يكن بمستطيع أن يمنع نفسه من اختلاس النظر الى الشقراء الفاتنة التى كانت لا تكف عن الضحك مع نورما وكأنهما تلميذتان فى رحلة ممتعة

ونهض المستر بريكارد ليستأذن من بمبلز فى الجلوس مكانه ، ولكن السيارة انحرفت بقوة فى تلك اللحظة فلم يستطع المستر بريكارد أن يسترد توازنه فاذا به يترنح ويتراجع خطوتين ويحاول أن يستند على ظهر مقعده ، ولكنه لم يتمكن ، واذا هو يقع جالسا فى حجر كاميليا

ونهض مسرعا مضطربا وقد سمع صوت تمزق ثوبها ، ثم التفت نحوها بوجه كله الاضطراب وهو يقول :

ــ اننى آسف جدا

ــ أوه ، لا عليك ، انك لم تكن تتعمد هذا طبعا

ــ ولكننى مزقت ثوبك

ــ أستطيع أن أصلحه ، ان الامر ليس خطيرا

ــ ولكننى مصر على أن أدفع ثمن اصلاحه

ــ لا لا ، لا داعى لهذا اطلاقا

وقالت لنفسها :

« انه يريد أن يعرف عنوان مسكنى لكى يرسل ثمن اصلاح الثوب ، هكذا هم جميعا ، لا يتركون فرصة دون أن ينتهزوها

لتحقيق أغراضهم »
وهنا قالت المسز بريكارد لزوجها بصوت مرتفع :
ــ اليوت ، ماذا دهاك ؟ أكنت تريد أن تجلس فى حجر هذه السيدة ؟
وانفجر الجميع بالضحك ، حتى جون . وعندئذ لم يعد ركاب السيارة غرباء وانما أصبحوا ، فى لحظة واحدة ، كأنهم اسرة مترابطة الوشائج . لقد أزال الضحك المشترك ذلك الجو المتوتر الذى كان يرين عليهم منذ الصباح
وقال بريكارد :
ــ انك انسانة لطيفة يا مس كاميليا ، والواقع اننى لم آت لاجلس على حجرك ، وانما لاتبادل الحديث برهة مع هذا السيد
وأشار الى ارنست هورتون ، ثم أردف قائلا لبميلز :
ــ أتسمح يا ولدى بأن أجلس مكانك لحظة ، فاننى أريد أن أتحدث مع المستر هورتون فى موضوع مهم ؟
وأومأ الفتى برأسه ، وترك مكانه للمستر بريكارد ، هذا بينما كان العجوز فان برانت ذو العنق المتصلبة يقول لجون وهو يتأمل تكاثف السحب فى السماء :
ــ انها ستمطر حتما
فقال جون فورا :
ــ اعرف رجلا مات برفسة قوية من احد جياده
ــ هذا غير معقول ! اننى لم ار فى حياتى جوادا يرفس صاحبه، لابد أن الرجل قد أخطأ فى شىء ما
ــ لقد قتلته على كل حال
قالها جون ثم قرر أن يلزم الصمت
وكانت السيارة فى تلك اللحظة تقترب من سفح هضبة ، وكانت المنعطفات قد غدت أشد انثناء ووعورة
وقال المستر بريكارد لارنست هورتون :
ــ لقد اهتممت كثيرا بحديثك معى فى هذا الصباح يا مستر هورتون ، وانها لمتعة أن يتحدث الانسان مع رجل ذكى كثير التجارب مثلك . اننى دائما ابحث عن رجال من أمثالك ليعملوا فى شركتنا

ـ شكرا جزيلا

ـ ولكننا الان نعانى بعض الشيء بسبب المسرحين من الجيش، ان واجبنا الوطني يحتم علينـا أن نجعـل لهم أولوية التعيين فى المناصبالخالية ، ولكنهم ـ بينى وبينك ـ أصبحوا غير صالحين للقيام بأي عمل ، لانه لاشك فى أن الواحد منهم قد علاه الصـدأ خلال اربع سنوات الحرب

ونظر المستر بريكارد الى وجه أرنست هورتون وهو يتوقع ان يرى عليه أمارات الرضا ، فاذ به يفاجأ بمعالم الغضب والسـخط ترتسم عليه بوضوح ، وهو يقول :

ـ اننى أفهم ما تعنى يا مستر بريكارد ، لاننى شخصيا قد أمضيت من عمرى أربع سنوات فى الحرب

فقال بريكارد مضطربا :

ـ آه ، نعم ، نعم ، ولكنك لا تضع فى سترتك شارة الانتهاءمن الخدمة العسكرية !

ـ لاننى وجدت عملا أقوم به

وادرك بريكارد انه ارتكب خطأ جسيما ، واختلس النظـر مرة أخرى الى الشـارة الموضوعة فى سترة هورتون ، ثم تذكر فجأة أنها ليست شارة احد النوادى كما كان يظن ، وانما هى شارة وسـام التقدير الذى لا يمنح الا لمن قام بأعمال بطولية اثناء الحرب

وقرر أن يصلح خطاه بسرعة فقال معتذرا :

ـ ولكن هذا الرأى لا يمنع من القول بأن المسرحين من الخدمة العسكرية فتيان أشـداء بواسل عرفوا كيف يؤدون واجبهم فى الدفاع عن بلادهم ، ومن ثم وجب علينا أن نرد لهم الجميل

فقال أرنست بصوت مفعم بالغضب :

ـ نعم ، كما فعلتم فى الحرب العالمية الاولى عندما تركتم المحاربين القدماء يكادون يتضورون جوعا

وتمنى بريكارد فى تلك اللحظة أن يقطع الحديث ويعود الىمكانه، ولكنه رأى أن يبذل محاولة أخيرة ليمحو الاثر السـيىء الذى تركه فى نفس هذا الشـاب فقال :

ـ اننى شخصيا كنت رئيس لجنة المدافعين عن صفوفهم،وأيا

كان الامر فانى سعيد بالتعرف عليك ، وارجو بعـــد العودة من الاجازة ، أن تتفضل بزيارتى فى هذا العنوان ، لانه يسرنى جدا أن أعهد اليك بالمنصب الذى يتفق مع مواهبك

فلانت ملامح أرنست بعض الشيء ، وقال :

ـ الواقع ياسيدى انى ضقت ذرعا بالتجول فى كل مكان ، وكثيرا ما فكرت فى الحياة المستقرة مع زوجة وابناء ، فهذه هى الحيـاة السعيدة ياسيدى ، وما أهنأ الرجل منا حين يعود آخر النهـار ليجد ابناءه وزوجته فى انتظاره ! انه فى هـــذه الحالة ينسى كل ما يضطرب فى العالم خارج باب بيته . نعم ، ان الحياة فى الفنادق ليست حياة

ـ صدقت ياعزيزى هورتون ، انك تقول هذا لرجـــل يعرف صدق كلماتك ، فأنا زوج ووالد منذ واحـــد وعشرين عاما ، ولو أتيحت لى حرية الاختيار لابدأ من جديد مرة أخرى لمـــا اخترت حياة غير هذه

ـ انك رجل سعيد الحظ ،وان زوجتك كما يبدو سيدة وسيمة طيبه القلب

فقال بريكارد وهو يومىء برأسه :

ـ جدا ، ولست ادرى ماذا كان فى وسعى ان افعل بدونها !

ـ لقد تزوجت ذات مرة ، ولكن زوجتى ماتت

وحرص أرنست هورتون على أن ينطق الكلمات الاخيرة بلهجة تنم عن الحزن مما جعل المستر بريكارد يقول له :

ـ اننى آسف ياعزيزى ، وأرجو أن تخفف الايام احزانك . والان اننى لا أريد أن اتدخل فى شئونك الخاصة ، ولكن حديثك عن امكان تحويل بذلة عادية الى بذلة سهرة ، قد اثار اهتمامى ، واحب أن أتحدث معك بشأن هذا المشروع

ـ وأنا أرحب بالحديث معك ، ولكننى اكرر القول بان منتجى بذلات السهرة ، بل اصحاب مصانع الاقمشـــة ، سوف يحاربون فكرتى حربا لا هوادة فيها

ـ ولكن هل سجلت مشروعك هذا ؟

ـ نعم ، سجلته على طريقتى الخاصـــة ، اذ أوضحت الفـكرة

بالرسومات ، ثم وضعتها فى مظروف ختمته بالجمع الاحمر وأرسلته بالبريد المسجل الى نفسي ، وبذلك ضمنت تسجيل التاريخ عليه

ــ وهل هذه طريقة قانونية للتسجيل ؟

ــ لا ادرى ، سوف أسأل بشأنها أحد المحامين

ففكر بريكارد برهة ثم قال :

ــ ما رايك لو اشتركنا معا ، انت وأنا ، فى تنفيذ هذا المشروع ، وانشأنا شركة توصية ، وأعلنا أننا سننتج هذا النوع من البذلات على نطاق واسع

فقال أرنست وقد بدأ يزداد اهتماما :

ــ ولكن بعض شركات بيع الاقمشة الكبيرة قد تبادر وتحاول شراء المشروع منا لتقتله ..

ــ المشروع أم الشركة ؟

ــ الشركة وحق الامتياز

فابتسم بريكارد وقال :

ــ نبيعها ما تريد بالثمن الذى نفرضه ، ونكون فى هذه الحالة قد ربحنا مبلغا ضخما لا يخضع لضريبة أرباح المهن التجارية ، وانما لضريبة المهن الحرة .. أنتظر .. ويمكننا بعد ذلك أن ننشىء شركة أخرى فى مدينة أخرى وهكذا

وصاح أرنست قائلا فى اعجاب شديد :

ــ ونكرر الموضوع ، يا لك من رجل ذكى يا مستر بريكارد . ان هذا نوع من ابتزاز الاموال ولكن على مستوى عال ...

فقطب بريكارد جبينه وقال محتجا :

ــ هذا نوع من التجارة الحرة يا مستر هورتون . اننى أعمل فى الاسواق المالية منذ خمسة وثلاثين عاما ، ولا يستطيع أحد أن يجد فى سجل أعمالى نقطة سوداء واحدة

ــ اننى لا انتقدك يا مستر بريكارد ، وانما أعتقد أنك من ابرع رجال المال . ولكن مشروعنا هذا يحتاج الى رأس مال ، وانا لا أملك المال اللازم لموضوع كبير الاهمية الان ولكننى أستطيع أن أقترضه من احد المصارف ...

ــ ولماذا تريد المال وأنا أستطيع أن أقدم اليك ما تريد ؟

ـ اننى أريد مالا لتسجيل الفكرة والحصول على حق الامتياز بأسرع وقت . وربما استعنت بمكتب التسجيل بواشنطن

فقطب بريكارد جبينه وقال :

ـ لماذا كل هذه العجلة ، أتعتقد أننى ربما ...

ـ لا لا أبدا ، ولكننى لن اطمئن حتى اضمن تسجيل الفكرة باسمى

فتراخى بريكارد فى مقعده وقال :

ـ افعل ما يحلو لك يا ولدى ، وكل ما أستطيع أن أقوله لك هو أننى مستعد لمعاونتك فى أى مشروع مثمر قد يخطر ببالك

فتلفت أرنست حوله برهة ثم قال هامسا :

ـ الواقع اننى لا اشك فى أمرك يا سيدى ، ولكن لى صديقتين من بنات الهوى فى لوس انجلوس ، وأخشى اذا ذهبت الى مسكنهما أن أفشى سر الفكرة وأنا واقع تحت تأثير الخمر . هذه هى حقيقة الموضوع

وتلفت بريكارد حوله أيضا قبل أن يجيب هامسا :

ـ وأنا سأمضى يومين فى هوليوود ، وأرجو أن نلتقى لكى نتحدث فى المشروع على نطاق أوسع

ـ أتحب ان نلتقى فى مسكن هاتين الصديقتين ؟

ـ لماذا لا ؟ ان الرجل منا يحب أن يرفه عن نفسه بين الحين والاخر . اننى سأنزل فى فندق بيفرلى ولشاير ، فهل ستأتى لزيارتى فيه

فقال أرنست :

ـ بكل تأكيد . ولكن اى النساء أحب اليك : السمراء الخمرية أم الشقراء الذهبية ؟

ـ أوه ، لا تخطىء الظن بى يا مستر هورتون ، اننى احب فقط أن اجالس مع هذا النوع من النساء لقضاء سهرة ممتعة ، لا اكثر

فابتسم هورتون وقال :

ـ ولكن السهرة لا تكون ممتعة فى رأيى ما لم تكن حمراء . وان فى استطاعتى اذا شئت أن اجعلك تقضى ليلة رائعة مع هذه الفاتنة الشقراء الجالسة فى المقعد المجاور !

ـ اسكت أيها الخبيث !

واحس بميلز بالرغبة الشديدة لان يهرش « حبة شباب » كانت تتكون في تلك اللحظة بجانب أنفه ، ولكنه كبح جماح رغبته ، ووضع يديه فى جيبى بنطلونه ، ثم رأى أن يتسلى بالحديث ، فلم يجد غير ميلدرد اقرب الركاب اليه ومن ثم قال لها :

ـ كم أتمنى لو أتيحت لى فرصة السفر الى المكسيك !

فنظرت اليه باندهاش ولم تجب ، فعاد يقول فى شيء من الارتباك:

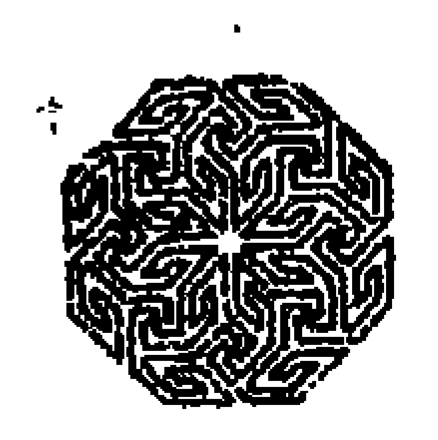
ـ وأتمنى أيضا لو اتيحت لى فرصة السفر الى الصين لاشتغل مبشرا وطبيبا بين الاهالى البؤساء كما فعل سبنسر تراسى فى فيلمه الاخير

وراح بميلز يقص عليها تفاصيل موضوع الفيلم ، بينما كانت هي تحاول جاهدة أن تشيح بنظراتها عن وجهه الممتلىء بالبثور الدامية

ولما فرغ من حديثه ، قالت بهدوء :

ـ لقد شاهدت هذا الفيلم

وفى تلك اللحظة ، كانت السيارة قد بلغت الهضبة التى تفصل تلك المنطقة عن نهر سان سيدرو ، وبدأت فى طريق الهبوط الى النهر الذى كانت مياهه تتالق من بعيد فى مجراه الملتوى كالافعى الضخمة



الفصل التاسع

أمام المعبر

فى الوقت الذى سقطت فيه اليس شسيكو فاقدة الوعى فوق كومة من الفواكه والفطائر أمام مائدة الخدمة بقاعة الطعام ، وصلت السيارة بقيادة زوجها الى الاستراحة التى يمتلكها المستر بريد وزوجته بالقرب من المعبر الاول فى الطريق من ريبلس كورنر الى مدينة سان جوان دى لاكروز

وكانت السماء عندئذ قد تلبدت بكتل من السحب السوداء المنذرة بوابل من المطر الغزير ، وكانت مياه النهر قد ارتفعت الى قاعدة المعبر المصنوع من كتل الخشب والحديد على الطراز القديم ، وكان المستر بريد ، صاحب الاستراحة ، قد ذهب أكثر من عشر مرات الى المعبر ليطمئن عليه ، وكان فى كل مرة يعود وهو مكتئب السمات . وفى المرة الاخيرة رأى على صفحة الماء عجلا غارقا من العجول الممتازة فى مزرعة صديقه جيمس وولتر ، ومن ثم أدرك أن مياه النهر فاضت على تلك المزرعة واكتسحت عدداً من عجولها وابقارها الممتازة

ورغم البلاغات التليفونية التى قدمها الى مركز الطرق والكبارى فى المنطقة ، فان أحدا فى المركز لم يحاول أن يسرع اليه لتدعيم المعبر وكان المستر بريد وزوجته يعرفان أن اعمالهما التجارية متعلقة بهذا المعبر ، فاذا انهار ، انهارت معه ، أو ينبغى عليهما الانتظار حتى يقام فى مكانه معبر جديد من الصلب

وتوقفت السيارة أمام انابيب البنزين فى الاستراحة ، وترك جون محركها دائرا برهة قبل ان يوقفه ، ثم فتح الباب الجانبى وهبط منه فى نفس اللحظة التى وصل فيها المستر بريد الى جانب السيارة

وتصافح الرجلان بحرارة ، وقال المستر بريد :

ـ الا ترى أنك جئت متأخرا بعض الشيء ؟

ـ لا أظن ، الا اذا كانت ساعتي متأخرة

وهبط بمبلز مسرعا ووقف بجانب الرجلين . وكان في الواقع يريد أن يرى كاميليا وهي تهبط عسى أن يلمح شيئا من ساقيها فيما فوق الركبتين

وقال جون لبريد :

ـ كيف حال المعبر ؟

ـ لا يسر ، ويمكنك أن تلقي عليه نظرة بنفسك

ـ هلم نمضي اليه معا

وهبط بريكارد وارنست هورتون من السيارة ، ومن ورائهما هبطت نورما ثم كاميليا ، وكانت هذه خبيرة في الهبوط من السيارات فلم يستطع بمبلز أن يرى شيئا

ولكنه قال لهـا :

ـ توجد بعض انواع المياه الغازية هنا في هذه الاستراحة ، فهل أشتري لك شيئا منها ؟

فاستدارت كاميليا الى نورما وقالت لها :

ـ ما رأيك يا عزيزتي ؟

ـ لا بأس

وارتسمت أمارات الاستياء وخيبة الامل على وجه بمبلز ، لانه كان يأمل أن تقبل كاميليا دعوته بمفردها ، ولكن الفتاة المجربة افسدت مناورته . وهتف جون قائلا للركاب انه ذاهب لالقاء نظرة على المعبر ، وسألت المسز بريكارد عن دورة المياه ، فقالت لها نورما انها في الجانب الخلفي من الاستراحة

وعند المعبر وقف الرجلان يتأملان حالته السيئة وهو يهتز بعنف تحت ضغط المياه الصاخبة الفائرة ، واخيرا قال جون :

ـ ما معدل ارتفاع المياه في النهر ؟

ـ نحو ربع متر في كل ساعة ، ومن المتوقع أن تبدأ في الهبوط اذا لم تمطر السماء مرة أخرى ، ولكنها اذا أمطرت ، فسوف يفيض هذا النهر المتقلب ويغرق مساحات شاسعة في هذه المنطقة

وعاد جون يقول وهو يتأمل المعبر :

ــ أعتقد أنه من الممكن عبوره بالسيارة ، أو الاتفاق مع الركاب على أن يعبروه سيرا على الاقدام ثم الحق بهم بالسيارة خالية • ولكن المهم ، كيف حال المعبر الثاني ؟

فهز بريد كتفيه وقال :

ــ أنني لا أدري ، لقد حاولت الاتصال تليفونيا بمركز الطرق والكباري فلم استطع أن أجد أحدا يرد علي • وأنا لا أنصح لك بالمرور على هذا المعبر اذا ضمنت أن المعبر الثاني سليم ، والا كيف يكون الحال اذا مررت على هذا بسلام ، ثم وجدت الثاني منهارا ، وعندما تأتي عائدا تجد هذا أيضا قد انهار • انك عندئذ ستجد نفسك والركاب والسيارة محصورين بين فرعي النهر في أخطر منطقة معرضة للغرق السريع

وهز جون رأسه ، وقال :

ــ ان بعض الركاب سيتذمرون جدا اذا انا لم أواصل الرحلة ، لاسيما ذلك الرجل البغيض فان برائنت

ــ أتعنى ذلك العجوز العابس ؟ انه مدين لي بسبعة وثلاثين دولارا ثمن بذور بعض النباتات • لقد أبى أن يدفع الثمن محتجا بأن البذور قديمة وغير صالحة • ولكنه مدين لجميع أصحاب المتاجر في هذه المنطقة • انه رجل خبيث حقا • اذن فهو بين ركابك

ــ نعم ، وبينهم أيضا رجل أعمال كبير من مدينة شيكاغو ، ولا شك انه سيغضب أشد الغضب اذا لم تسر الامور على هواه

ــ حسنا ، عليك أن تختار الموقف الذي يرضيك

فقال جون وهو يعيد النظر الى صفحة السماء المكسوة بكتل الغمام :

ــ اعتقد انه من الممكن المرور فوق المعبر الآن ، ولكن السماء تنذر بالمطر ، واذا أمطرت فسوف ينهار هذا المعبر حتما

وفجأة ابتسم جون وأردف قائلا :

ــ ولكن هناك طريقة واحدة للخروج من هذا المأزق

ــ ما هي ؟

ــ أن ادعهم هم يقررون اتخاذ الخطوة المناسبة • فهذه هي

الديمقراطية

ـ لسوف يتقاتلون قبل أن يصلوا الى قرار

ـ ليتهم يفعلون لاتخلص منهم جميعا

وفي داخل الاستراحة ، كان بمبلز يجلس متجهما وقد شعر أنه خدع في عملية شراء المياه الغازية لفتاتين ، بينما كان يريد أن ينفرد بواحدة منهما فقط ، وعبثا حاول أو يفرق بينهما ، لان كاميليا كانت قد اتخذت من نورما درعا يحميها من مثل هذه المناورات السمجة . أما نورما فكانت مشرقة الوجه بالابتهاج والامل · لانهـــا عثرت على أول صديقة وعدتها بالاقامة معها ، ومن يدرى ، فلعلهما تستطيعـــان استئجار مسكن خاص بهما ، حيث تعيشـــان فى مأمن من الذئاب البشرية

وقطعت كاميليا حديث بمبلز عن هندســـة الرادار التى ينوى أن يتعلمها ، قائلة :

ـ شكرا لك على هذا الشراب يا مستر كارســون · والآن أريد أن أمضى لاغتسل وأزيل بعض أوضار السفر عني ، هل ستـــأتى معى يا نورما ؟

والتمعت فى عينى نورما نظرة حب وتفان ، وهى تقول :

ـ نعم ، نعم يا عزيزتى كاميليا اننى فى حاجة أيضا للاغتسال

وكان كل ما تقوله كاميليـــــا فى رأيها صوابا وجميلا ورقيقا ، ولشد ما أخذت تبتهل الى الله بكل كيانها : « يارب ، حقق أملى فى الحياة مع هذه الصديقة اللطيفة »

وكان هورتون فى تلك اللحظة جالسا يعرض على المستر بريكارد احدى اللعب اللطيفة التى تنتجها شركته ، وكانت عبارة عن آناء من الخزف على شكل كأس ، ويتصل به خزان على هيئة برميل صغير ، ويتدلى من الخزان مقبض صغير اذا جذبه الانسان ، انسكبت منـــه كمية معينة من الويسكي أو أى شراب آخر فى الكأس · ولما حاولت المســـز بريكارد أن تبدى رأيها فى هـــذا الاختراع ، قال لهـــا زوجهـــا :

ـ على الفتيات الصغيرات الا يحشرن انوفهن فى اعمال الرجال

وكانت ميلدرد جالسة بمفردها ، مرهقة ، مكتئبة النفس ، بادية السأم ، تراقب محاولات بمبلز للانفراد بالفتاة الشقراء ، وكانت لا تزال تحس بالنفور من هذه العاطفة المتأججة التى تريد أن تدفع بها الى ذراعي جون شيكو ، ولهذا كانت تبذل كل جهدها حتى لا تنهض وتبحث عنه لكي تظل قريبة منه

وفجأة سمعت صوت العجوز فان ابرانت يقول لها :

ـ يا سيدتي الصغيرة ، ان طرف قميصك الداخلي يبدو من أسفل ثوبك

فوثبت واقفة من فرط المفاجأة ثم قالت وهي تستدير برأسها لترى طرف الثوب :

ـ أوه ، شكرا جزيلا

ـ لو لم ألفت نظرك الى هذا لامضيت اليوم كله هكذا ، وعندما تتبينين الامر فى آخر النهار ستشعرين بالخجل وبالسخط على الذين رأوا هذا المنظر دون أن يلفتوا نظرك اليه

ـ أوه ، نعم ، نعم ، أعتقد أن حمالة القميص قد انفصلت

ـ أنا لا يهمنى أمر القميص أو حمالته ، ولكننى أردت فقط أن ألفت نظرك ، وأرجو ألا تظنى أن هناك دوافع أخرى جعلتنى أنظر الى ساقيك ، فان الفتاة منكن تظن أن جميع الرجال لا هم لهم الا النظر الى سيقان الفتيات

وهنا ضحكت ميلدرد فجأة ، فقال لها العجوز :

ـ ما السبب في هذا الضحك الآن ؟

وظلت الفتاة تضحك ضحكا متصلا ، وأخيرا قالت له :

ـ لا شيء ، ولكننى تذكرت فقط انك أكثر الرجال بحلقة في سيقان الفتيات يا مستر برانت ولست أدرى كيف يكون شعورك اذا علمت أننى أرتدى ثوبا وقميصا داخليا فقط ، فهل تفهم ما أعنى ؟ !

وازداد ضحكها ، وهي ترى العجوز يطرف بعينيه ، ويضطرم وجهه ويرتبك فجأة فلا يحير جوابا . ثم مضت مسرعة نحو دورة المياه واثقة بأنها تركت العجوز فى حالة عاطفية يرثى لها

وفى دورة المياه رأت ميلدرد الفاتنة كاميليا وهي تقوم بعملية

تجميل وجه نورما على الطراز الحديث ، وقد جلست ميلدرد مدهوشة وهي ترى براعة كاميليا في توزيع مساحيق التجميل على وجه الفتاة العادية الجمال ، حتى جعلت منها فتاة أخرى تماما

وقالت ميلدرد أخيرا :

ـ انك بارعة حقا في فن التجميل ، واني أحب أن أحتفظ ببعض نصائحك في هذا الشأن

فقالت كاميليا :

ـ أوه ، ان الامر بسيط جدا ، وما على الفتاة منـــا الا أن تدرس وجهها بامعان وأن تعرف المواضع المناسبة لوضع مختلف مســـاحيق التجميل ، وأنا لا أعترف بوجود فتاة جميلة وأخرى دميمة ، وانمـــا الحقيقة هي أن هناك فتاة تعرف كيف تبدو جميلة ، واخرى لا تعرف

وبعد أن أصلحت ميلدرد قميصها الداخلي بمعونة كاميليا ، هتفت نورما قائلة بعد أن تأملت وجهها طويلا في المرآة :

ـ الا أبدو رائعة حقا ؟ من يصدق أنني الآن نورما القديمـة التي كانت تبدو كالقطة الخائفة الهزيلة ؟

فقالت كاميليا باسمة :

ـ نعم يا عزيزتي ، لقد أصبحت الآن فتاة أخرى ، وهذا ما سوف يضاعف ثقتك بنفسك ويجعلك تنظرين الى الحياة بمنظار جـــديد ، ولكن شعرك لا يزال في حاجة الى المزيد من العناية · وسوف ننظر في هذا الامر عندما تحين الفرصة المناسبة

فصاحت نورما كالطفل السعيد :

ـ هل يعني هذا أننا سنبقى معا ، وأننـا سنبحث عن مســكن للاقامة معا ؟

ثم استدارت الى ميلدرد وأردفت قائلة :

ـ تصوري يا سيدتي !! تصوري ، لسوف يكون لنا مسكن خاص فيه أضواء خافتة ، وأرائك وثيرة ، ومقاعد أنيقـــة ، ومطبخ كامل المعدات ·· ياللروعة ، ياللروعة !

ولكن كاميليا قالت بلهجة جادة :

ـ لسـوف ننتظر أولا لنرى كيف تسير الامور ، وعليك بالصبر وعدم الاسراف في الآمال يا حبيبتي ، اننا يامس ميلدرد فتاتان عاطلتان

فى الوقت الحاضر ، ومع ذلك فان عزيزتى نورما تتحدث عن المسكن ذى الاضواء والاراثك !

فقالت ميلدرد :

ـ الواقع اننا مجموعة غريبة فى هذه الرحلة

ـ بل الحقيقة اننا لا نكاد نختلف كثيرا فى أعماق نفوسنا ، فان لكل منا رغبة خاصة يخفيها عن الآخرين ، ورغبة عامة يعلنها

ـ ان الشخص الوحيد المتزن بيننا هو المستر شيكو ، وهو نصف مكسيكى من ناحية الام ، ولكن ذلك الغلام ! أوه ، يخيـــل لى أنه لا يتردد فى الوثوب على أية واحدة منا اذا سنحت له الفرصة

فقلت كاميليا برفق :

ـ أوه ، انه لا بأس به . كل عيبه أنه لا يعرف أنه يعانى من دور مراهقة حاد ؟ وعندما يعرف هذه الحقيقة ، فلا شك أنه سيكون أكثر سيطرة على أعصابه

فهزت ميلدرد كتفيها وقالت :

ـ أو ربما يعيش طول حياته وهو يعانى من هذا الدور . انظرى الى ذلك العجوز فان برانت ، انه لا يزال فى دور المراهقة حتى الآن ، وان كل أفكاره تدور حول الجنس ، هذا اللعين !

فابتسمت كاميليا وقالت :

ـ عجبا ! انه عجوز جدا

وجلست ميلدرد على مقعد بجوار الحـــوض ثم قالت فجـــأة لكاميليا :

ـ اسمعى يامس أوكس ، اننى أريد أن أوجه اليك سؤالا خاصا . وهو أن أبى يعتقد انه رآك فى مكان ما من قبل ، وهو يتمتع بذاكرة قوية ، فهل تعتقدين أنك رأيته بدورك ؟

ولا حظت ميلدرد نظرة الجفاء التى بدت فى عينى كاميليا فجأة ، وكان صوت هذه الاخيرة ينم عن البرود أيضا وهى تجيب قائلة :

ـ لعله رأى فتاة تشبهنى ، ولا شك أن ذاكرته قد خانته هذه المرة أو ربما رآنى وأنا أسير فى طريق عام

ـ اننى لا أحاول أن أعرف بعض أسرارك الخاصة يامس أوكس ، ولكننى فقط كنت أتساءل أين رآك أبى من قبل

وفى تلك اللحظة تلاشى من المكان جو الصداقة والزمالة والمودة ،

وخيمت مكانه سحب الشك والتربص ، وكأنما دخل عليهن رجل فجـــأة

وقالت كاميليا بنفس الصوت البارد :

ـ لا شك أن ذاكرته قد خذلته هذه المرة ، ويمكنك ان تصدقي أو تكذبي ، فليس هذا من شأني

وفي تلك اللحظة دخلت المسز بريكارد وقالت لابنتها :

ـ أوه .. هل انت هنا ؟ لقد ظننت أنك ضـــللت الطريق وانت تتجولين في هذه المنطقة

فقالت ميلدرد :

ـ لقد انقطعت حمالة قميصي ..

ـ حسنا ، أسرعي ، لقد عاد المستر شيكو من المعبر وهو يدير الآن مناقشة كبيرة الاهمية

ـ آه ، شكرا لك يا عزيزتي ..

قالتها لنورما التي تخلت لها عن الحوض ، ثم أردفت قائلة :

ـ لسوف أبلل فقط طرف منديلي وأمسح الغبار عن وجهي ، لماذا لم تتناولي عصير الليمون الطازج ياميلدرد . ان المسز بريد سيدة لطيفة ، بارعة في اعداد شراب الليمون الطازج ، وقد قلت لها انهـــا قد تظفر بشهرة عريضة في هذه المنطقة اذا هي تخصصت في اعداد عصير الفواكه الطازجة

وهنا قالت كاميليا فجأة :

ـ انني أتمنى لو استطعنا أن نجد ما نأكله هنا . فقد بدأت أشعر بالجوع ، وأريد طعاما وفيرا

فقالت المسز بريكارد :

ـ وهكذا الحال معي ، لاسيما ولا تزال أمامنا مســافة طويلة حتى نصل الى المدينة التالية ، ما اسمها ؟

فقالت نورما :

ـ سان جوان دي لا كروز

فكررت المسز بريكارد الاسم في صوت منغم قائلة :

ـ سان جوان دي لا كروز : ان للاسماء الاسبانية رنينا جميلا

وعادت نورما تنظر الى نفسها في المرآة وهي لا تكاد تصدق عينيها بسبب التغيير الكبير الذي طرأ عليها

الفصل العاشر

القرار الأخير

كان جون شيكو جالسا على مقعد مثبت أمام مائدة الخدمة في استراحة المستر بريد ، يشرب زجاجة مياه غازية وقد عقد جبينه مفكرا ، وأخيرا وضع الزجاجة ونظر الى الجميع وقال فجأة :

ــ هل انتم جميعا هنا ؟ الا ينقصكم أحد ؟ آه ، اني لا ارى المستر فان برانت بينكم

فقال فان برانت :

ــ انني هنا

وكان واقفا غير مرئي وراء ارفف الخضروات الطازجة يفحصها ، هذا بينما قال المستر بريكارد :

ــ أريد أن أعرف متى سنستأنف الرحيل . فان لدى أعمالا هامة اريد أن انجزها في المواعيد المحددة

فقال جون برفق :

ــ اعرف هذا ، ومن ثم أردت أن اتحدث اليكم جميعا . ان المعبر سليم حتى هذه اللحظة ، ومن الممكن اجتيازه بالسيارة . أما المعبر الآخر فليست لدينا أية أنباء عنه . انه قد يكون سليما ، أو منهارا .. فاذا كان منهارا وحاولنا العودة ولم نستطع أن نجتاز المعبر الموجود هنا مرة أخرى ، فسوف نجد أنفسنا محصورين في منطقة انحناء النهر ، وهي منطقة خطرة قد يجرفها الفيضان في اية لحظة قبل أن يدركنا أحد بالنجدة اللازمة . وأنا شخصيا ليس لي مصلحة خاصة في هذا الموضوع فاذا شئتم أن نغامر باجتياز المعبر ونواجه القدر المجهول ، فأنا معكم ، والا فاني مستعد أن أعود بكم ــ اذا شئتم أيضا ــ الى مدينة سان‌سيدرو حيث يتصرف

كل واحد منا حسب ما يحلو له . وعليكم الآن أن تتفقوا على راى معين اما بالاجماع أو بالاغلبية المطلقة

وعاد الى زجاجة المياه الغازية يرفعها الى فمه بينما قال المستر بريكارد بصوت مرتفع :

ــ اسمع يا صاحبى . اننى لم انعم بأجازة سنوية منـــذ أعوام طويلة ، لقد كنت مديرا لاحد المصانع الحربية أثناء الحرب ، ولم أظفر خلالها بأجازة أسبوع كامل ، وهذا يعنى أننى فى أول أجازة كاملة لى منذ أعوام ، وأريد أن أنعم بها ، فكيف تريدمنى أن أعود ادراجى الى مدينة سان سيدرو وبذلك تضيع ثلاثة أيام من هذه الاجازة الثمينة سدى !

فقال جون :

ــ انني آسف يا مستر بريكارد ، انني لا اقترح هذا عن قصد وانما اخشى اذا وقعنا فى مصيدة فرعى النهر ان تضيع منك الاجازة كلهـــا سدى

وهنـــا خرج فان برانت من وراء أرفف الخضروات الطازجة ، وتقدم ببطء حتى وقف أمام جون ، ثم قال وهو يعقد يديه وراء ظهرى :

ــ لقد سمعت كل ما قلته يا هذا ، فهل تعتقد أن فى مقدورك خداعنا واضاعة هذه الايام سدى من عمرنا وتعطيل أعمالنا ! ان لدى قضية هامة يجب أن أحضرها فى العاشرة من صـــباح الغـــد بمحكمة مدينة سان جوان دي لاكروز ، ومن ثم يجب ان أصـــل الى هذه المدينة اليوم بأية طريقة . وعليك أنت أن تجد لنا هـــذه الطريقة لانك تحمل إمتياز هذا الخط الوحيد ويجب أن تتحمـــل أعباءه ومطالبه أيضا

فقال جون :

ــ وهذا ما أريد أن أفعله ، ولكن ليس من اعباء الامتياز ان اتسبب فى قتل الركاب

ــ وهذا يرجع الى جهلك بتضاريس هذه المنطقة ، وكان ينبغى على المسئولين أن يتأكدوا اولا من الماح السائق نكا .احى هذه المنطقة قبل أن يمنحوه حق الامتياز والترخيص ب . . ولكنهم

كلهم لصوص

ثم صمت برهة ، وحانت منه نظرة الى نورما ، وبدا الاندهاش واضحا عليه وهو يرى التغيير الذى طرأ عليها ، ولو أنه أطال النظر لحظة واحدة أخرى ، لاثار ضحك الجميع ، الا أنه تنبه لنفسه ، فالتفت الى جون وقال له :

ـ تقول أنه ليس لدينا غير طريقتين : فاما أن نغامر ونمضى لنواجه المجهول بعد المعبر الاول ، أو نعود ادراجنا الى سان سيدرو ولو انك خبير بهذه المنطقة ، لعرفت أن ثمة طريقا ثالثا يمتد بجانب النهر ، وكان يستعمل قبل انشاء المعبرين لمرور المركبات على اختلاف أنواعها

فنظر جون الى بريد متسائلا ، فأجاب هذا قائلا :

ـ لقد سمعت بوجوده ، وهو يدور حول ثنية النهر الواسعة ، ولكننى لا أعرف كيف حاله الآن

فقال فان برانت :

ـ لقد ظلت المركبات تستعمله مائة عام

وقال بريد :

ـ اعرف ان الطريق لا بأس به مسافة ميلين ، أما فيما عدا ذلك فلا أعرف الا أنه يصعد الى الجبل من الناحية الشرقية ، هناك ، ولكن من المحتمل أن تكون العوامل الجوية قد محت آثاره

وصاح فان برانت مهللا :

ـ انا الذى تنبأت بالمطر ، وانا الذى قلت لكم ان النهر سيفيض ، وأن المعابر عليه قد لا تحتمل الفيضان ، وانا الذى دللتكم على هذا الطريق الثالث ، فماذا تريدون منى أكثر من هذا ؟ لعلكم تريدون ان أقود لكم هذه السيارة اللعينة ؟

فقال جون بحدة :

ـ حسن الفاظك يا مستر برانت ولا تنس ان معنا سيدات !

فهز فان برانت كتفيه وقال :

ـ يالها من رحلة كانت من أولها .. شؤما !

واستدار جون الى الباقين وقال لهم :

ـ ان حق الامتياز الذى معى يحتم على السير عن طريق المعابر ،

وانا لا اعرف شيئا عن الطريق القديم ، بل لا اعرف اذا كان من الممكن اجتيازه بالسيارة أم لا . وعليكم الآن أن تقرروا ماذا تريدون. وكل ما ارجوه لنفسي هو الا تنحوا على باللائمة فيما بعد

فقال المستر بريكارد :

ـ انني تعودت الا اقف في منتصف الطرق ، واريد أن اصل الى لوس انجلوس في الوقت المناسب ، لان لدى تذاكر سفر بالطائرة منها الى المكسيك . فهل تعرف كم ثمن تذكرة السفر بالطائرة ايها الرجل ؟ والآن يجب أن نمضي في طريقنا ، فهل تعتقد أن حالة المعبر تنذر بالخطر ؟

ـ نعم

ـ وترى انك لا تضمن اجتيازنا للطريق القديم ، أليس كذلك ؟

ـ نعم

ـ هذا يعني أن علينا أن نختار بين أمرين كلاهما مر

وهنا قالت المسز بريكارد :

ـ أيا كان الامر يا عزيزى اليوت ، فيجب ان نصل بسرعة الى احدى المدن ، انني لم استحم منذ ثلاثة أيام

وقالت ميلدرد :

ـ انني أوافق على اتخاذ الطريق القديم ، وليكن ما يكون

ونظرت الى جون لترى أثر كلماتها عليه ، ولكن هذا كان ينظر في تلك اللحظة الى كاميليا التي كانت تقول عندئذ :

ـ انني ايضا أوافق على المضي في الطريق القديم ، فقد بلغ بي التعب والاجهاد حدا يجعلني لا أهتم كثيرا بما قد يحدث

ونظر جون الى نورما وقد ادهشه ما طرأ عليها من تغيير ، ولاحظت هي دهشته بقلب خافق ، ولكنها اطرقت برأسها وقالت :

ـ وأنا أوافق على الطريق القديم

وهنا قال أرنست هورتون :

ـ وانا لا يهمني كثيرا ان اصل الى لوس انجلوس في الموعد المحدد أم بعده بأسابيع ولهذا فاني سأمضي مع الاغلبية

وهنا ضرب فان برانت مائدة الخدمة بكفه وقال معترضا :

ـ ان السماء سوف تمطر ، ومن المحتمل أن تقع السيارة في

حفرة مملوءة بالماء لا يمكننا اخراجها منها ، ومن المحتمل ان يغدو الطريق الصاعد الى سفح الجبل زلقا فلا تستطيع العجلات ان تمضي فيه ، وهذا يعني اننا معرضون لخطر التعطل في منطقة موحشة قد نظل بها يوما أو اكثر قبل أن تأتينا النجدة .

فقال جون مندهشا :

ـ ولكنك انت الذي اقترحت الطريق القديم

ـ ولكنني لم اقترح استخدامه في مثل هذه الظروف

ـ ان احدا لا يرغمك على الركوب معنا ، ويمكنك البقاء في هذه الاستراحة حتى تعود الى مدينة سان سيدرو مع أية سيارة في الطريق اليها

ـ وقضيتي غدا في مدينة سان جوان دي لاكروز ؟

وهز جون كتفيه في يأس ، ونظر الى الجميع متسائلا ، ثم قال لبمبلز :

ـ وأنت يا كيت ، ما رأيك ؟

ـ انني مع الاغلبية يا ريس

ـ اذن فقد اخترنا جميعا ، فيما عدا واحدا ، الطريق القديم

ولما حاول العجوز أن يمضي في احتجاجه ، استدار جون الى المستر بريد وقال له :

ـ اريد منك بعض الادوات ، وسوف اعيدها اليك عند عودتنا

ـ أي نوع من الادوات ؟

ـ جاروف ومعول وكمية من الحبال ورافعة

ـ أوه ، اذن فأنت تتوقع أن تغوص عجلات السيارة في الوحل !

ـ كل شيء متوقع في مثل هذه الظروف

ـ حسنا ، اذهب الى قسم الادوات واختر منها ما شئت

ومضى جون مع بمبلز الى قسم الادوات القائم في مبنى صغير وراء الاستراحة ، بينما قال ارنست لكاميليا :

ـ انني مستمتع بما يحدث تماما .. فالانسان لا يجد مثل هذه المآزق الممتعة كل يوم

فقالت الفتاة وقد فهمت غرضه الحقيقي :

ـ انني فقط متعبة ، فقد ظللت اركب سيارات السفر خمسة

أيام لم أغير ملابسي فيها ، ولم أنم كما ينبغي ليلتين

ـ ولماذا لم تسافري بالقطار ؟ لقد جئت من شيكاغو . أليس كذلك ؟

ـ نعم ، شيكاغو

ـ اذن كان في مقدورك أن تركبي القطار الفاخر الملحق به مركبات الاكل والنوم

فهزت كاميليا كتفيها ، وقالت :

ـ ومن أين لي المبلغ الكافي لركوب مثل هذا القطار ؟ ان ما معي من نقود لا يكاد يكفيني أكثر من أسابيع قليلة حتى أجد عملا آخر. ولهذا فاني أفضل سريرا لشخصين على سرير لشخص واحد !

فابتسم ارنست وقال بغموض :

ـ هل تعنين ما تقولين حقا ؟

ـ نعم ، أليس هذا أفضل من اللف والدوران ؟

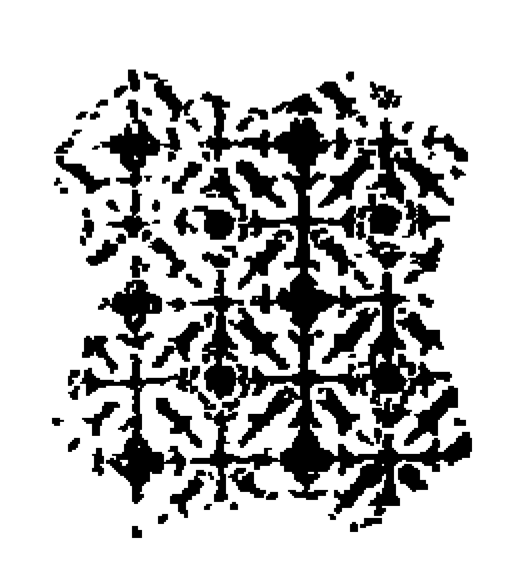
ـ اذن فأنا تحت أمرك

ـ شكرا

وكانت نورما تراقبهما وتحاول أن تفهم المعاني التي ينطوي عليها حديثهما . ولكنها لم تستطع أن تفهم شيئا ، ومن ثم اكتفت بأن أخذت تلتهم وجه كاميليا اعجابا وحبا واخلاصا

وهنا سمع الجميع صوت جون من الخارج يقول :

ـ هلم أيها السيدات والسادة



الهرب

كان الطريق الخلفى الذى يدور مع نهر سان سيدرو طريقا قديما جدا لا يكاد أحد يعرف تاريخه . وكانت المركبات تستعمله حقا ، وكذلك المسافرون على متون الجياد ، وفى مواسم الجفاف كانت الماشية تساق فيه الى النهر حيث كانت ترقد تحت ظلال الشجر أثناء الهجرة ، وتشرب من البرك المحفورة فى مجرى النهر . ذلك ان نهر سان سيدرو كان فى فصول الجفاف تكاد تجف مياهه أما فى فصول الامطار فيمتلىء ويهدد بالفيضان فى أكثر المواسم . وكان الطريق فى الواقع لا يعدو أن يكون شريطا من الارض يمتد بحذاء النهر الملتوى ، ولا تحدده الا آثار العجلات وحوافر الجياد ، وهو فى الصيف كثير الغبار وفى الشتاء كثير الاوحال ، وبعد أن قل استعماله كثرت فيه الحفر والمطبات ، وتساوت أجزاء منه مع الاراضى المحيطة به

فى هذا الطريق استعد جون ليقود السيارة بعد أن جلس فى مقعد القيادة منتظرا حتى يستقر الجميع فى مقاعدهم ومصمما على أنه لو تعطلت السيارة لسبب ما ، فسوف يتركها ويمضى .. يمضى الى حيث لا رجعة . وان هذا الخاطر ليملأ نفسه بالابتهاج ، وكأنما هو تلميذ يوشك ان ينال اجازته السنوية التى سيقضيها فى مناطق مليئة بالسحر والمغامرات

وقال للركاب بصوت ينم عن بهجته الخفية :

ــ انى لا ادرى هل سنستطيع اجتياز هذا الطريق أم لا

وسرت موجة من القلق بين الركاب وهم يحسون بهذه البهجة الخفية التى بدت فى صوت جون!

وانسابت السيارة منحرفة الى الطريق القديم ، وازداد وجه

السماء تلبدا بالسحب المتكاثفة ، وبدا للجميع بوضوح أن المطر فى هذه المنطقة سوف ينهمر بغزارة كأنما يسقط من أفواه القرب . وقد قال فان برانت فى زهو :

ــ ان المطر قد اوشك على الانهمار

فقال جون

ــ نعم

وقال المستر بريكارد بصوت مرتفع :

ــ ما طول هذا الطريق ؟!

ــ يقولون ثلاثة عشر ميلا وربما خمسةعشر

وانطلقت السيارة على الطريق القديم ، وانطلقت معهـــا افكار جون . وكان بين الفينة والفينة ينظر الى تمثال صغير للعذراء معلق ــ على سبيل البركة ــ فى سقف السيارة امامه مباشرة . وفى خلال هذه الفترة التى كانت السيارة تجتاز فيها الطريق الموحل ، راح هو يحدث العذراء بأفكاره قائلا :

« انت يا سيدتى المقدسة تعرفين اننى لم أكن سعيدا فى السنوات الاخيرة ، واننى لم ارض البقاء فى المصيدة التى وقعت فيها الا بدافع من الشعور بالواجب ، وهو شعور ليس متأصلا فى نفسى كما تعلمين؛ لا سيما اذا كان هذا الواجب لا فائدة لى فيه . وانا الآن سأضع بين يديك اتخاذ قرار أخير فى مصيرى ، لانى لا أستطيع ان اتحمل بمفردى مسئولية الفرار من زوجتى ، ومن مؤسستى الصغيرة . فلو كنت اصغر سنا ، لما ترددت فى اتخاذ هذه الخطوة ، اما الان ، فانى بلغت سن الكهولة ، وتعودت على الراحة ، ولم تعد لعضلاتى قوتها ، ولا لجسمى قوة احتماله . وانى أضع مصيرى الان بين يديك ، وانا أسير على هذه الطريق بغير ارادة منى . فاذا تعطلت السيارة أو غاصت عجلاتها الخلفية ، وكان فى مقدورى بأية وسيلة ممكنة ان أعيدها الى العمل ، فلن اتردد فى ذلك ، واذا كان ثمة احتياطات لازمة لضمان اجتياز الطريق فى سلام ، فسوف اتخذها ، اما اذا رأيت لحكمة خفية ان تغوص السيارة مثلا حتى محاورها بحيث لا يمكن انتشالها الا بمساعدات خارجية ، فانى سأفهم من هذا انك تريدين منى ان انطلق الى حياة جديدة »

وتنفس جون بعمق ونشوة ، وتألقت عيناه بالترقب والامل، وكان في مقدور ميلدرد أن ترى وجهه في المرآة الموضوعة امامه ، ومن ثم عجبت لما يبدو عليه من نشوة واشراق وابتهاج ! وقالت لنفسها : هذا هو رجل .. رجل كامل الرجولة ، رجل من النوع الذى تشتهيه المرأة الكاملة الانوثة . انه رجل يأبى أن يكون فى أعماق وجدانه اى احساس انثوى ، بل يأبى ان يغوص في اعماق نفسية المرأة ، لان هذا يستلزم الالمام بمشاعرها الخاصة ، وهو يأبى ان يفعل هذا

وزال كل شعور من عواطفها الجنسية المشبوبة نحوه . انها عواطف طبيعية لفتاة مكتملة الانوثة مثلها ، نحو رجل مكتمل الرجولة مثله . فلماذا تنفر من عاطفة طبيعية كهذه ، ولماذا تحاول كبتها والقضاء عليها ؟

وتنهدت اخيرا في ارتياح

وكانت امها تكتب في ذهنها عندئذ خطابا آخر الى صديقتها ايلين تصف فيه بقية هذه الفترة من الرحلة

وقال فان برانت عندما اقتربت السيارة من منطقة يرتفع فيها الطريق تدريجيا :

ــ هل لديك سلاسل تمنع العجل من الانزلاق الى الخلف ؟

فقال جون في سرور :

ــ لا . انني لم اشتر هذا النوع من السلاسل حتى قبل الحرب

فصاح فان برانت قائلا ، وهو يشير نحو الشرق :

ــ في هذه الحالة لن تستطيع ان تمضى في الطريق الصاعد الى ذلك السفح

ثم اردف قائلا للركاب :

ــ ان السيارة تمضى على الطريق المستوى بلا عوائق او صعوبات ، ولكنها لن تستطيع ان تصعد ذلك الطريق المرتفع ، عند الشرق ، بسبب وحولة الطرق

وكان بمبلز في تلك اللحظات يشعر ايضا بلون عجيب من البهجة والرضا ، اذ كان يكفي ان يشعر بوجود كاميليا على مقربة منه حتى يحس ان الحياة جميلة كأجمل ما ينبغى ان تكون . ذلك ان عصارة المراهقة التي تلهب دمائه ، كانت تجعله لايفكر ليلا ونهاراً الا في شيء

واحد ، وهو جسد المرأة . . وكلما كانت المرأة شابة وجميلة ، كان تفكيره فيها يزداد تركيزا وقوة

وكان منذ رأى كاميليا ، وهو يشعر ان كل افكاره واشواق جسمه تتجه إليها ، وتتركز فيها ، ومن ثم كان يتصور نفسه وهو يتقدم طالبا الزواج منها ، ثم وهي تقبل هذا العرض ، ثم وهو يقضي معها الليلة الاولى ، ليلة العمر . ولكنه لا يلبث ان يشعر بالحيرة والارتباك حين ينظر في اتجاهها ، فيرى انها لاتكاد تشعر بوجوده !

وسمع بمبلز همسات المراهقة تطن في اذنه قائلة : حسنا جدا . اذا لم أستطع ان أنال كاميليا فقد أستطيع الظفر بنورما . انني لا أخشاها كما أخشى ربة الجمال . كاميليا هذه ! ومن ثم راح ، بلا وعي ، يفكر في الوسائل التي يمكن بواسطتها الايقاع بنورما بين أحضانه . وفي تلك اللحظات كانت « حبة شباب » جديدة قد نضجت ، فمد يده بلا ارادة وهرشها بظفره ، فانثالت منها الدماء . وهنا أسرع ووضع منديله على خده ، ودس يده الاخرى في جيبه حتى لا يعود الى عملية الهرش !

وكان المستر بريكارد يحاول دائما ان يزيل كل شك في نزاهته قد يخامر ذهن أرنست ومن ثم قرر ان يقدم اليه اختراعا صغيرا بلا مقابل، كان قد فكر فيه من قبل ، وهاهو ذا يقول له :

ــ ان لدى فكرة جديدة عن ازرار اكمام القميص ، وارجو ان تعرضها على شركتك فربما تعجبها وتوافق عليها

فقال أرنست هورتون بلا اهتمام في أول الامر :

ــ أن شركتي لا تهتم الا بألعاب التسلية والفكاهة ، ولكن لا بأس أن يسمع الانسان أية فكرة جديدة

ــ ان الواحد منا قد يقع في مأزق حين يحاول ان يشمر أكمام القميص فوق المرفق ، فلا يستطيع الانسان ان يعيده الى مكانه ، ولا يستطيع في الوقت نفسه ان يفك الزرار !

فهز ارنست كتفيه وقال :

ــ هناك نوع من الازرار يشبه «الكبسولة» يمكن فكها بسهولة

ــ انها أنواع رخيصة قلما يقبل عليها احد

ــ اذن ما هي فكرتك الجديدة ؟

فابتسم المستر بريكارد ثم قال :

ـ فكرة بسيطة وعملية ، وهى أن تربط بين كل زوج من الزراير لولب من الصلب يتسع عندما يشمر الانسان كمه وينكمش عندما يعاد الكم الى مكانه . وبطبيعة الحال يمكن وضع هذا اللولب داخل انبوبة ذهبية للنوع الثمين ، أو معدنية للنوع الرخيص

فأومأ ارنست برأسه وقال :

ـ هذه فكرة طيبة يا سيدى ، ومن السهل تنفيذها

ـ يمكنك أن تتبناها وتستفيد بكل ما يعود عليك من أرباح عند تنفيذها

فنظر ارنست اليه مندهشا وقال :

ـ هل تعنى يا سيدى انك تتنازل عن حق استغلالها ؟

ـ نعم نعم ، هذا ما اعنيه بطبيعة الحال ، لاننى أعجب دائما بالشبان الموهوبين المكافحين امثالك . وانه ليسرنى جدا ان اقدم اليهم أية خدمة ممكنة لمعاونتهم على شق طريقهم فى الحياة

فقال ارنست وهو يتناول مفكرته من جيبه :

ـ انتى عاجز عن شكرك يا سيدى ، ولكن التنازل يجب بطبيعة الحال ان يكون كتابيا ، ولهذا ارجو ان نلتقى لمناقشة الموضوع اثناء وجودك فى هوليوود

ثم غمز بعينيه خلسة نحو المسز بريكارد واردف قائلا وهو يقدم الورقة المنزوعة من المفكرة :

ـ هذا عنوانى ورقم تليفونى . فندق آلوها آرمز ، همستيد ٥٥٢٣ الغرفة ١٢ ب

وتناول المستر بريكارد قصاصة الورق ووضعها فى حافظة نقوده ثم التفت الى زوجته وقال :

ـ هل انت بخير يا فتاتى الصغيرة ؟

ـ نعم . نعم ، لقد كاد ذلك الصداع اللعين يهاجمنى ، ولكننى قاومته واكدت لنفسى أننى لن أصاب به اليوم على الاقل حتى لا افسد الاجازة عليك يا عزيزى

ـ اننى سعيد جدا يا عزيزتى

ثم وضع يده على ركبتها وضغط عليها قليلا ، ولكنها ضربته على يده مداعبة

وكانت نورما قد وضعت فمها بالقرب من اذن كاميليا حتى لايسمع احد حديثهما ، ولا سيما بمبلز الذى كان يحاول جاهدا أن يلتقطه وقد كانت فى تلك اللحظة تقول لكاميليا :

ـ انني في الواقع وحيدة في الحياة ، ليست لى اسرة اطلاقا . أعني ليس لى أخوة او أخوات او والدان

وعادت تقول :

ـ وعندما يكون الانسان وحيدا فى الحياة يقول ويفعل أشياء عجيبة . فمثلا كنت احب ان اكذب على الناس ، وان اتظاهر امام الناس على غير حقيقتي ، بل كنت أخدع نفسي واتصور انى أحب نجما سينمائيا معينا ، ثم .. ثم اتخيل نفسى ، وأنا زوجة له !

ويبدو ان العبارة الاخيرة انفلتت من لسانها رغما عنها ، لانها لم تكن تقصد أن تتمادى الى هذا الحد فى التصريح بكل ما يدور بذات نفسها ، ثم أنه ما كان ينبغي ـ فى رأيها ـ ان تقول هذا ، لانها شعرت عندئذ كأنها خذلت المستر جيبل ، ولكن عجبا ! انها تتحسس مشاعرها وتفحصها ، فتجد أن هذه المشاعر لم تكن كما كانت بالنسبة للمستر جيبل ، لقد تحولت كلها الى كاميليا ، وقد صدمتها هذه الحقيقة وجعلتها تتساءل : ترى هل أنا هوائية متقلبة !

وقالت كأنها توضح الامر :

ـ أن الانسان عندما يكون محروما من الاسرة والاصدقاء ، يحاول ان يصنعهم ولو بخياله ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟ أما الآن ، فلاداعى لان أصنع من الاوهام أهلا وأحبابا ، لانك ستقيمين معى فى مسكن واحد وتملئين على حياتى .

وادارت كاميليا وجهها حتى لا ترى أمارات اللهفة والتفانى فى الاستسلام المطلق فى عينى نورما . ثم قالت لنفسها فى حيرة : « يا للكارثة ! ماذا افعل الآن ، لقد وضعت نفسى فى مأزق لا أعرف كيف الخلاص منه . فكأنما قد ولدت لى ابنة كبيرة على حين غرة ، وأنا لا أدرى ماذا اقول لها عن حقيقة امرى ؟ انى قد احتملها واعيش حياتها لمدة معينة ، ولكننى قد أموت من فرط السأم والضجر . ثم كيف يكون الامر لو أن صديقتى الحميمة لورين تترك عشيقها

مندوب شركة الاعلانات لتستأنف الحياة معى ، فماذا افعل بنورما هذه ؟ ما الذي جعلني أتمادى في علاقتى بها الى هذا الحد بحق السماء ؟ »

والتفتت الى نورما وقالت لها بصوت حاد :

ـ اسمعى يا حبيبتى ، اننى لم أعدك وعدا قاطعا بالسكنى معا . وانما قلت لك سوف نرى كيف تسير الامور . وان هناك الشيء الكثير الذى لا تعرفينه عنى . فأنا مثلا مخطوبة للزواج ، وربما يصر خطيبى على التعجيل به ، فاذا اصر على هذا فاننى عندئذ لا استطيع أن اقيم معك فى مسكن واحد

ورأت كاميليا أشباح اليأس تتزاحم في عيني نورما ، ومع هذه الاشباح رأت الفزع الرهيب ، ولمحت عضلات خديها وهى تتخاذل ، وجوانب فمها تتراخى ، وجسمها كله يوشك أن ينهار

وقالت كاميليا لنفسها « يمكنني ان اجد غرفة فى المدينة التالية أختبيء فيها منها حتى تيأس من العثور على . آه ، يا الهى . كيف اوقعت نفسي فى مأزق كهذا . ولكنني الآن متعبة جدا ، وأريد حماما ساخنا »

وزمت نورما شفتيها بقوة وأغمضت عينيها قليـلا ، واحست بزفيف محرك السيارة كأنه دوى طبول غامضة فى رأسها . ولكنها لم تلبث ان تمالكت نفسها ، ثم قالت لكاميليا فى لهجة اعتذار :

ـ لعلك تشعرين بالخجل من مصاحبتى لك ، وانا لا الومك على هذا ، لانى لا أصلح للخدمة فى المطاعم والمشارب ، ولكننى أستطيع أن أتعلم فن التمريض اذا رأيت ان اتعلم ولسوف أستذكر دروسى ليلا وانا اعمل بالخدمة فى احد المطاعم نهارا . وتأكدى انى سانجح فى هذا ،وأنك لن تشعرى بالخجل منى بعد ذلك . وأعتقد أنك لن تتعبى كثيرا فى مساعدتى

وشعرت كاميليا بنوبة غثيان فى معدتها ، واذا هى تقول لنفسها فى يأس :

« يا الهى الكبير ، لقد اوقعت نفسي فى مأزق لا نجاة منه . فماذا اقول لها ؟ هل اكذب عليها مرة اخرى ؟ ام الافضل ان اصارح هذه الفتاة البريئة بحقيقة امرى ، فأقول لها اننى التقط رزقى بمصاحبة

الرجال ، وبالوقوف عارية تماما فى بعض الاستعراضات المسرحية الخاصة ؟ اننى لو صارحتها بهذا فربما أصدمها وأصدم مبادئها فى الفضيلة فترفض ان تكون صديقة لى . ولعل أن يكون هذا هو الحل الوحيد . ولكن لا ، ان الحل الوحيد هو أن أهرب منها فى زحمة الطريق »

وكانت نورما تقول عندئذ :

ــ اننى أتمنى أن تكون لى مهنة لها احترامها مثل مهنتك

وقالت كاميليا فى يأس :

ــ اسمعى يا حبيبتى ، اننى متعبة جدا بحيث أعجز عن التفكير السليم . لقد ظللت بضعة ايام وانا فى حالة سفر . ولهذا أرجو ان نفكر فى الامر بعد ان نستريح ، ثم ننظر كيف تسير الامور

فقالت نورما :

ــ اننى آسفة ، فقد نسيت هذه الحقيقة من فرط انفعالى . ولن اتحدث معك فى هذا الموضوع حتى نرى كيف تسير الامور

ــ نعم ، هذا احسن

وتوقفت السيارة فجأة ، ونهض جون من مقعده ليتأمل حفرة فى الطريق مملوءة بالماء لا يعرف مدى عمقها ، انها قد تبلغ من العمق بحيث تختفى السيارة فيها تماما . ونظر بسرعة الى تمثال العذراء ثم همس لها : « هل أغامر بالمرور فوق هــــذه الحفرة ؟ » وكانت العجلات الامامية عند حافة الحفرة ، ومن ثم تراجع بالسيارة قليلا ، ثم أطلق لها العنان ، فاندفعت السيارة فى الحفرة ، ثم خرجت منها سالمة

ولما أشرق وجهه بالانتصار ، قال له العجوز برانت :

ــ مهلا ، انتظر حتى تبلغ السيارة الطريق الصاعد الى الهضبة

فلوى جون شفتيه وقال :

ــ ان من يسمعك يعتقد أنك تتمنى أن تتعطل السيارة فى الطريق لاى سبب

ووصلت السيارة الى مكان سوى فى الطريق بأعلى التل ، وخفت حدة المطر بعض الشىء ، ونظر جون الى تمثال العذراء المعلق فوق رأسه وقال باسما « لسوف أبر بوعدى واجتاز بالركاب هذا الطريق الوعر

اذا كان ذلك ممكنا ، أما اذا ٠٠ »

ونظر جون الى صخور التلال المرتفعة على يمينه ، والى بعض الكهوف المحفورة في جوانبها بواسطة العوامل الطبيعية أو البشرية ثم أحس بالرعدة تسرى فى كيانه وقد خيل اليه أن هذه الكهوف ليست الا عيونا سوداء تنفذ الى أعماق نفسه وتستشف حقيقة مشاعره

وانطلقت السيارة بأمان على الطريق الموحل المكسو بالحصباء ، ولولا هذه الحصباء لما سهل على السيارة الانطلاق بهذه السرعة ، وفجأة رأى جون أمامه منخفضا فى الطريق ملء بالماء والاوحال ، ولكنه لم يتوقف ، لان التوقف لا جدوى منه ، وانما زاد من السرعة ، واندفع بالسيارة ، وكاد يجتاز المنخفض بسلام ، وبلغت العجلات الامامية حافته البعيدة ، ولكن العجلات الخلفية غاصت فى الاوحال وضغط جون على صمام البنزين ليزيد من سرعة السيارة ٠ ولكن العجلات كانت تزداد غوصا فى الحفرتين اللتين صنعتهما فى أوحال المنخفض ، كلما حاول جون ان يزيد من سرعة دورانها

وأخيرا استقرت السيارة على عمود المحاور « الدفرنسيال » فوق حافة المنخفض الامامية ، وتعطلت تماما عن الحركة

وأوقف جون المحرك وهبط منها ، ولكنه اختلس النظر الى بمبلز فرآه يحملق فيه مدهوشا ، فأدرك ان الفتى عرف ما كان ينبغى أن يفعل جون فى مثل الحالة ، عرف أن من البديهيات الا يزيد الانسان من سرعة دوران العجلات فى مثل هذه الظروف ، لان السرعة تزيد من غوصها فى الاوحال ٠٠

والواقع أن جون ، وهو مستغرق فى عمله ، كان قد نسى وجود بمبلز بالقرب منه ، ولكن حسنا ، انه لن يصدق بطبيعة الحال انه تعمد تعطيل السيارة فى هذه البقعة النائية ، وحتى لو خطر بباله شىء كهذا ، فما هو الدليل ؟

وأسرع فان برانت الى جون وهو يكاد يختنق من الغضب وقال له بصوت كالفحيح وقد أخذ يلوح بقبضة يده فى وجهه :

ـ اذن فقد فعلتها وأوقعت بنا هنا ؟ أنا كنت أعرف أنك ستفعل هذا بحق السماء ، والآن كيف سأحضر الى المحكمة غدا ؟ كيف

ستخرجنا من هذا المأزق ؟

فأبعد جون يد العجوز عن وجهه ، وقال له آمرا :

ـ كفى صياحا ، وعـــد الى مقعدك ، والا فلن تزداد الامور الا ســـوءا

وبعد أن دار جون حول السيارة ، عاد الى الركاب وقال لهم :

ـ انني آسف أيها السادة ، وأرى أن عليكم الانتظار هنـــا بعض الوقت ، وأرجو أن تتذكروا بأنكم انتم الذين اخترتم هذا الطريق

فقال فان برانت :

ـ إنني لم أوافقهم على اختيار هذا الطريق

فصاح به جون بصوت راعد :

ـ انني لا أريد أن أسمع منك كلمة أخرى والا فقدت عقلي ، لاني على وشك أن أفقده فعلا

وأدرك العجوز أن جون كان جادا في هذه المرة ، لا سيما حـــين رآه يقبض راحتيه بعنف وقد برزت عضلات ساعديه بوضوح

وعاد جون يقول بصوت حاول أن يجعله هادئا :

ـ ان علي الان أن أمضي الى أقرب تليفون لاستدعاء سيارة نجدة ، وسوف أطلب أيضا ارسال سيارة مأجورة تحملكم الى سان جـــوان دي لا كروز . ولن يستغرق هذا كله أكثر من ساعتين أو ثلاث

وهنا قال فان برانت بصوت هادىء :

ـ ان أقرب مكان مأهول يقع على مسافة اربعة أميال ، ويوجد على مسافة ميل واحد بيت آل هوكنز ، وهو بيت قـــديم مهجور منذ أن استولى بنك أمريكا عليه ، وعلى المزرعة . ومن ثم عليك أن تمضي الى الطريق الزراعي العام ، وأقرب منطقة منه تبعد عن هنا اربعة أميـــال

فهز جون كتفيه ، وقال :

ـ اذا لم يكن مندوحة من الذهاب ، فيجب أن أذهب

ثم أردف قائلا ، وهو ينظر الى السماء :

ـ وعاصفة الامطار قد أوشكت أن تنقطع تماما

فقال بسيلز وقد أخذته نوبة من المودة والاخلاص :

ـ دعني أذهب بدلا عنك يا مستر شيكو

فضحك جون وقال .
ــ لا ياكيت ، ان هذا يوم اجازتك ، ويجب أن تستمتع بها
ثم أردف قائلا للركاب :
ــ ان في مخزن السيارة صندوقا به مجموعة من الفطائر ، ويمكنكم اذا شعرتم بالجوع أن تأكلوا منها كما تشاءون . وكذلك توجد زجاجة ويسكي ومسدس في الخزانة الامامية . وقد ينفع المسدس اذا هاجمكم نمر أو شيء من هذا القبيل
وقالت كاميليا .
ــ الواقع أنني أشعر بالجوع
فقال جون وهو يسلم المفاتيح ليمبلز :
ــ احضر لها بعض الفطائر ، ولكن ترفق بنفسك يا ولدي فلا تأكل الكمية كلها . أما انتم أيها السادة فيمكنكم أن تبقوا في السيارة أو تهبطوا منها وتستريحوا في بعض الكهوف هنا . بل يمكنكم أن توقدوا نارا اذا وجدتم بعض الخشب الجاف

واستدار جون وسار بضع خطوات ، ثم عاد والتفت ولوح بيده للركاب ، ثم استأنف السير وراح يهبط من التل يمينا حتى وصل الى حافة النهر الملتوى ، ثم سار عبر مزرعة قديمة مهجورة كانت رائحة النباتات الجافة والمتعطنة تشيع في جوها .

ورأى من بعيد بيت آل هوكنز الخالي المهجور ، فأسرع نحوه بخطوات واسعة ، وهناك وجد البيت متداعيا ، فحطم الابواب والنوافذ ممزق الاوراق التي تكسو الجدران ، ملىء باكداس من الغبار والاتربة وبعد أن جاس في غرفاته قليلا مضى الى المخزن القريب منه ، أنه مخزن الحاصلات الزراعية . وكان أيضا خاليا الا من كومة من التبن في نهايتـه

وفيما كان جون يتقدم نحو هذه الكومة ، والجرذان تفر أمامه مذعورة في كل مكان ، إذا به يشعر فجأة بالتعب يتسلل الى كل جسده ، واذا هو يرقد على كومة التبن ثم يقول لنفسه :
ــ انني لم أعد شابا كما كنت . !

وتراخت عضلاته المتوترة ، وأغمض عينيه . وبدأت أنفاسه تنتظم وأطلت الجرذان من جحورها وقد أدركت من أنفاسه المنتظمة أنه نام!

لحظات عزام

أخذ الركاب يشيعون جون بنظراتهم حتى اختفى تماما ، وعندئذ قال المستر بريكارد :

ـ ترى كم سيستغرق من الوقت حتى يأتي لنا بسيارة أخرى ؟

ففرك فان برانت يديه وهو يعتدل في جلسته وقال :

ـ لا اقل من ثلاث ساعات

وقالت المسز بريكارد لزوجها في لهجة عتاب :

ـ كل هذا بسبب اصرارك على السفر بواسطة هذه السيارات العجفاء · لقد كان ينبغي أن نركب القطار الفاخر من شيكاغو إلى لوس أنجلوس رأسا

ثم أردفت قائلة وكأنما أرادت أن توضح للجميع السر في سفرها مع زوجها عن هذا الطريق :

ـ ولكنك أردت أن تتخذ هذا الطريق لكي تتفرج على اكبر عدد من الاماكن والاشخاص كما تقول · فهل شبعت الآن فرجة ؟

ـ لا داعي لهذا العتاب الآن يافتاتي الصغيرة !

فردت قائلة في غضب مفاجيء أدهش ابنتها ميلدرد :

ـ هكذا أنت دائما ·· لا تطيق أن يعاتبك أحد على أخطائك . انك انت الذي دبرت أمر هذه الرحلة التي سوف تكلفك أكثر من خمسة آلاف دولار بينما تعرف أني أكاد أموت شوقا الى بيت نبات زجاجي في الحديقة لانبات زهور الاوركيد

ـ وهكذا انت دائما أيضا ، لا تفكرين الا في رغباتك ونزواتك ، انك تفضلين بيت نبات زجاجي على أن استمتع بأول اجازة طويلة أنالها منذ سنوات و ...

وهنا تدخلت ميلدرد بين أبويها وهى تكاد تنفجر من فرط الشعور بالعـــار :

ــ كفي يا أبى ، وأنت يا أماه ، هذا لايليق أمام الغرباء ٠٠

فهتف بها والدها قائلا :

ــ لا تتدخلي فيما لا يعنيك يا ميلدرد ، ولعلك لا تعرفين اننى لم أفكر في هذه الرحلة الا اكراما لك ٠ أما أنا ، فقد كنت أفضـــل أن استمتع باجازتى فى الراحة ولعب الجولف

ونهضت ميلدرد واقفة وقالت لامها بعنف حين رأتها تهم بالحديث في غضب :

ــ أماه ، كفي شجارا ٠ ماذا دهاك انت وابى ؟ ان هذه أول مـرة اسمعكما تتشاجران فيها خارج غرفة النوم ٠ اذا لم تكفا عن هـــذا فسوف أغادر السيارة لاقوم بجولة فى المنطقة

فقالت لها أمها :

ــ اذهبى ، اذهبى كما تريدين ، انك لا تفهمين شيئا

فتناولت ميلدرد معطفها الواقي من المطر وارتدته وقالت :

ــ اننى ذاهبة الى الطريق العام

فقال فان برانت :

ــ انه يبعد أربعة أميال عن هذا المكان

وتناولت المسز بريكارد منديلها المعطر ووضعته على انفها وفمهـا بينما قالت ميلدرد لها :

ــ تمالكي أعصابك يا أماه ، انني أعرف ماذا ستفعلين بعد قليـل سوف تشكين من ذلك الصداع الرهيب وتعاقبيننا جميعا بآلامــك وأوجاعك ٠٠ صداعك هذا المزعوم !

وكان بمبلز ينظر مدهوشا الى ما يجرى أمامه ، أما المسز بريكارد فقد قالت في استنكار وهى تحملق بفزع الى ابنتها :

ــ ويحى ! اتعتقدين أننى أدعى الاصابة بذلك الصداع ؟

ــ لقد بدأت أعتقد هذا ، لان نوبات هذا الصداع لا تأتى ، كمـــا لاحظت ، الا في الاوقات المناسبة ٠٠ المناسبة لك !

فصاح المستر بريكارد قائلا :

ــ ميلدرد ، كفى هذا

ـ انني ذاهبة

ـ وأنا أمنعك ؟ !

ـ لا ، انني قد بلغت سن الرشد ولا يستطيع أحد أن يتحكم في تصرفاتي

ثم هبطت من السيارة ، وسارت بخطوات سريعة الى منحدر التل ، ولم تلبث ان اختفت

وصاحت المسز بريكارد قائلة في جزع :

ـ اليوت ، اسرع وراءها ، لا تدعها تمضي بمفردها ، ربما ..

فربت المستر بريكارد يد زوجته وقال مترفعا :

ـ لا تخافي ، ان ميلدرد تعرف كيف تتصرف كما ينبغي ، ويبدو أن أعصابنا جميعا متوترة الى حد كبير ..

فتأوهت المسز بريكارد وقالت :

ـ أوه ، اليوت ، لو أنني فقط استطيع أن أرقد قليلا . انها تعتقد أنني أزعم الاصابة بالصداع ، انني على استعداد لان أقتل نفسي اذا كان صداعي مزيفا . أوه اليوت ، ألا من مكان أستطيع أن أرقد فيه قليـــلا

وهنا قال بمبلز :

ـ ان لدينا في مخزن السيارة مجموعة من المشمعات الكبيرة التي نستخدمها أحيانا في تغطية البضائع فوق سقف الســـيارة ، ومن الممكن ان تأخذي واحدا منها وتفرشيه في أحد الكهوف وترقدين عليه في أمـــان

فقال المستر بريكارد :

ـ هذه فكرة مدهشة .

فقالت المسز بريكارد بلهجة احتجاج :

ـ أتريدني أن أرقد على ارض رطبة قديمة ؟ لا ، لا أستطيـع .

فقال زوجها :

ـ لا يا فتاتي الصغيرة الحبيبة ، لسوف ترقدين على المشـــمع ، وسوف أعد لك سريرا لطيفا صغيرا ، يناسب صـــغيرتي اللطيفة ، أتعرفين ماذا سأفعل ؟ !

فلما رفعت عينيها اليه متسائلة ، أردف قائلا :

ـ سأطوى معطفك الفراء وأجعله كالوسادة تحت رأسـك ، ثم أغطيك بمعطفى الكبير الواقى من المطر .. إنتظرى لحظة حتى أعد لك هذا الفراش

وقال بميلز :

ـ لقد طلب المستر شيكو أن أحرج صندوق الفطائر . انها فطائر طازجة وشهية جدا ، وفى مقدور كل منكم أنه يأكل ما يشاء منها ، وأنا شخصيا لا أجد مانعا الآن فى اكل فطيرة كاملة

فقال له المستر بريكارد :

ـ لا بأس ، ولكن هلم نخرج المشمع الآن

وتعاون الاثنان على حمل صندوق الفطائر من مخزن السيارة الخلفى ، وعلى اخراج مشمع كبير . وفى خلال هذا قال أرنست هورتون :

ـ لسوف أمضى وأفحص هذه الكهوف

وهبط من السيارة وتبعه فان برانت . وكانت المسز بريكـارد معتمدة برأسها على مسند المقعد ، وقد أغمضت عينيها وراحت تفكر ـ باستتكار شديد ـ فى هذا الخلاف الذى نشب بينها وبين زوجهـا أمام الغرباء . ولكنها ، مع هذا ، أحست بشىء من الراحة ، لانهـا استطاعت أخيرا أن تصارح زوجها برغبتها فى انشـاء بيت نبات زجاجى ، كالذى أنشأته صديقتها ايلين ، حيث تستطيع انبات زهور الاوركيد النادرة ، التى راحت تتعلم طريقة انباتها سرا

ولكن الذى يقلقها الآن هو أنها تركت هذه الرغبه تفلت من لسانها فى لحظة غضب ، وربما يؤدى هذا الى ان يتأخر تحقيق أملها ستة أشهر

وكانت تسمع وراءها نورما وكاميليا تتبادلان الحديث بصوت خافت وهما تحسبانها نائمة . وكانت نورما تقول لكاميليا :

ـ أن ما يدهشنى منك يا عزيزتى كاميليا هو قدرتك على وقف كل شخص يضايقك عند حده !

ـ ماذا تعنين ؟

ـ اعنى بميلز مثلا . لقد رأيت كيف أوقفته عند حده بمجـرد أن بدأ يضايقك ، والعجيب فى الامر أنك تفعلين هذا ببساطة لا تجرح

كبرياء أحد . ثم هناك صاحبنا الآخر . مندوب الشركة ، انك تعاملينه ببراعة وكأنه طفل صغير . انني أتمنى لو أعرف كيف تفعلين هـــذا

وشعرت كاميليا بالسرور ، وأدركت أنه من الممتع ان يكون الانسان موضع اعجاب الغير ، حتى لو كان هذا الغير حجر عثرة في الطريق . وتساءلت في نفسها : ترى هل أخبرها الآن انني لست ممرضة ، وانما انا فتاة استعرض جمال جسمي في حفلات خاصة أمام جمهور من عجائز الرجال ، وانني في أكثر الاحيان التقط رزقي بطريق ابعد ما يكون عن الشرف ! لا ، لا ، انني لا أريد أن اصدم هذه الفتـــاة الغريرة وافقد اعجابها الشديد بي

وعادت نورما تقول :

ــ ومما يضاعف اعجابي بك أنك لا تثورين ولا تسبين أو تسخطين، ومع ذلك لا يجرؤ احد ان يلمسك باصبعه

فضحكت كاميليا وقالت :

ــ انني لم الاحظ هذا كله عن نفسي ، ولعله أن يكون جزءا من طبيعتي . الا انني اعرف صديقة هي أقدر مني في معاملة الرجال . . انها تستطيع أن تظفر من اي رجل بأي شيء يعجبها . . ولكنها ، في النهاية تدفع الثمن !

فحملقت نورما بعينيها في اندهاش وقالت :

ــ ثمن ! اي ثمن ؟

ــ ثمن ما تحصل عليه يا عزيزتي . فليس في هذا الوجود شيء يعطى بلا مقابل ، ولكن صديقتي هذه يحلو لها أن تتدلل على صاحبها وتغويه وتثيره حتى يبلغ حد الانفجار ثم اذا هي تستسلم له بوداعة

وأحست المسز بريكارد في تلك اللحظـة ،لاول مرة في حياتهـا ، بدبيب الرغبات الجنسية يسري في عروقها ، فزادت من اغماض عينيها وقالت لنفسها :

« ياالهما من فتاتين سوقيتين ! لاشك انهما من فصيلة الحيوانات البهيمية ، ترى أهؤلاء هم الاشـــخاص الذين أراد اليوت أن يتعرف بهم أثناء الرحلة »

وفجأة أخذت تكتب في ذهنها الخطاب الثالث الى صديقتها ايلين تصف لها ما حدث ، وانها سمعت حديثا من فتاتين سوقيتين لاينبغي

ذكره فى هذا الخطاب

سارت ميلدرد بخطوات سريعة في نفس الطريق الذى سار فيـه جون ، ولكنها لم تكن تدرك هذه الحقيقة فى أول الامر ، اذ كانت مشغولة بافكارها التى كانت تتزاحم فى رأسها فى تلك اللحظة

لقد شعرت مرة أخرى بهذا السأم العميق الذى طالما اثقل عليها بسبب هذه الحياة الرتيبة مع والديها . . لشد ما تهفو الى لون آخر من الحياة ، انها تريد أن تتزوج ، وان ترضى بالزواج هذه العاطفة الحادة المشبوبة التى طالما الهبت دماءها والتى كثيرا ما جعلتها تشعر بالنفور من نفسها . ولكنها حتى الآن لم تجد الزوج المناسب الذى يرضيها . ثم ها هى ذى الرحلة الى المكسيك ؟ وماذا بعدها ؟ ماذا لو انها الآن سارت حتى وصلت الى الطريق العام ، ومنه تستقل سيارة الى احدى المدن الصغيرة حيث تختفى فترة من الوقت . ان احدا لن يستطيع ان يرغمها على العودة ، حتى والديها ، لانها تجاوزت الواحدة والعشرين من عمرها ، وقد اصبح لها ،من الوجهة القانونية، حرية التصرف بنفسها فى حدود القوانين والتقاليد والعرف

انها لا تنكر أن اباها كان كريما معها على طريقته . ولكن أباها قد نسى أن فى مقدورها مثلا أن تكتسب رزقها بالعمل ، وأن فى مقدورها أيضا أن تواصل دراستها الجامعية حتى تتخرج . ثم . . ثم ماذا بعد ذلك ؟

وتناولت نظارتها ، ومسحت قطرات ماء المطر عنها بمنديلها ، ثم أعادتها وراحت تنظر الى الارض الموحـــلة حتى تتجنب الخوض فى احدى الحفر المتناثرة حولها ، وعندئذ لمحت آثار أقدام أمامها ، ولم تلبث ان ادركت ، من طبيعتها ، انها اقدام جون ، سائق السيارة . وهنا تحولت كل أفكارها اليه وهى تحرص على المسير وراء هذه الآثار

ورفعت عينيها الى الافق ، ولمحت البيت المهجور على مسافة قريبة ، ورات آثار الاقدام تتجه اليه ، فمضت نحوه وقد رفت على شفتيها ابتسامة غامضة

وعندما اقتربت من البيت ، أدركت من اتجاه الآثار أن جون شيكو

لم يخرج من منطقة البيت المهجور ، ومن ثم تساءلت في نفسها : ماذا يفعل هنا وكان المفروض انه ماض الى الطريق العام لاستدعاء سيارة نجدة وارسال سيارة مأجورة لنقل الجميع الى سان جوان دى لاكروز !

ومضت ميلدرد تجوس خلال غرفات البيت المهجور ، حتى اذا أيقنت أن جون ليس في اية حجرة به ، خطر ببالها الذهاب الى مخزن المحصولات ، فلما سارت في اتجاهه ، لاحظت آثار اقدام جون مطبوعة على الطين في نفس الاتجاه ، ومضت الى باب المخزن المفتوح وهى تحس بالدماء تجرى في عروقها ملتهبة ، ثم وقفت عند الباب وراحت ترهف السمع ، وخطر لها ، عندما لم تسمع صوتا ، أن تنادى عليه ، ولكنها آثرت أن تفاجئه ، فسارت ببطء حتى وصلت الى كومة التبن في نهاية المخزن ، وكانت الجرذان التى الفت وجود جون ، قد اخذت مرة أخرى تفر مذعورة الى جحورها أمام هذا الوافد الجديد . ورأت جون راقدا على ظهره وقد عقد يديه تحت رأسه ، واغمض عينيه ، وبدا من رتابة أنفاسه انه مستغرق في النوم

وقالت لنفسها :

ـ يمكنني أن أعود أدراجي الى السيارة الآن ، فليس هنا من يبقيني رغما عني ، واذا بقيت فسوف اكون أنا المسئولة عما يحدث ؛ وينبغي أن أتذكر هذا جيدا . انه الآن انسان في حاله ! ولكن ، ما هذا اللغو الفارغ ؟!

ورفعت النظارة عن عينيها ووضعتها في جيبها . اذ كان في مقدورها أن ترى جون بوضوح على هذه المسافة القصيرة ، وتقدمت ببطء وحذر نحو كومة التبن ، ثم ثنت ساقيها تحتها وجلست تحملق النظر اليه ، وتتأمل وجهه الاسمر القوى ، وصدره العريض الذى كانت عضلاته تبدو بوضوح تحت السترة المبللة الملتصقة به ، ثم قالت لنفسها :

ـ يبدو أنه شعر بالتعب ، فرقد هنا ليستريح برهة ، ومن ثم لا ينبغى أن اوقظه

وكرت بذهنها الى ركاب السيارة ـ ماذا لو أنها لم تعد مع جون اليهم ؟ ماذا سيفعلون عندئذ ؟ أن امها ستقع مغشيا عليها ، وان

أباها سيبرق الى حكام الولايات فى هذه المنطقة . وربما لجأ الى ادارة المباحث العامة . ولا شك أن الدنيا ستقوم وتقعد بسبب اختفائها مع سائق سيارة عامة ، ولكن ماذا فى وسعهم جميعا أن يفعلوا ؟ انهم حين يعثرون عليها سوف تقول لهم « ما شأنكم بى ، اننى فى الواحدة والعشرين من عمرى ، ومن حقى أن أتصرف بحياتى كما أشاء » ثم كيف يكون الحال لو أنها صحبته الى المكسيك ؟ ‥ ان الرحلة عندئذ ستكون خالية تماما من كل أسباب الضيق والسأم !

وعادت ميلدرد تطوف بنظراتها على جسم جون كله ، حتى اذا وقعت عيناها على وجهه ، فوجئت به ينظر اليها بهدوء ٠ وقد بدت عيناه متألقتين ، لا أثر للنوم فيهما . أى انه على الارجح لم يكن نائما منذ دخلت المخزن !

ووجدت نفسها تقول وكأنما تشرح له موقفها :

ــ كنت فى حاجة الى أن أتمشى قليلا بعد طول الجلوس فى السيارة٠ وقد خطر لى فى أول الامر أن أمضى الى الطريق الزراعى العام لالتقى باحدى السيارات الخاصة أو العامة ، ولكننى حين لمحت هذا البيت القديم المهجور ، عرجت عليه بدافع من الفضول ٠ وأنا بطبيعتى أحب الأماكن القديمة

ولم يجب جون عليها بشىء . وانما ظل يجيل نظراته على وجهها ، ثم راح ببطء شديد يستدير قليلا ليرقد على جانبه فى مواجهتها وقد اعتمد برأسه على يده

ورأت بريقا خاطفا يومض فى عينيه ، وأحست أنه ليس ثمة مهرب من نطاق نظراته الآسرة التى ذكرتها بما قرأت عن نظرة الافعى للطائر الصغير

وفجأة سألته قائلة :

ــ ماذا تفعل هنا ؟

فانفرجت شفتاه قليلا ثم سألها بدوره :

ــ وأنت ، ماذا تفعلين هنا ؟

ــ لقد قلت لك السبب ٠ كنت فى حاجة الى رياضة المشى ٠ ألم أقل هذا ؟

ــ أجل ، قلت

ـ والآن ، ماذا تفعل أنت هنا ؟

فهز كتفيه وقال فى غير مبالاة :

ـ أنا ؟ أوه ، لقد جلست لاستريح ، ويبدو أن النـوم غلبنى على أمرى ، لاننى لم أنم أمس كما ينبغى

ورأت أن عليها أن تستمر فى الحديث اذا أرادت أن تجعل الموقف بينهما طبيعيا :

ـ نعم ، أذكر ٠ولكننى مندهشة منك ! لانى أرى أنك لست بالرجل الذى يكتفى بقضاء حياته فى هذه المنطقة المنعزلة ، والذى تمر أيامه متشابهة فى قيادة سيارة عامة ذهابا وايابا ، بلا انقطاع ٠ ان مكانك الحقيقى يجب أن يكون فى مجال آخر

فقال باسما ليجاريها :

ـ مثل ماذا ؟

فقالت فى شىء من الاضطراب :

ـ أتعرف أن فكرة طريفة طرأت على ذهنى وأنا اسير الى هنا ؟ لقد ظننت أنك تركت السيارة وانطلقت الى حياة أخرى جديدة ، فى ٠٠ فى بلاد أخرى مثل المكسيك

فرمقها بنظرة طويلة حادة وقال :

ـ هل فقدت الصواب ؟ ما الذى جعلك تفكرين فى شىء كهذا ؟

ـ هذا ما خطر لى فقط حين شعرت أن حياتك هنا لابد وأن تكون مليئة بالضجر والركود بعد أن عشت جزءا منها فى بلاد المكسيك

ـ هل عشت فى المكسيك من قبل ؟

ـ لا

ـ اذن فانت لاتعرفين مدى ما فى الحياة هناك من سأم وركود

ـ أحقا ؟ !

ورفع رأسه قليلا ثم قال :

ـ ما رأيك فيما قد يحدث للذين تركناهم فى السيارة ؟

ـ أوه ، انهم سيدبرون أمورهم بطريقة ما ٠ والطـريق الزراعى العام ليس بعيدا عنهم ، وهم على الاقل لن يموتوا جوعا

ـ وما رأيك فيما قد يحدث لزوجتى ؟

فقالت فى ارتباك :

ـ أوه ، لقد فاتني التفكير في أمرها
ـ لا بل فكرت في أمرها . انك لاتحبينها ، وسأقول بصراحة ،أنه لايوجد من يحبها غيري

ثم ابتسم وقال :

ـ ومن الاسباب التي تجعلني أحبها أنه لايوجد أحد يحبها أبدا
ثم قال لنفسه « يالك من كذاب كبير ! »

وقالت ميلدرد :

ـ لقد كانت مجرد خاطرة حمقاء ! بل لقد فكرت أيضا في أن أهرب أنا أيضا من حياتي . فكرت في الاختفاء والحياة بمفردي وعدم رؤية أي شخص من الذين سبق أن عرفتهم

ثم نهضت قليلا وظلت معتمدة بجسمها على ركبتيها حتى جلست على الجانب الآخر ، ونظر جون الى ركبتيها العارية ، ثم مد يده وجذب طرف الثوب عليها . وجفلت هي عندما رأت يده تمتد ، ثم لم تلبث أن هدأت وتراخت أعصابها

وقالت له :

ـ انني لا أريد منك أن تظن انني تبعتك الى هنا
ـ انك لاتريدين أن أظن هذا ، ولكنك في قرارة نفسك تريدين
ـ حسنا ! وماذا لو أني أريد ؟

فمد يده مرة أخرى وأراحها على ركبتها، وجعل الدماء الحارة تشتعل في وجهها ، ثم اذا هي تقول وقد جف ريقها :

ـ لاتظن أن الامر يهمك أنت ، وانما يهمني أنا . بل انني لا أحبك، فان لك رائحة كرائحة الخراف !

وتهدج صوتها قليلا وهي تستطرد قائلة :

ـ انك لاتعرف نوع الحياة التي أحياها ! انني أعيش في عزلة ، انني لا أستطيع أن أقول لاحد ، أيا كان ، أي شيء

وأردفت قائلة وهي تشعر أنها غارقة في محيط نظراته المتوهجة :

ـ وأنا ربما لا أكون كغيري من الناس . فمن أين لي أن أعلم ؟ولكن لست أنت الذي اريد ، بل انني لا أشعر بأي حب لك

فقال جون بهدوء :

ـ إسمعي . انك تعذبين نفسك كثيرا بهذا الجـــدل الاجوف ..

أليس كذلك ؟

فسألته قائلة على حين غرة :

ـ ماذا تنوى أن تفعل لاولئك الذين تركناهم فى السـيارة . ألن تستدعى لهم سيارة انقاذ ؟

فضغط على ركبتها بيده برهة ، ثم رفعها وقال :

ـ لسوف أعود الى السيارة وأخرجها من الحفرة

ـ اذن لماذا جئت الى هذا المكان ؟

ـ هذه مشيئة القدر . فلو لم يكن هذا المخزن قائما هنا ، لكنت الآن فى طريقى الى مدينة سان دييجو على الحدود

ـ ومتى سنعود السيارة ؟

ـ فى أقرب وقت

ونظرت الى يده المعتمد بها على أرضية المخزن ، ثم قالت له :

ـ ألن تنوى أن تراودنى عن نفسى ؟

فاتسعت الابتسامة على شفتيه ، وازداد البريق توهجا فى عينيه، ثم قال :

ـ نعم ، أظن هذا . ولكن بعد أن تفرغى من هذا الجـدل الاجوف الذى تديرينه مع نفسك . وأنت الآن فى مفترق الطرق ، ويمكنك أن تقررى أى طريق تختارين ، وســوف أكون تحت أمرك فى الطريق الذى يقع عليه اختيارك

ـ ألا .. ألا تشتهينى ؟

ـ اننى اشتهيك بكل تأكيد

ـ اذن فأنت لاتريد أن تتعب نفسك فى مراودتى عن نفسى لانك واثق بأنى سأقع بين ذراعيك فى النهاية بلا أى مجهود !

ـ أوه ، أرجو ألا تحشرينى فى جدلك مع نفسك . اننى أكبر منك سنا ، وأنا أشتهيك تماما وأتمنى أن تكونى بين ذراعى حالا . ولكننى تعودت بطبعى على الصبر ، ولاسيما فى هذه الامور ، لانه كلمـا طال الصبر عليها ازدادت حلاوة

فلوت شفتيها وقالت

ـ كان يجب أن اكرهك جدا ، لانك تحرمنى من كل كبرياء ، انك لا تتيح لى الفرصة لكى أشعر بأنى قاومتك ، ولو قليلا ، على الافـــل

ـ لقد ظننت أني احترم كبرياءك عندما تركت لك حريةالاختيار

ـ هذا تفكير عقيم ..

ـ عجبا ! ان النساء في بلادي هكذا أيضا . لايستسلمن الا بعد الرجاء أو المقاومة

ـ وهل أنت هكذا دائما مع جميع النساء ؟

فهز كتفيه وقال

ـ لا . وانما معك الآن فقط . لقد قلت إنك جئت الى هنا لشيء آخر وانك لاتحبينني ولاتريديني

فنظرت الى أصابع يديها وقالت في اندهاش .

ـ ما أعجب هذا ؟ انني فتاة من اللاتي يقال عنهن مثقفات ، عصريات ، مطالبات بالمساواة مع الرجال . وقد قرأت كثيرا . وأنا لست عذراء ، كمعظم الفتيات في هذه البلاد . ومع ذلك فلا أستطيع أن أكون البادئة في الغزل معك

ثم ابتسمت وقالت بسرعة .

ـ ألا تستطيع أن تجعلني أقاوم ولو قليلا ؟

فمد ذراعيه ، وألقت بنفسها بينهما وهي تقول :

ـ هل ستحتقرني فيما بعد أم ستسخر مني ؟

فهز كتفيه وقال :

ـ وماذا يهمك ؟ !

فتمتمت قائلة .

ـ ان هذا الامر يهمني جدا . لاني لا أحب أن أكون موضع سخرية أو احتقار من أسلمه نفسي بهذه السهولة .

ـ أوه .. انك تتحدثين اكثر مما ينبغي

ـ هل .. هل سنهرب معا .. ربما إلى المكسيك ؟

ـ لا . والآن ، دعيني أذق طعم شفتيك



الثوب الممزق

بعد أن أخرج بمبلز والمستر بريكارد صندوق الفطائر وأحد المشمعات من المخزن ، أراد الشاب أن يبدأ أولا عملية الاكل ، ولكن بريكارد قال له :

ـ يجب أولا أن أعد المكان المناسب لكى تستريح زوجتى

وحملا معا المشمع الى أحد الكهوف • وبعد أن اطمأن الى نظافة المكان ، رأى فان برانت وأرنست هورتون يدخلانه ، فقال لهما معتذرا :

ـ لسوف ترقد هنا زوجتى لتستريح ، وأعتقد أن الكهفين الآخرين لايقلان عن هذا اتساعا ونظافة

فابتسم ارنست وقال :

ـ ان الانسان يستطيع أن يعيش هنا أسابيع اذا وجد ما يأكل

فقال فان برانت :

ـ عش أنت هنا ما تشاء ، أما أنا ، فسوف أسير الى الطريق العام فى الصباح الباكر اذا لم يعد ذلك السائق اللعين فى الوقت المناسب• ان لدى أعمالا هامة يجب أن انجزها غدا

وقال بمبلز :

ـ مارأيكم أيها السادة فى فطيرتين نقتسمهما فيما بيننا ؟

فقال أرنست هورتون :

ـ هذه فكرة سليمة جدا

ـ أى نوع تحب ؟

ـ فطيرة من النوع المحشو بالمربى اذا أمكن

ـ حسنا جدا

وعاد المستر بريكارد الى السيارة حيث وجد زوجته لاتزال مغمضة عينيها ، فقال لها :

ـ لقد أعددت لك مرقداً طيبا أرجو أن تستريحى فيه

ففتحت عينيها وتلفتت حولها فى شىء من الدهشة ، فقال لها :

ـ هل كنت نائمة ! اننى آسف • ما كان ينبغى أن أزعجك

ـ لا لا يا عزيزى ، اننى بخير

وساعدها على الهبوط من السيارة فى رفق جعلها تقول معتذرة :

ـ اننى آسفة ياعزيزى على مابدر منى !

ـ لا عليك يافتاتى الصغيرة ،لقد كنت فقط متعبة متوترةالاعصاب• وأنا أعرف أنك لم تكونى تعنين كلمة واحدة مما قلت

وعندما سار معها نحو الكهف ، قال :

ـ لسوف أقدم لك عشاء فاخرا مع الشمبانيا فى مطعم رومانوف الفاخر بهوليوود .

وراحت كلمات الرسالة الرابعة التى ستكتبها لصـديقتها ايلين تتزاحم فى ذهنها : « وفى هوليوود ، دعانى اليوت الى عشاء فاخر فى مطعم رومانوف الذى يتردد عليه أشهر نجوم السينما •• فهل تعلمين من كانت على المائدة المجاورة ، إنها الكوكب •• »

وفى داخل الكهف ، تلفتت المسز بريكارد حولها بعد ان اعتادت عيناها على الظلام ، ثم قالت قبل ان ترقد على الفراش الذى أعـده لها زوجها :

ـ هل انت واثق بأنه لاتوجد فيه أفاع أو عناكب ؟ !

ـ لا لا يا عزيزتى ، لقد تأكدت من هذا ، اطمئنى • والانارقدى وسوف أضع عليك معطفى الكبير

ولما اطاعته ، قال :

ـ والان كيف حال فتاتى الصغيرة ؟

ـ على خير ما يرام

ـ سأتركك الان لتستريحى ، ولن يزعجك احد بالدخـول لانى لمحت للاخرين بأن هناك كهوفا اخرى يمكنهم الاسـتراحة فيها اذا شاءوا . واذا أردت شيئا فيمكنك أن تنـادى على • هل آتى لك بقطعة فطير ؟

ـ لا ، ليس الان ، شكرا

وغادر المستر بريكارد الكهف حيث رأى ارنستهورتون جالسا في الجانب الاخر من التل ، الجانب المطل على الوادى ، وكان مدخل الكهف الثالث فوق رأسه مباشرة ، وفيما كان المستر بريكارد يقترب منه ، تناول ارنست جانبا من الصحف التى كان يفترشها تحته ، وأعدها لجلوس بريكارد بجانبه وهو يقول له باسما :

ـ ان هذه الصحف مفيده جدا ، يمكنك أن تفعل بهـا كل شيء الا أن تقرأها

وضحك المستر بريكارد ، وجلس بجانب هورتون ، وراح يتبادل معه الحديث الذى لم يستمر غير لحظات معدودة نهض بعدها هورتون لينصرف الى مكان آخر ، وهنا قال له بريكارد :

ـ يبدو انك متوتر الاعصاب يا مستر هورتون

فارسل ارنست ضحكة جافة وقال :

ـ ومن منا هادىء الاعصاب ؟ اننا جميعا يا سيدى في حالة عصبية سيئة رغم محاولاتنا لكي نبدو هادئين طبيعيين في تصرفاتنا

وراح بريكارد يشيع الشاب بنظراته وهو يقول لنفسه في أسف :

ـ يبدو أن الحرب تركت طابعها على أعصاب هذا الشاب الموهوب

ثم وجد نفسه يفكر فجأة في الشقراء الفاتنة كاميليا : انه موقن بأنه سبق أن رآها من قبل . ولكن أين ؟ لو أنه فقط استطاع أن ينفرد بها لحظات ، اذن لعرف أين ومتى رآها من قبل . وأكثر من هذا انه واثق بأنه لم يرها فقط ، بل يذكر أن رؤيته لها قد أشعلت النار في دمائه ، ولكن متى .. وأين ؟

ونظر الى السيارة المعطلة حيث لا يزال بها الفتاتان وبمبلز ، وأخيرا نهض ، وسار نحوها تحت مطر كان يتساقط رذاذا خفيفا جدا ، وكانت السماء قد أوشكت أن تصفو تماما ، وأشعة الشمس قد أخذت تتسلل من وراء ندف السحاب المتخلفة ، وصعد الى السيارة حيث رأى فان برانت راقدا على المقعد الخلفى الممتد بعرض السيارة كلها ، وكان يبدو عليه انه مستغرق في النوم . وكان بمبلز والفتاتان يتحادثون في خفوت حتى لا يزعجوه

وقال بمبلز عندما دخل بريكارد :

ـ ان ما اريده من الزوجة هو الاخلاص

فسألته كاميليا قائلة :

ـ ماذا عنك ؟ هل ستكون انت مخلصا ايضا ؟

ـ بالتأكيد ، اذا كانت من النوع الذى يعجبنى ، فسوف اكون مخلصا لها طبعا

ـ واذا لم تكن ؟!

ـ اه ، عندئذ اجعلها تندم وتدرك أن الخيانة لعبة يمكن أن يؤديها إثنان ، كما فعل كاري جرانت في ذلك الفيلم ..

وكان ثمة صحن حلوى من الورق القوى موضوعا بجانب بمبلز ، ولم يبق فيه غير ربع فطيرة ، وكان الغلام جالسا على مقعد أمام الفتاتين ومستديرا اليهما بجذعه الاعلى ، ومستندا بمرفقه على مسند المقعد

ونظر الجميع في وقت واحد الى المستر بريكارد حين قال فجاة :

ـ هل تسمحون لي بالجلوس معكم ؟

فقال بمبلز :

ـ أوه ، بالتأكيد ، تفضل بالجلوس . ما رأيك فى هذه القطعة الممتازة من الفطير ؟

وبعد أن قدم اليه ما تبقى من الفطيرة ، قالت كاميليا لبمبلز :

ـ وهل عثرت على فتاة إحلامك الآن ؟

ـ نعم ، تقريبا ، ولكنها .. ولكنها غبية بعض الشيء

ـ وهل هى مخلصة لك ؟

ـ بكل تأكيد

ـ كيف تعرف ؟

ـ أوه ، اننى لم .. أعنى ، اننى متأكد ، وهذا يكفى

فقال بريكارد مجاريا له فى الحديث :

ـ أعتقد أنك ستتزوج فى وقت قريب ، وستستقل بعمل خاص

ـ لا ، ليس الآن اننى أدرس بالمراسلة هندسة الرادار ، وأعتقد أن النجاح فى هذا النوع من الهندسة مضمون . أن واحدا من الذين درسوها ينال الان خمسة وسبعين دولارا فى الاسبوع

ـ أحقا ؟

وقالت كاميليا :

ــ وما هو الوقت الذى تعتقد أنه مناسب لزواجك ؟

ــ انه ليس قريبا على كل حــال ، فان على الواحد منا أن يرى بعض الشيء من هذا العــالم قبل أن يســتقر . يجب ان يكتسب بعض التجارب . وربمــا اشتغلت فى احــدى الســفن مهندســا للراديو والرادار

وسأله المستر بريكارد قائلا :

ــ ومتى ستفرغ من هذه الدراسة ؟

ــ أوه ، لسوف أبدؤها قريبا . لقد أعددت كل شيء ، وملأت الاستمارة ، وادخرت قيمة القسط الاول ، ونجحت فى الاختبــار لقد قالوا لى انني موهوب ...

وكانت عينا كاميليا تنمان عن التعب والملل ، وكان بريــكارد يختلس النظر اليها من وراء نظارته وهو مطمئن الى أنها لن تفطن اليه . وبعد أن تأمل وجهها الجذاب وصــدرها النــافر ، أحس كأنهــا نوع من العطر المثير الذى يفــعم النفس بالانفعــال واللهفة والشعور بالجوع الى الانثى . ورأى أن من النادر أن يلتقي انسان بفتاة من هذا النوع الذى يجمع بين الجمــال الباهر ، والجــاذبية المثيرة ، والوداعة الاسرة

وفجأة سمع نفسه يقول وهو لا يكاد يشعر انه بدأ الحديث :

ــ مس أوكس ، لقد كنت أفكر ، أعني أنه خطــر لي أنك قــد تريدين أن تسمعي عن فكرة عملية ربما تفيــدك . انني مــدير مؤسسة كبيرة ، وأعتقد أن صاحبتك لن تجد مانعا فى أن أتحدث معك على انفراد بضع لحظات بشأن هذه الفكرة العملية . فهــل تسمحين بالجلوس معي ، هناك على حافة التل ؟ ان هناك بعض الصحف التي يمكننا الجلوس عليها

وكان بريكارد مندهشا من حديثه هذا ، أما كاميليا فقد قالت لنفسها « أخيرا استسلم المسكين لنزواته ؟ »

وهبط المستر بريكارد من السيارة أولا ، وراح فى شهامة يساعد كاميليا على النزول ، وسار معهــا الى الصحف التى كان هورتون قد بسطها على حافة التل

وبعد أن جلست كاميليا وهى حريصة الا يبين من ساقيها شيء، جلس بريكارد بجانبهـــا ، وتنـــاول نظـارته وراح يمســحها ببطء ، ثم قال :

ــ اننى كنت افكر . . . اعنى أن رجلا فى مثل مركزى يجب أن يكون بعيد النظر ، وان يقدر لكل شيء موضعه مقدما

وقالت كاميليا لنفسها فى ضجر « أرجو أن يفرغ من هذا اللف والدوران بسرعة ، لان الارض من تحتى صلبة متعبة »

واستطرد المستر بريكارد يقول :

ــ والمعروف الان أن أهم ما تحتاج اليه المؤسسات الناجحـــة ، هي الطاقة البشرية الجيدة · ان فى مقدورنا الحصول على الصـلب الجيد ، وعلى المطاط الممتاز فى أى وقت ، ولكن العقول ، والمواهب، والطموح . . إنها طاقات من العسير الحصـول عليهـــا فى أى وقت أو حسب الطلب

فقالت كاميليا فى ضجر :

ــ اسمع يا أخينا ·· اننى متعبة جدا

ــ اننى أعرف يا عزيزتى ، ولسوف أصل الى جوهر الموضوع حالا . اننى أريد ان تعملى فى شركتنا ، هذا كل ما اريده منك ببساطة

ــ أى عمل ؟

ــ مضيفة مثلا فى اول الامر ، ويمكنك بعد ذلك أن ترتقى حتى تصبحى يوما ما سكرتيرتى الخاصة

وازداد شعور كاميليا بالضيق ، ثم القت نظرة على مدخل الكهف الذى ترقد فيه المسز بريكارد ، ثم قالت فى شيء من التهكم :

ــ وما رأى زوجتك فى هذا الاقتراح ؟

ــ عجبا ، وما شأنها هى بهذا ؟ انها لا تدير اعمالى ؟

ــ اسمع يا أخينا ! اننى متعبة جدا كما سبق ان قلت لك . وما كان يتحتم عليك ان تمهد بكل هذا الحديث الطويل لما تريد . اننى فتاة اتمنى الزواج ، واقسم انى ساكون من احسن واخلص الزوجات . ان كل ما اريده فى الحياة أن استقر ، وأن اعفى نفسى من الشعور بالقلق الدائم ، والجرى المتواصل وراء لقمة العيش . بل اننى فى سبيل الاستقرار ارضى بالحياة مع رجل . . ولو كان متزوجا !

فقال بريكارد :

ـ انني لا افهم ماذا تعنين ؟

ـ بل انك تفهم تماما . وانك ستشعر بالنفور مني لاني لا احاور وأداور في الحديث مثلك • انك تريد أن يستغرق الامر بيننا شهورا؟ وربما سنوات حتى أظل ارتقي الى أن أغدو سكرتيرة خاصة لك ، او أصبح عشيقة لك ، فلماذا كل هذه المحاورة والمداورة ؟ انني في حالة افلاس تام الآن ، وليس من طبيعتي الانتظار شهورا من أجل شيء يمكن الحصول عليه في أيام • وهناك أمر آخر مهم ، انك تقول أن زوجتك لا تدير اعمالك ، ولكنك مخطيء في هذا القول . ان زوجتك تدير كل شيء في حياتك ، بل انها تفكر لك ، ومن المحتمل انها هي التي تختار لك سكرتيراتك ، لانها سـيدة قوية الارادة حادة الذكاء . وانني آسفة ، لقد كنت أريد أن أكون لطيفة معك ، ولكنني أشعر بالارهاق والتعب الشديد.

ـ انني لا اعرف ماذا تعنين بحديثك هذا يا مس أوكس ؟

ـ بل انك تعرف ، أتريد الدليل على أن زوجتك هي التي تتحكم في كل شيء في حياتك ؟ من الذي اشترى لك ربطة العنق هذه ، أليست هي ؟ .

ثارت ثائرة المستر بريكارد وغص بريقه ، ثم قال متلعثما :

ـ نعم . نعم ، ولكن ..

ـ انتظر ! انها ستعرف كل شيء عني وعنك في لحظة . نعم . وأرجوك أن تدعني اتحدث معك بصراحة . انك تأبى أن تطلب من الفتاة التي تشتهيها ماتريد مباشرة ، وانما تفضل أن تحاور معها وتداور ، وأن تغريها بالعمل ، وتنتظر . ولكن الطـريقة العمليه يا اخينا هي انك اما ان تقع في غرامي فتطلق زوجتك وتتزوجني ، أو تستأجر لي مسكنا ، وتجرى على مرتبا شهريا ومعاشا مضمونا فيما بعد ، وليس هناك وضع ثالث لامر كهذا . لقد تجاوزت السن التي يمكن أن يخدعني فيها أمثالك !

فرفع بريكارد رأسه وقال بشموخ :

ـ اسمعي ، أن زوجتي لا تدير أعمالي ، من أين جئت بهـذه الفكرة ؟

ـ أوه ، دعك من المراوغة ! انني ارضى أن أدخل جحر مجموعة من الافاعي السامة لاواجهها عزلاء ، ولا أرضى أن أعيش مع زوجتـك ثلاثة أيام ، لان الافاعي السامة ستكون أرحم منها اذا هي كرهتني

ـ انني مندهش لموقفك هذا . فانا لم افكر في شيء من كل هذا ، وانما كنت أحاول فقط أن اعرض عليك عمـلا ، فاما ان تقبلي او ترفضي

ـ أوه ، اذا كنت تستطيع ان تخدع نفسك وتصدق هذا ، فالله سيكون في عون الفتاة التي تقع بين يديك ، انها لن تعرف ابدا حقيقة موقفك منها

فابتسم بريكارد وقال :

ـ انك متعبة الآن . وعنـدما تستريحين فربمـا استطعنا ان نستأنف الحديث في هذا الموضوع بهدوء

وتنهدت في ارتياح عندما لاحظت ان البرود يشيع في صوته . لقد اطمأنت من ناحيته اخيرا ، وعرفت كيف تسكب على عواطفه ماء باردا ، وانها غير نادمة ، لان رجلا كهذا كفيل بأن يخرجها عن طورها من فرط القلق والسأم

وكان المستر بريكاد في تلك اللحظة يرى وجهها في صورة اخرى . . كان يرى امارات القسـوة والسخط والتحدي واضحة عليه ، وكان يشعر من نظراتها المتهكمة الساخرة انه يجلس أمامها عـاريا تماما ، وضاعت كل محاولاته لكي يستر نفسـه . وكان في نفس الوقت يعجب من طريقتها العجيبة هـذه في الحـديث ، وفي قولها « يا أخينا » بين الحين والاخر ، وما كان ليخطر بباله انها فتـاة سوقية الى هذا الحد ومن ثم قال لها بشيء من الجفاف :

ـ الامر ببساطة أني عرضت عليك عمـلا ، واذا كنت لا تقبلينه فهذا شأنك ، ولـكن ليس هنـاك ما يدعو ابدا لهذه السـوقية في الحديث . كان ينبغي ان تتصرفي وان تتحدثي كسيدة مهذبة

فقالت بصوت لا يخلو من حدة أيضا :

ـ اسمع يا أخينـا ، انني أستطيع أن أحـدثك بنفس اللهجة المتعالية التي تحدثني بها ، ثم ماذا تعني من عبارة سيدة مهـذبة ؟ اكنت ايها السيد المهذب تسـتطيع أن تراود سـيدة مهذبة بهذه

الطريقة من المحاورة والمدورة ؟ اسمع ، لسوف أقول لك شيئا . انك تظن انك رأيتني من قبل ، فاذا كنت عضوا فى نادى « بيروز » أو « الورلد » أو « التوفنيتي » أو « الثرى ثوزاند» أو « الاكتاجون » . .

ــ انني عضو فى نادى الاكتاجون

ــ حسنا ، هل تذكر الفتاة التي جلست عارية تماما في احدى حفلاتكم الترفيهية ، داخل كأس بللورية كبيرة كانت تدور أمام عيونكم العجوزة المحملقة ؟ لقد كنت أعجب منكم أيها العجائز المراهقون ، وأتساءل : ماذا تستفيدون من هذا ؟ ولكنني لم أهتم بأن أعرف الاجابة ، ولكن الذى كنت أعرفه أن عملية الاستعراض هذه كانت محنة بالنسبة لى . .

وتهدج صوتها ، ثم اذا هى تنهض فجأة وتردف قائلة :

ــ انني ذاهبة لاتمشي قليلا يا دون جوان . ولكنني أرجوك أن تبتعد عني ولا تثير المتاعب لى ، فأنا أعرفك ، وأعرف زوجتك ، وأعرف ابنتك ، وأراهن أنهما الان فى البيت المهجور بين ذراعى السائق جون !

وفتح بريكارد فمه ليقول شيئا ، ولكنه رآها تنصرف بسرعة ، فراح يرقب اهتزازات جسمها وهى تسير ، ويتأمل استدارة ساقيها ، ويخلع بذهنه كل اثوابها ، ويجعلها تقف عارية تماما بجانب كأس بللورية كبيرة ثم يراها وهى تدخل فيها ببطء ، واذا هو يحس بما يشبه أطراف الابر تلسع رقبته ، واذا هو ينهض ويلقى نظرة طويلة فى اتجاه البيت المهجور ، ثم يتقدم بخطوات سريعة نحو الكهف الذى ترقد فيه زوجته ، ثم اذا هو يندس تحت الغطاء بجانبها .

وفتحت زوجته عينيها وابتسمت له ثم اذا هى تهمس فجأة في اندهاش :

ــ اليوت ؟ ما الذى دهاك ، ما هذا الذى تفعله ؟

فهمس لاهثا :

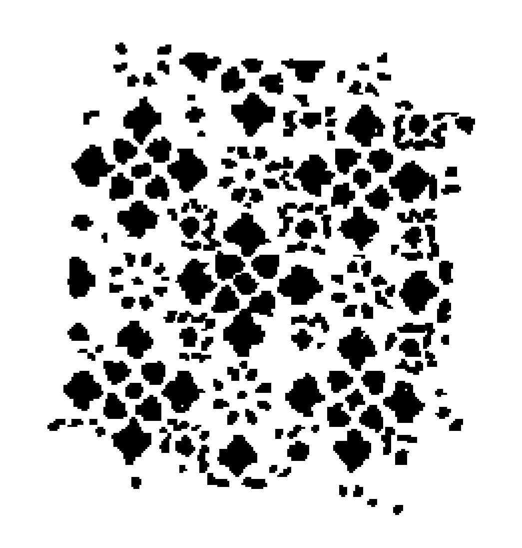
ــ لا تلفظي بكلمة ، حذار أن تلفظي بحرف واحد . السب زوجتي ؟ اليس للرجل أى حق فى زوجته ؟انني لن أقبل بعد اليوم أن

أعامل كالكلب الذليل

فهتفت قائلة فى فزع :

ــ انك مجنون يا اليوت • ربما يرانا أحد ، أوه ، ماذا دهاك ؟ انك تمزق ثوبى

ــ أنا الذى دفعت ثمنه ، وأنا الذى سأشترى لك غيره • والان ، كفى حديثا



الفصل الرابع عشر

حرارة المراهقة

قالت ميلدرد لجون وهما يغادران المحزن :

ـ أنظر . لقد انقطع المطر ، وصمت السماء ، وأزاحت الشمس أشعتها على الجبال ، فما أجمل منظر الطبيعة ، وماأعذب الحياة !

وابتسم جون ولم يجب ، بينما قالت هي :

ـ اتعرف انني اشعر بابتهاج عجيب .. عجيب ؟

ـ بالتأكيد

ـ ألا يخامرك مثل هذا الشعور ؟ حسنا ، أرجو ان تمسك لي المرآة حتى أعيد تصفيف شعري وتجميل وجهي

وبعد أن مشطت شعرها ووضعت بعض فنون التجميل على وجهها ، قالت :

ما رأيك في يا جون ؟

ـ رائعة ! انني معجب بك

ـ فقط ؟

ـ أتريدين أن أكذب ؟

ـ أعتقد أن قليلا من الكذب في هذه الحالة لا بأس به . ألن تأخذني الى المكسيك ؟

ـ لا

ـ هذه هي النهاية اذن . ألن يكون هناك مزيد ؟

ـ من يدري !

فأعادت المشط وأدوات التجميل في حقيبة يدها ، وازالت عن كتف جون بعض القش العالق به ، ثم قالت :

ـ هل تصدق أن أبي وأمي لا يعرفان شيئا من هذا ، واني أعيش

بينهما كالغريبة ، فلا استطيع أن أسأل أمي عن سر هذه الرغبات الحارة التي كانت تزلزل كياني منذ أن بلغت سن الخامسة عشرة ؟

وقطعت فجاة هذا الحديث وقالت :

ـ اذا لم نذهب الى المكسيك ، فماذا سنفعل ؟

فقال جون وهو يستدير في اتجاه السيارة :

ـ سنعود الى اصحابنا حيث أخرج السيارة من الحفرة واقودها بكم الى مدينة سان جوان دي لاكروز

ـ هل اتناول يدك في يدي قليلا ؟

فاعطاها يده ، واخذت تضغط عليها بيدها ، ثم قالت :

ـ الا تقول لي شيئا مقابل .. مقابل

فنظر اليها ضاحكا وقال :

ـ ماذا تريدين ؟

ـ لماذا جئت الى هذا المكان ؟ هل كنت واثقا باني سأتبعك اليه ؟

ـ هل تريدين الحقيقة أم ... قليلا من الكذب ؟

ـ الواقع اني أريد كليهما ... ولكن لنبدأ بالحقيقة اولا .

ـ الحقيقة انني كنت في طريقي الى الهرب . كنت انوي الرحيل الى المكسيك حيث اختفي تاركا الركاب يدبرون امورهم بأنفسهم

ـ أوه ، ولماذا لم تفعل ؟

ـ لا أدري ! لقد فشل التدبير لسبب لا ادريه ، وخذلتني عذراء جوادیلوب وكنت قد ظننت أني خدعتها . ويبدو أنهـا لا تحب أن يخدعها أحد ، ولهذا افقدتني حرارة الرغبة في مواصلة الهرب

ـ انك لا تعتقد حقا ان هذا هو السبب ، وانا لا اعتقد ايضا إنه هو ، فما هو السبب الحقيقي ؟

ـ السبب في ماذا ؟

ـ السبب في ذهابك الى ذلك البيت المهجور

فسار جون في طريقه وقد ارتسمت على وجهه الاسمر ابتسـامة عريضة واخيرا نظر اليها بعينين كلهما الدفء ثم قال :

ـ لقد جئت الى ذلك البيت المهجور وانا ارجو في أعماق نفسي ان تنصرفي عن السيارة لتتجولي في المنطقة قليلا ، ثم ترين البيت من بعيد فتأتين ، وعندئذ استطيع أن .. أن ، وانت تعرفين الباقي

فلفت ذراعها حول ذراعه ، ومسحت خدها بقوة فى كم سترته ، ثم تمتمت قائلة :

ـ لشد ما أتمنى لو استطعنا أن نعيش فى ذلك المخزن بضعة أيام ! ولكن هذا كما نعرف مستحيل ـ وداعا يا جون

ـ وداعا يا ميلدرد

وسارا معا فى صمت نحو السيارة

كان فان برانت راقدا على المقعد الخلفى الممتد بعرض السيارة ، وكانت عيناه مغمضين بلا نوم . وكان يعتمد براسه على ذراعه اليمنى مما جعل ثقل الرأس يضعف حركة مرور الدم الى يده اليمنى

ولما غادر المستربريكارد السيارة مع كاميليا ، بقى بمبلز ونورما بمفردهما صامتين الى حين

وراح فان برانت ينصت الى دبيب الشيخوخة فى عروقه ، بل انه يكاد يحس بحفيف سريان الدماء فى عروقه الخريفية الجافة ، ويكاد يسمع هذه الغمغمة المتكسرة التى تصاحب نبضات قلبه . وشعر أن يده اليمنى سوف تتخدر ، ولكن يده اليسرى هى التى كانت تثير القلق فى نفسه ، إن بشرة هذه اليد لم تعد حساسة ، وانما غدت كالمطاط السميك . وانه كثيرا ما كان يدلكها كلما انفرد بنفسه ، ولكن على غير جدوى ، ورغم أنه كان يعرف دلالة هذه الحقيقة ، الا أنه أصر على التجاهل

وانتقل بمبلز الى المقعد الذى تجلس عليه نورما ، فجمعت هذه اطراف ثوبها بلباقة وأفسحت له مكانا ، وتزحزحت قليلا نحو النافذة

وقال بمبلز وهو يغمز بعينه :

ـ ترى ماذا يريد ذلك الرجل العجوز من كاميليا !

ـ اننى لا ادرى ، ولكننى أؤكد لك أنها ستعرف كيف توقفه عند حده اذا أراد أن يعبث بها . انها فتاة رائعة

ـ أوه ، اننى لا أجزم ، لان هناك فتيات رائعات غيرها

فثارت نورما وقالت بلهجة احتجاج :

ـ مثل من ؟

ولم تكن تتوقع هذه الاجابة ، فاحنت راسها وقد اضطرم وجهها بعنف ، وراحت تتأمل أطراف أصابعها وتحاول أن تتمالك نفسها

وعاد بمبلز يقول :

ـ لماذا تركت العمل مع المستر والمسز شيكو ؟

ـ لان المسز شيكو لم تكن لطيفة معى

ـ اننى اعرف هذا ، لانها لا تتلطف مع احد اطلاقا . ولكننى كنت اتمنى ان تبقى ، اذ ربما توطدت العلاقات بينى وبينك يوما

ولم تجب نورما ، وعاد بمبلز يقول :

ـ استطيع اذا شئت أن آتى لك بفطيرة محشوة بمربى العنب ، فما رايك ؟

ـ لا لا شكرا . اننى لا أستطيع أن آكل شيئا

ـ لماذا ؟ هل تشعرين بمرض ما ؟

ـ لا

ـ حسنا . اذا رأيت أن تعودى للعمل فى استراحة ريبلز كورنر ، فربما أمكننا ان نذهب معا الى سان سيدرو فى مساء السبت من كل اسبوع للرقص ومشاهدة الافلام السينمائية وما الى هذا

ـ انك لم تفكر فى هذا من قبل !

ـ لانى لم أكن اعرف انك .. انك تميلين الى

وأحست بشىء من النشوة والتحفز يسرى فى عروقهـا ورأت ان هذا « محاورة » لطيفة لا بأس من التمادى فيها ، ومن ثم . قالت :

ـ حسنا ، وما الذى جعلك تظن اننى .. أميل اليك الآن ؟

ـ لانك اصبحت مختلفة عما كنت ـ حدث تغيير كبير فى مظهرك . اننى معجب بالطريقة الجميلة التى تصففين بها شعرك

ـ أوه شكرا . ولهذا فليس هناك اى سبب يدعونى للعودة الى العمل فى قاعة الطعام باستراحة كورنر . ان احدا هنـاك لن يرانى ويظهر اعجابه بى

فقال بمبلز بشهامة :

ـ يكفى ان اراك انا واعجب بك . ارجوك أن تفكرى فى العودة وانا أضمن انهم سيرحبون بك

فهزت راسها وقالت :

ـ لا إننى حين اترك العمل ، فانما اتركه نهائيا ، اننى لا استطيع أن أعود اليه راكعة . ثم ان المستقبل الان امامى واضح ، نحـــن قد فكرنا فيما سوف نفعله

ـ فكرت مع من ، وما هو هذا الذى فكرت فيه ؟

ـ فكرت مع كاميليا وقررنا أن نستأجر مسكنا خاصا فيــه المقاعد الوثيرة ، ومصابيح أنيقة وراديو ،وتليفزيون ، وبيانو ، وسوف نعنى بمظهرنا ، ونرتدى الملابس اللائقة ، ونحضر الحفلات ، وربما نقيم أيضا عندنا ولائم للعشاء

فقال بمبلز ساخرا :

ـ لغو فارغ ، انك لن تستطيعى ان تفعلى شيئا من هذا ابدا

ـ لماذا ؟ ما الذى جعلك تقول هذا ؟

ـ هذه هى الحقيقة ، ولا داعى للخيالات . ويحسن ان نعـــودى الى ريبلر كورنر ، وانا الان أدرس بالمراسلة هندسة الراديو ، وسوف نخرج معا ، وتسهر معا ، ومن يدرى ، فربما ينتهى الامر الى الزواج . وانا اعرف صديقا تزوج فى مثل سنى ، والزواج المبكر يجعل الانسان طموحا

ونظرت نورما بامعان الى وجهه لترى هل هو جاد ام هازل ؟ ولكنه أخطأ تفسير نظرتها . وظنها تتأمل « حب الشباب » الذى يشوه وجهه ، فقال بخجل ومرارة والم :

ـ أنا أعرف . أعرف أنك لا تستطيعين ان تخرجى مع شـــاب مشوه الوجه « بحب الشباب » مثلى . ولكننى أؤكد لك انى لم أدخر وسعا فى علاجه ، لقد انفقت اكثر من مائة دولار على الاطباء فى شراء الادوية ، وقد اكد لى أحد الاخصائيين ان هذه الحالة ستزول من تلقاء نفسها بعد عامين على الاكثر . حسنا . . .

ثم اردف قائلا بعنف وسخط :

ـ حسنا ، اذهبى الى مسكنك الجديد ، ومن يدرى ، فربمــا أتيحت لى الفرص لاتمتع فى الحياة باشياء لا تحلمين بها . وانا فى غير حاجة الى رثاء أحد

ونظرت نورما اليه فى اندهاش ، لقد كانت تظن انهـــا فقط هى

التي تشعر بمثل هذه الالام النفسية . انها في حياتها لم تجد أحداً يطلب منها أن تقف بجانبه ، وتملأ حياته بالعطف والثقة بالنفس . ومن ثم أحست بموجة من الحنان تتفجر في أعماق كيانهـا ، وإذا هي تقول له بصوت يسيل رقة وعذوبة :

ــ أوه ، أرجو الا تظن هذا بي . لان الفتاة التي يهمها أمرك لاتهتم بمسألة بسيطة كحب الشباب . انها حالة لا تلبث أن تزول بعد عام أو عامين كما أكد لك الطبيب

فقال بصوت باك :

ــ انني في بعض الاحيان اتعذب بحيث أكاد أفضل الموت على الحياة

ــ أوه ، لا ، لا تقل شيئاً كهذا

ــ انني انسان بائس لا أجد أحداً يحبني ، وليس هناك من يحب ان يتعامل معي !

فعادت نورما تقول :

ــ لا لا ، لا تقل هذا ، انك مخطيء ، فانا .. فانا احبك

ــ لا ، أبداً

فوضعت يدها على ذراعه لتؤكد له صدق حديثها . ومد يده وامسك بيدها في رفق ، ثم ضغط عليها ، فاستجابت له وضغطت على يده بدورها ، وهنا استدار في مكانه ، والقى بذراعيه حولهـا وضغط بوجهه علي وجهها ليقبلها ، ولكنها هتفت قائلة :

ــ لا ، لا ، إبتعد

فضاعف من عناقه لها ، فقالت :

ــ لا ، حذار ، ان الرجل العجوز نائم وراءنا

فهمس بمبلغ قائلا :

ــ الا تسمعين غطيطه ؟ انه مستغرق في نوم ربما لا يصحو منه . تعالي الي

فدست مرفقها في صدره لتبعده عنها بينما كانت يداه تعبثان بثوبها وتحاولان تمزيقه وهتفت به آمرة وقد ادركت إنهـا خـدعت فيه :

ــ دعني وشأني ، دعني أنصرف من هنا . كفى . كف عني

فقال بصوت كالفحيح وقد تألقت عيناه بالجنون وهو يحاول تمزيق ثوبها

ـ تعالى ، تعالى الى ، يجب ..

ـ أوه ، أرجوك .. ان كاميليا قد تأتى فى أية لحظة . ماذا تقول لو رأتنا هكذا ؟

فتوقف بمبلز برهة وقال فى عنف وسخط :

ـ وماذا يهمنا من هذه الشريدة الضائعة !

وفتحت نورما فمها ، ونظرت اليه فى غضب قاتل ، ثم وثبت واقفة وانهالت على وجهه بقبضتيها ، فتراجع مذعورا وهو يرفع يديه ليحمى وجهه من ضرباتها . وكانت هى تهاجمه كقطة متوحشة وتقول :

ـ أيها الثعلب الخبيث ، أيها الثعلب القذر الحقير . كيف تجرؤ أن تقول هذا عن ملاك فى صورة انسان .. !

وراحت تضربه وتركله وتدفعه الى الممر الواقع بين صفى المقاعد ، حتى اذا سقط على الارضية من فرط المفاجأة والذهول ، اندفعت هابطة من السيارة ، وراحت تجرى وهى تهتف ساخطة :

ـ الثعلب الحقير ، الثعلب القذر المنتن !

ونهض بمبلز مرتبكا ، وأطل من النافذة ، ورآها وهى تجرى بعيدا ، ولكنه لم يدر ماذا يستطيع ان يفعل

ورأت كاميليا صاحبتها نورما وهى مقبلة نحوها تجرى ، فنهضت وتلقتها بين ذراعيها ، وأجلستها بجانبها وهى تقول لها :

ـ ماذا بك يا عزيزتى ؟ ماذا حدث ؟

فرفعت نورما وجهها المبلل بالدموع وتمتمت قائلة :

ـ لا شىء لا شىء

ـ لا لا ، يجب أن تصارحينى بما حدث

فرفعت نورما يدها ومسحت عينيها بظاهرها مفسدة بذلك كل ما صنعته كاميليا فى وجهها من فنون التجميل ، ثم قالت :

ـ اننى لا أريد أن أتحدث عما حدث

ـ حسنا يا عزيزتى ، ليكن لك ما تريدين . أنت وشأنك .

ـ لقد أراد بمبلز أن .. ان يسألنى !

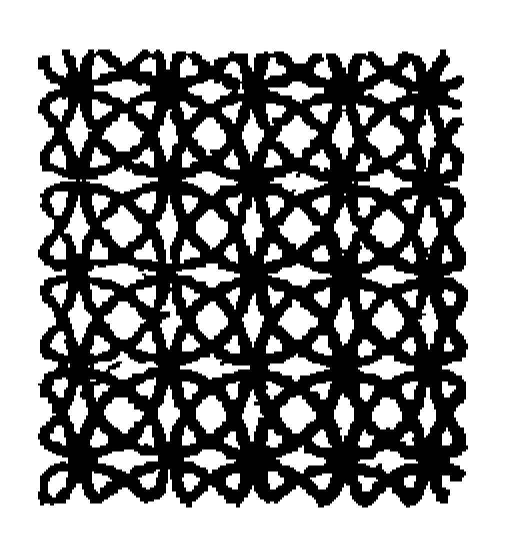
ـ ان بمبلغ أو غيره لا يستطيع ان ينال ابه فتاة رغما عنهـا .
اطمئنى من هذه الناحية ولا داعى لكل هذه الانفعالات

ـ ولكن ليس هذا هو السبب الاساسى لغضبى منه

ـ اذن ما هو السبب ؟

فعادت نورما تمسح عينيها ، ثم تقول :

ـ لقد ضربته وركلته لانه قال .. قال عنك ، أنك شريدة ضائعة



الفصل الخامس عشر

أضواء فى أفق الليل

أسرع جون فى سيره حتى اضطرت ميلدرد لان تقول له :

ــ هل من الضرورى أن نجرى هكذا ؟

ــ اننى أريد أن أخرج السيارة من المنخفض قبل أن يظلم الجو

ــ اتعتقد أن فى مقدورك اخراجها ؟

ــ نعم

ــ حسنا ! لماذا لم تحاول أن تخرجها بدلا من تركنا والابتعاد عنا

فخفف من سرعة مسيره وقال :

ــ لقد أخبرتك بالسبب .. أخبرتك به مرتين

ــ آه ، نعم . اذا فقد كنت تتعمد هذا حقا ؟

ــ كنت أتعمد كل شيء

ووصلا الى السيارة قبل أن يغيب قرص الشمس وراء المرتفعات الغربية ، وكانت الاشعة الغاربة تنطلق الى بقايا السحب وتنعكس منها وتكسو المنطقة بضوء وردى جميل

وبرز بمبلز من وراء السيارة عندما رأى جون يصل اليهـا ، ثم قال له :

ــ متى ستحضر سيارة الانقاذ ؟

ــ لم أتمكن من استدعاء احداها . وعلينـا أن نخرج السيارة بأنفسنا ، وسنحتاج الى معاونة الجميع .. اين هم ؟

ــ انهم متفرقون هنا وهناك

ــ حسنا ، ابستدعهم وناولنى المشمع الكبير

ــ ان تلك السيدة تنام عليه ، فى ذلك الكهف

ــ حسنا ، أيقظها وهاته . وأريد أيضا أن تجعلهم يجمعوا كل

ما يستطيعون جمعه من الاحجار والصخور ، وسوف آتي انا ببضعة ألواح او كتل من الخشب من سياج المزرعة القريبة . هلم أسرع ريثما أستخرج من السيارة بعض الآلات والجاروف والمعول والرافعة الكبيرة

وصعد جون الى السيارة ، فلما رأى فان برانت راقدا على المقعد الخلفي ، قال له :

ـ ارجوك ان تنهض حتى أخرج بعض الادوات من الصندوق

وفجأة انحنى على الرجل وقد أدرك من عينيه المفتوحتين ، ومن حشرجة أنفاسه انه في حالة احتضار ، فأسرع وطرق على زجاج نافذة السيارة مناديا على بمبلز ، فلما أسرع هذا اليه ، قال له :

ـ ان هذا الرجل مريض جدا ، أسرع وأتني بقطعة صغيرة من الخشب لا يقل طولها عن عشرين سنتيمترا ، واستدع أحدا لمعاونتي على رفعه

وعاد بمبلز بقطعة الخشب وبالمستر بريكارد ، فقال له جون :

ـ ارجو أن تساعدني على زحزحته قليلا حتى استخرج ما أريد من أدوات ، وبعد ذلك ارجو ان تضغط بقطعة الخشب هذه على لسانه حتى لا ينحشر في حلقه ويختنق

وجلس المستر بريكارد بجوار الرجل المريض ممسكا بقطعة الخشب التي تضغط على اللسان . وكان يشعر بالغثيان من منظر الرجل ، ومن الرائحة المنبعثة من فمه ، ولكنه قرر أن يقاوم وأن يتحول بأفكاره بعيدا عنه

وحلقت أفكاره حول ما حدث بينه وبين زوجته . وشعر فجأة كأن سهما باردا اخترق قلبه حين رآها تصعد الى السيارة وتجلس على أول مقعد فيها دون أن تلتفت اليه أو توجه له كلمة واحدة

وقال لنفسه :

« لا شك انني فقدت عقلي ، وإلا كيف طاوعتني نفسي على اغتصابها هكذا ؟ »

وفي خارج السيارة كان بمبلز بكل ملابسه الفاخرة راكعا في المنخفض المتلىء بماء المطر ، يتناول الاحجار والصخور من نورما وكاميليا ويدسها تحت العجلة الخلفية اليسرى بعد أن رفعها

جون بالرافعة ، وكانت ميلدرد تجرى هنا وهناك وتجمع الاحجـــار من كل نوع وتكومها بالقرب من حافة المنخفض ، وكان جـــون قد استطاع أن يأتى من سياج احدى المزارع ببضعة ألواح من الخشب وراح يضع بعضها تحت العجلة المرفوعة ليثبت قاع المنخفض فلا تغوص العجلة فيه مرة أخرى

ولما أرادت كاميليا أن تساعد بمبلز فى دس الحجارة تحت العجلات أمسك أرنست هورتون بيدها ليمنعها قائلا :

ـ انك ستفسدين ثيابك بقذارة الاوحال اذا هبطت

ـ وهل سأكون اقذر مما أنا الان ؟

فأراح مرفقه على جانب السيارة وقال :

ـ الا ترغبين فى أن تعطيني رقم تليفونك ؟ فانني لا أجد ما يمنع من أن نخرج سويا بين الحين والاخر بعد وصولنا الى لوس انجلوس

ـ انني الآن بلا مسكن ، وليس لى من ثمة رقم تليفون

ـ حسنا ، انني لا أريد أن أرغمك .

ـ أؤكد لك أن هذه هي الحقيقـــة . أين ستقيم انت فى لوس انجلوس ؟

ـ فى فندق هوليوود بلازا

ـ حسنا ، اذا رأيت أن تكون في بهو الفندق فى الساعة السابعة من مساء الغد ، فانه يسرنى أن آتى اليك

ـ عظيم جدا ، وأنا يسرنى أن أمضى بك عندئذ الى مطعم ماســـو فرانك لتناول العشاء

ـ انك لطيف !

ـ وأنت الطف

وبعد نصف ساعة من الجهد المتواصل ، تمت جميع الترتيبات الاولية لاخراج السيارة من المنخفض ، ولم يبق الا أن يجلس جون فى مقعد القيادة ، ويدير المحرك ويحاول أن يخرج بالســـيارة من المنخفض بمعونة الركاب الذين كان عليهم أن يدفعوا بها لمساعدة المحرك على جذب السيارة الى الخارج

وجلس جون فى مقعـد القيادة ، وأدار المحـرك ، وتركه حتى يسخن ، ثم تنهـد بعمق ، واطل من النافـذة وطلب من بمبلز أن

يشرف على تنسيق حركات الركاب فى دفعهم الجماعى للسيارة

وبدأ جون فى قيادة السيارة خارج المنخفض ، وتعثرت العجلات الخلفية قليلا ، ولكن قوة المحرك واستماتة الركاب فى الدفع جاء بالنتيجة المنشودة ، واذا بالسيارة تخرج من المنخفض سالمة

وقال جون لتمثال العذراء :

« شكرا جزيلا يا سيدتى ، ان كل ما أرجوه منك الآن أن أجد آليس قد أفاقت من السكر عند عودتى اليها »

ولم تعد المسز بريكارد مكفهرة السمات أو محزونة التفس ، وانما أخذت الابتسامة السعيدة ترف على شفتيها وهى تفكر فى أنواع النباتات النادرة من فصائل « الأوركيد » التى سوف تستنبتها فى البيت الزجاجى

وقال بميلز لجون فى مودة وتقدير :

ـ اذا كنت متعبا يا مستر شيكو ، فدعنى أقود السيارة بدلا منك الى سان جوان دى لاكروز

ـ لا لا ، شكرا يا كيت

وقالت ميلدرد لنفسها وهى ترنو الى جون من بعيد :

« اننى لن أستمر فى هذا اللون من الحياة الذى جعل الشبان الصالحين للزواج بى ينفرون منى ، لانى أريد أن أتزوج فى اقرب فرصة ممكنة . . »

واقترب أرنست هورتون من المستر بريكارد الذى كان لا يزال جالسا بجوار العجوز فان برانت ، يضغط على لسانه بشريحة الخشب حتى لا يدعه ينحشر فى حلقه ويسبب له الاختناق

وقال أرنست هورتون له :

ـ هل تسمح لى أن أحل محلك كى تستريح قليلا ؟

ـ لا لا ، شكرا ، ترى ماذا أصابه ؟

ـ أعتقد انها جلطة دموية

ـ وهل سينجو منها ؟

ـ ربما ، اذا لم تكن الثالثة . والآن ، اننى سأكون فى فندق هوليوود بلازا ، ويمكنك الاتصال بى تليفونيا لكى نتفق على موعد اللقاء

فتردد المستر بريكارد برهة ، ثم قال باسما :

ـ اعتقد انني سأكون مشغولا جدا في الايام القبلة ، ولعل من الاوفق ان تأتي الى مكتبي ذات يوم بالشركة ، ويمكننا عندئذ أن نتبادل الحديث في مختلف المشروعات

ـ ليكن ما تريد

وأطلت نورما من النافذة حيث رأت الظلام ينتشر في صفحة السماء ، ولما لمحت عند حافة قمم الجبال البعيدة أول نجم يضيء ، قالت تخاطبه :

« يا أول نجم ، يا أول نجم أراه الليلة ، حقق أملي ، حق أملي الذي ارجوه الليلة »

واستدارت كاميليا نحوها بعينين مثقلتين بالنوم وقالت لها :

ـ ماذا تقولين يا عزيزتي ؟

فصمتت نورما برهة ثم قالت :

ـ أقول سوف ننظر كيف ستسير الامور

ـ آه نعم ، سوف ننظر كيف ستسير الامور

وفي تلك اللحظة تألقت في أفق الظلام البعيد عقود خافتة من الاضواء التي اخذت تزداد وضوحا كلما اقتربت السيارة منها . . انها أضواء نهاية المطاف !

« انتهت »

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمي



هذه الرواية

لقد اطلقنا على هذه الرواية اسم « رجال ونساء .. وحب » واسمها الاصلى "The Wayward Bus"

والكاتب العالمى الكبير جون شتاينبك يقدم لنا فيها صورا كاملة من الحياة، ونماذج واضحة للرجال والنساء كما هم ، على حقيقتهم ، بلا تزييف ، ولاتكلف

ان كاتب هذه الرواية يصور لنا كيف يكون الادب الواقعى بكل مافيه من متعة وجمال وتعمق فى جذور النفس البشرية . فهاهى ذى سيارة عامة تتعطل فى منطقة منعزلة من الطريق الزراعى الموصل بين شيكاغو وهوليوود . وقد اضطر سائق السيارة الى التماس طريق قديم مهجور . وتعطلت السيارة بالقرب من أحد التلال ، وكان من بين ركابها شقراء فاتنة تعمل فى الاستعراضات المسرحية ، ورجل أعمال كبير من شيكاغو ، وفتاة عاملة بريئة النفس ، ومندوب احدى الشركات ، وفتاة عصرية متحررة هى ابنة رجل الاعمال الكبير ، وزوجة رجل الاعمال . والسائق المكسيكى الوسيم

ماذا حدث لهذه المجموعة من الركاب ... يتصرفون ؟ وما هى العوامل المختلفة ال... فى سلوكهم ؟ ثم كيف انتهى هذا كله ... الانفجارات العاطفية المشبوبة ..

كل هذا ، وأكثر منه ، يقصه علينا ذل... الكبير بطريقته الفريدة البارعة

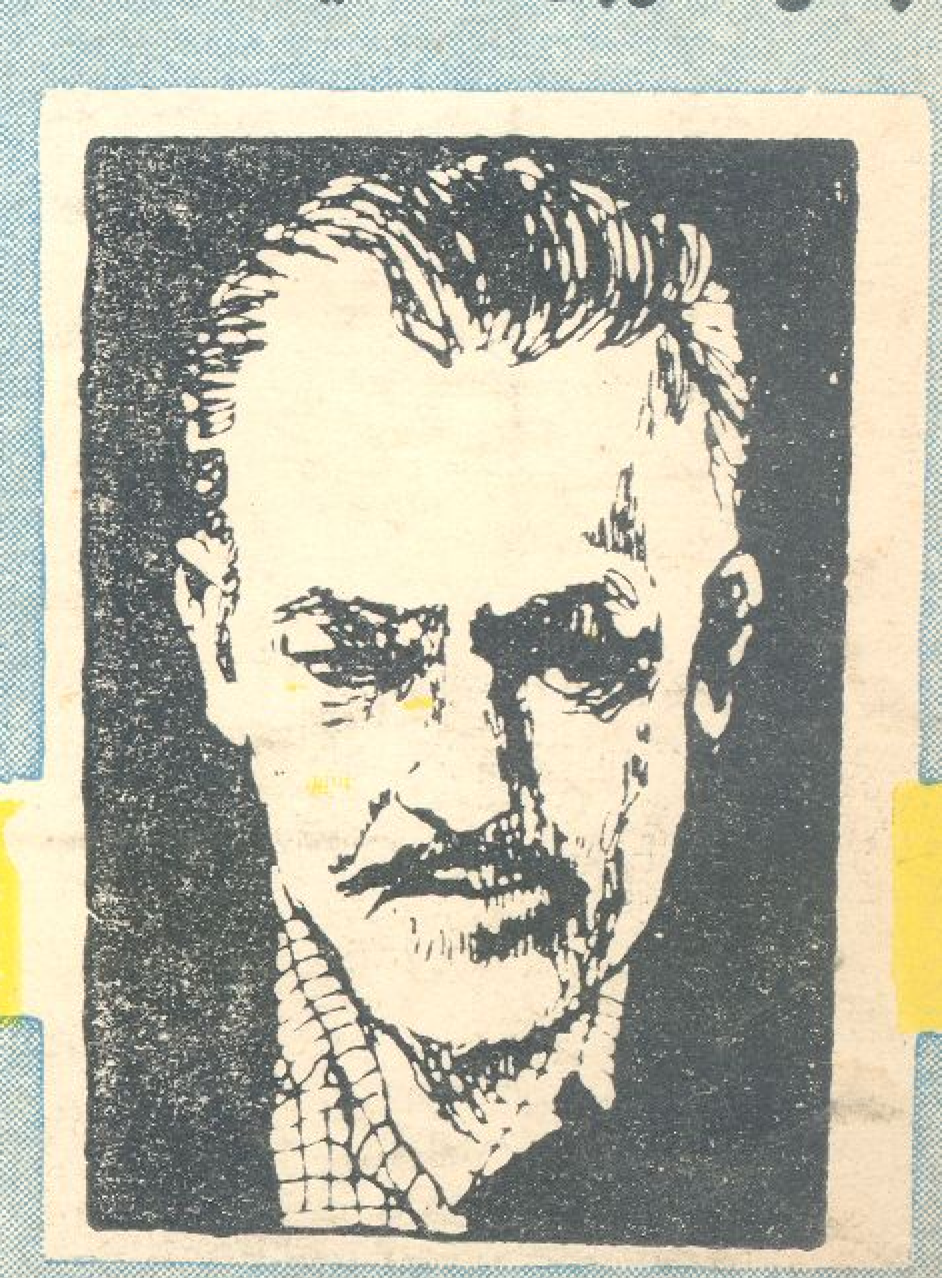
المؤلف

* يعد جون أرنست شتاينبك من أكبر الروائيين المعاصرين

* وقد أصبح له من المكانة الادبية فى الولايات المتحدة ما لسومرست موم فى انجلترا

* اشتغل محررا ومراسلا حربيا فى غضون الحرب العالمية

* فاز بجائزة بوليتزر عام ١٩٤٠ وهى فى أمريكا لاتقل شأنا عن جائزة نوبل العالمية



رجال ونساء .. وحب

